



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

المحقق اية الله الشيخ محمد السند

اصول استنباط المعاني

بحوث في معاني علم الرجال

الْعُلُوُّ وَالْفِرْقَانِ وَالْبَاطِنِيَّةُ

مؤلفه المفاضل بين الغيا والاف والحقيرة
مؤلفه المفاضل بين الغيا والاف والحقيرة



الشيخ محمد السند

الشيخ محمد السند

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الغلو و الفرق الباطنيه

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

باقيات

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس	٥
الغلو و الفرق الباطنيه	١٢
اشاره	١٢
اشاره	١٢
كلمه الأستاذ	٢٠
كلمه المقتر	٢٢
المدخل	٢٤
١ - آفاق الحجيه العلميه للكتاب و السنه	٣٠
اشاره	٣٠
بين المنهج العقلى و الرجالى فى قراءه روايات الحكمة الإلهيه	٣٢
المعصوم مذكر ومعلم الحكمة ومثير دفائن العقول	٣٩
اشاره	٣٩
الدعوه إلى التعقل فى وصيه الإمام الكاظم عليه السلام	٤٤
معانى الحجيه العلميه	٤٩
المعلم الإلهى قوه عقل خارجيه (زياده فى العقل من الخارج)	٤٩
مقام الهدايه	٥٢
الإطار الوحيانى فوق الإطار البيانى العقلانى المحدود	٥٥
٢ - قاعده فى معرفه صفات أهل البيت : و كون الصفات الإلهيه فوفها (٨٢-٤٧)	٥٨
اشاره	٥٨
مفردات القاعده و بيانها	٦٠
بيان القاعده:	٦٥
الأدله على عظمه صفاتهم عليهم السلام مما أوجب مروق الغلاه ووجود المقصره	٨٢
إثارات حول الغلو	٩٢
النقطه الأولى:	٩٢

- ٩٢ النقطة الثانيه:
- ٩٣ النقطة الثالثه:
- ٩٣ النقطة الرابعه :
- ٩٥ ٣ - مدارس الرواه و تنوعهم في فقه المعارف (١٠٦-٨٣)
- ٩٥ اشاره
- ٩٧ تنوع المدرسه القميه
- ١٠٠ نضح المعارف بنحو العمق العالي عند ثله من
- ١٠٤ وجود التنافر بين تيارات الرواه في المعارف
- ١٠٧ رواه المعارف ورواه الفروع
- ١٠٧ اشاره
- ١١١ رواه المعارف أقوى في بحوثها من رواه الفروع
- ١٢٠ ٤ - اذاعه اسرار المعارف (١٠٧-١٤٦)
- ١٢٠ اشاره
- ١٢٢ خطوره إفشاء أسرار المعارف
- ١٢٢ اشاره
- ١٢٧ الجدليه بين حرمة الإذاعه وحرمة الكتمان
- ١٣١ السفله أهل النصب والحيله والدجله و دورهم في إذاعه أسرار المعارف
- ١٣١ اشاره
- ١٣٦ السفله وأسرار المعارف
- ١٣٨ دور السفله في انحراف بعض رواه المعارف
- ١٤١ إذاعه أسرار المعارف تسبب الانطباع الخاطيء منها لدى الجمهور
- ١٤١ اشاره
- ١٤١ النموذج الأول: الفرق بين النبي والمحدث
- ١٤٤ النموذج الثاني: حقيقه الإلهام
- ١٤٧ السبب الأعظم لجرح الرواه والطعن عليهم عدم تحتمل الأسرار في أحاديث أهل البيت عليهم السلام
- ١٤٧ اشاره

- ١٤٨ الطائفة الأولى :
- ١٥٢ الطائفة الثانية:
- ١٥٦ الطائفة الثالثة :
- ١٥٨ الطائفة الرابعة:
- ١٦٣ ٥ - معانى الكذب و أنواع الغلو(١٨٢-١٤٧)
- ١٦٣ اشاره -
- ١٦٥ معانى الكذب فى اللغة
- ١٦٨ أقسام الكذب التى ارتكبها الغلاة -
- ١٦٨ اشاره -
- ١٧٠ ولايه الأخبار وصلاحيه الناطق الرسمى -
- ١٧٠ اشاره -
- ١٧١ الأول: إذاعه الأسرار وإفشائها
- ١٧٦ الثانى: وضع حدود لأشياء سُمعت حقيقه
- ١٧٧ الثالث: تطبيق المعنى على غير مصداقه
- ١٧٧ الرابع: إسناد الاستنتاجات والاحتجاجات التفصيليه إليهم عليهم السلام مع كونها منطلقه من قواعدهم الكليه الإجماليه
- ١٧٨ الخامس: الكذب المخبرى -
- ١٧٨ السادس: الصدق والكذب بلحاظ أبعاض الكلام وأجزائه أو انحلاله فى الأفراد
- ١٧٩ حقيقه الغلو وأنواعه فى الروايات -
- ١٧٩ اشاره -
- ١٨٢ الأول: الإيمان بالباطن والكفر بالظاهر
- ١٨٤ الثانى: الخطأ فى التأويل
- ١٨٨ الثالث: ترك التقية بإظهار التبرى جهاراً
- ١٩١ الرابع: الغلو فى التسميه لا فى إسناد الصفات والأفعال
- ١٩٤ الخامس: التطرف السياسى والاندفاع الثورى
- ١٩٧ السادس: الاستئكال بمحتتهم وإظهارها لأجل الوصول إلى الأطماع الدنيويه
- ١٩٨ السابع: إسناد الأفعال الخطيره فى الخلقه إلى المقربين من دون تقييدها بإذن الله -

- ١٩٩ ٦ - دارسه تطبيقيه فى سلوك المطعون عليهم بالغلو (٣٣٨-١٨٣)
- ١٩٩ اشاره
- ٢٠١ قواعد فى دراسه أحوال الفرق
- ٢٠١ اشاره
- ٢٠١ القاعده الأولى: المفارقة بين رواد الفرق وطبقات الأتباع
- ٢٠٢ القاعده الثانيه: تفكيك الأصول الصحيحه لغوامض المعارف عمّا لُقّق بها من تأويلات خاطئه
- ٢٠٤ القاعده الثالثه: عدم اعتماد مصادر السنّه فى حقيقه مقالات فرق الشيعه
- ٢٠٧ القاعده الرابعه: الصراع السياسى والرمى بالغلو
- ٢١٢ القاعده الخامسه: إيهام حال جمله من الرواه لانتحال الطياره والغاليه لهم
- ٢١٤ القاعده السادسه: فرق الصوفيه من الفرق الشيعيه
- ٢١٧ القاعده السابعه: تنقيح التراث الإسلامى عن النصب والغلو
- ٢١٩ تحقيق مركز انحراف المطعون عليهم بالغلو
- ٢١٩ اشاره
- ٢٢٥ تلخيص وتعقيب
- ٢٢٩ إشارات جديده فى سلوك المطعون عليهم بالغلو
- ٢٢٩ اشاره
- ٢٢٩ ١ - مكاتبه الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر فى تبرئه الخطابيه وتبيين أحوالهم
- ٢٢٩ اشاره
- ٢٣٠ الطعون الوارده عليهم مما أثار إعجاب المفضل
- ٢٣١ تمييز الإمام بين الحق من كلامهم والباطل وبيان أساس الانحراف
- ٢٣٤ نسبه القول بكفايه العقيدته عن العمل إليهم وتفسير الإمام عليه السلام لها
- ٢٣٩ نسبه القول بحليه نكاح ذوات الأرحام وتفسير الإمام عليه السلام وبيان دور العامه فيها
- ٢٤٠ نسبه السفاح إليهم نتيجة عدم الوقوف على أحكام المتعه
- ٢٤١ نسبه القول بجواز شهاده الزور إليهم وبيان الإمام عليه السلام لشده تظلمهم الفقهي
- ٢٤٢ عدم فهم مقامات النبى صلى الله عليه و آله و سلم وأهل بيته عليهم السلام سبب نسبه التأليه إليهم
- ٢٤٤ غفله بعض الخواص عن المكاتبه

- ٢ - مكانه أبي الخطاب والمغيره بن سعيد وعبد الله بن سبأ أيام استقامتهم ٢٤٨
- ٣ - إيماء الروايات بشذوذ أبي الخطاب والمغيره دون دعوى التأليه والنبوه ٢٥٥
- ٤ - موقف الطائفة من أبي الخطاب ونظرائه ٢٥٧
- ٥ - تقدم معرفه أبي الخطاب درجه وسبقاً على أركان وأوتاد فقهاء الرواه ٢٥٩
- ٦ - معنى كذب المغيره وأبي الخطاب ودشهما الحديث فى الكتب ٢٦٢
- ٧ - ظهور جمله من الغرائب على أيديهم ٢٦٨
- ٨ - حقيقه ما نسب إلى ابن سبأ من دعوى الربوبيه فى على عليه السلام ٢٧٠
- اشاره ٢٧٠
- السبب الأول: الجهل بالمقامات الغيبيه ٢٧١
- السبب الثانى: التداعيات الحكوميه لإفشاء غوامض المعارف وإظهار البراءه جهاراً ٢٧٣
- السبب الثالث: انحراف أتباع عبد الله بن سبأ ٢٧٧
- السبب الرابع: القول بالرجعه ٢٨٠
- السبب الخامس: القول بالعلم اللدنى لعلى ٢٨٣
- ٩ - معنى التقيه مجاراه ٢٨٤
- ١٠ - البراءه واللعن التقديرىان ٢٨٧
- ١١ - الصراط المستقيم بين إفراط من طعن عليهم بالغلو وبين تفريط الاتجاه المعاكس لهم (بين نبذ هدنه التعايش ونبذ التبرى الباطل) ٢٨٩
- مؤاخذات على الخطايه والمغيريه و سائر الفرق المطعون عليهم بالغلو ٢٩١
- المؤاخذة الأولى: إذاعه الأسرار وانحراف الناس ٢٩١
- اشاره ٢٩١
- وصيته الإمام الصادق عليه السلام لمؤمن الطاق ينهى عن إذاعه الأسرار ٢٩٣
- نماذج من سلبيات الإذاعه ٣٠٠
- المؤاخذة الثانيه: تركهم التقيه وإفراطهم فى الجهار بالبراءه من الخلفاء ٣٠٦
- المؤاخذة الثالثه: الخطأ فى التأويل دون الجعل ٣١١
- اشاره ٣١١
- ما ورد فى الواقفيه ٣١٢
- تشويش بعض المعارف فى فهم أبي الخطاب وهلاكه فى عدم الفرق بين النبى و المحدث ٣١٥

- ٣١٧ انحراف أبي الخطاب في فهم العلم اللدني في الإمامه ومغايرته عن النبوه
- ٣١٧ تحذير الإمام من الإذاعه والتنظتى
- ٣١٩ المؤاخذه الرابعه: ملامح سلوكهم الفقهي بين الإفراط والتفريط ، والمفارقة بين رؤادهم وبين الأتباع
- ٣١٩ اشاره
- ٣٢١ مؤاخذاتهم عليهم السلام على تيار المغيريه والخطابيه بعدم تزلّعهم فى الفقه
- ٣٢٩ شذوذهم الفقهي ليس بدرجه البينونه مع الوسط العام للأصحاب
- ٣٣١ تشدد أبي الخطاب بالتجاوز عن حدود العباده
- ٣٣٣ المؤاخذه الخامسه: التطرف السياسى والاندفاع الثورى
- ٣٣٣ اشاره
- ٣٣٣ ١ - تطرف المغيره فى الاندفاع السياسى وفى النشر والإفشاء لغوامض مقاماتهم.
- ٣٣٤ ٢ - تطرفهم السياسى ومحاولة جعل المعارف العاليه قنطره للوصول إليها
- ٣٣٤ ٣ - مقتل المغيره بن سعيد فى تاريخ الطبرى
- ٣٣٥ ٤ - علاقات مشتركه بين الزيديه والمغيريه
- ٣٣٥ ٥ - أخصيه الشعار السياسى لخروج المغيره من شعار خروج زيد
- ٣٣٧ ٦ - طمع أبي الخطاب فى الرئاسه وردعه عليه السلام له
- ٣٣٩ ٧ - إغراء أسرار المعارف إلى التطرف السياسى
- ٣٤٠ ٨ - نبذ الهدنه مع أهل الخلاف
- ٣٤٤ المؤاخذه السادسه: السذاجه فى المعنويات الروحيه
- ٣٤٦ المؤاخذه السابعه: الاغترار بالنفس عند الحصول على بعض المعارف فيؤدى بهم إلى جحود مقام الإمامه
- ٣٤٦ اشاره
- ٣٤٧ السقيفه فى عالم المعنى
- ٣٤٨ المؤاخذه الثامنه: توليدهم للفرق المنحرفه
- ٣٤٨ اشاره
- ٣٤٩ امتدادات الخطابيه والمغيريه وجهود الأئمه عليهم السلام فى إقلاعهم عن الجسم الشيعى
- ٣٥٢ الدور الثالث للغلاه وشده الانحراف فيهم
- ٣٥٦ ٧ - النواب و الأبواب ، حقيقه حالهم بين الافراط و التفريط (٣٣٩-٣٥٨)

- ٣٥٤ - اشارة
- ٣٥٨ - معرفه النواب والأبواب معتقد إيماني و خطوره مقام النيايه الخاصه
- ٣٦٥ - النيايه الخاصه والمخاطر التي مزت بها في عهد المعصومين إلى نهايه الغيبه الصغرى
- ٣٦٧ - تقادم ادعاء البايه والنيايه الخاصه
- ٣٧٢ - أسماء النّوَاب
- ٣٧٦ - ٨ - البتريه الاتجاه المعاكس لرواه المعارف (٣٩٦-٣٥٩)
- ٣٧٦ - اشارة
- ٣٧٨ - ظاهره النفاق في الإسلام وظاهره النفاق في الإيمان متحاذيتان
- ٣٨٦ - ظاهره البتريه المخلطه التلفيقيه المناوئه لظاهره المشتهرين بالغلو
- ٣٨٧ - معالم منهج البتريه
- ٤٠٣ - تكرر ظاهره البتريه في طول الأزمان
- ٤٠٧ - البتريه والوحده الإسلاميه
- ٤٠٩ - ترجمه رؤساء البتريه
- ٤١٢ - حكم علماء الإماميه على معتقد منهج البتري التوفيقي التلفيقي
- ٤١٦ - تعريف مركز

الغلو و الفرق الباطنيه

اشاره

سرشناسه: عابدینی، محمد،

عنوان و نام پدیدآور: الغلو و الفرق الباطنيه / محمد سند.

مشخصات نشر: قم: باقیات، ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهری: ۳۹۶ص.

شابک: ۸۰۰۰۰

ریال: ۹۷۸-۶۰۰-۵۱۲۶-۵-۹۴

وضعیت فهرست نویسی: فیبا

یادداشت: عربی.

موضوع: غلو

موضوع: شیعه -- فرقه ها

رده بندی کنگره: BP۲۴۱/س ۸ غ ۹ ۱۳۸۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۵۳۸

شماره کتابشناسی ملی: ۲۱۷۱۲۵۹

ص: ۱

اشاره

الغلو و الفرق الباطنيه

محمد سند

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلاته على أشرف السفراء المرسلين وآله الهداه المهديين.

وبعد، فإنّ رواه المعارف حيث حملوا نقل الجزء الأهم الخطير من مساحه الدين - وهو الفقه الأكبر - فإنّ ذلك يستدعى أكثر حساسيه تجاههم لعظم الخطب، فإبداء التدقيق والتثبت أمر منطقي حينئذ إلّا أنّه بقدر الأهميه البالغه لذلك فإنّ ذلك يستلزم أيضاً التثبت والتدقيق البالغ في الميزان و القواعد لدراسه أحوالهم وتقييم انتماءاتهم الفكرية بعيداً عن الإفراط والتفريط وسلوك منهج تحقيقي علمي بعيداً عن التقليد، والتلقى للأموار بنحو تسالمی من دون تتبع وتنقيب باستقصاء وتحليل لخلفيات كثير من المقالات فإنّ ربّ مشهور لا أصل له لا سيما إذا كانت تداعياتها آتیه من العامه.

ولا- شطط في القول أنّ كثيراً من الجرح والتعديل مبني على المدرسه الكلاميه التي تلمذ فيها الرجالی و أن تقييمه لراوی المعارف مبني على مضمون الروايه التي يرويها الراوی، وليس على أسس حسيه وراء ذلك فهي أشبه بمحاكمات كلاميه منها بشهادات سلوكيه لسيره الراوی.

وعلى ضوء ذلك فيكون التراث الروائي الذي يحمل في طياته نقل الوحي رهين آراء ثله قليله من أهل الجرح والتعديل، وهذا من الخطوره بمكان أن يرتسم الإطار العقائدي بنظره وفكر فئه معينه بل السداد هو فتح باب الاجتهاد والتحقيق العلمی المبني على

الموازن الاستدلاليه.

ومنه يظهر انفتاح أفق واسع للبحث المعرفى الاعتقادى من خلال دراسه مدارس رواه المعارف المختلفه و من تاريخ النحل والملل المتعدده وكيفيه تجريد ألوان الأفراد والأشخاص عن طبيعه المقالات والمعتقدات.

وإن تأثر كل من علم الرجال وعلم النحل والملل وعلم الكلام بالآخر وتداعيات كل بالآخرين ملحوظ بقوه، فكان من اللازم فتح هذا المنهج فى البحث والتحقيق كى تتضح معالم حقيقه لمسار علم المعارف وعلم الرجال.

وكانت هذه الجهود قد قام بتحريها كل من الفاضلين الألمعيين جناب الشيخ مجتبى الاسكندرى والشيخ حسن الكاشانى أشكر لهما هذه المثابره والتدقيق والتتبع راجياً لهما المزيد من الرقى العلمى وتسنى المكانه العالیه فى الفضيله.

محمد سند

٢٥ صفر ١٤٣١ هـ . ق

ص: ١٠

إنّ هناك جدليه ثنائيه قائمه على مر العصور بين التيار المتشدد في نقل الفضائل والمقامات للحجج الإلهيه والتيار الذى لا يستحسن مقالات الفريق الأول ويرفض كثيراً مما يعتنقه ذلك التيار، وقد سمي الفريق الأول عند الفريق الثانى بالغلاه؛ كما سمي الفريق الآخر عند الأول بالمقصره.

وقد تخرج هذه الجدليه بين حين وأخرى عن شكلها المنطقى فتبدو كحرب قائم بين الفريقين يؤدى إلى الإدانه والتبرى، فيذهب ضحيتها كثيراً من الأبرياء. والحال أنّ الأمر غير واضح لدى كل من الفريقين والخطوط غير بينه عندهما، فلا يوجد معيار وميزان يزن بها الغالى عن المقصر، وإنما هي دعايات أكثر من أن تكون حقائق وواقعات. فكل فريق ينسب من يخالفه فى القول إلى الغلو أو إلى التقصير.

ومما يشتد فى غموضه الأمر هو استغلال جماعه السلطان والبلاط الحكومى على مرّ التاريخ لهذه الجدليه لصالح سياساتها الشرسه، فينسب من يعارضها فى الرأى ويجهر بفضائل ومقامات موجوده فى غيرها مما يبرهن عدم كفاءتها للحكومته والخلافه إلى الغلو والتجاوز عن حدود العبوديه كذريعه للحكم بكفره وجواز قتله وإبادته عن صفحه الأرض. وبما يملك الجهاز الحكومى من أبواق وأقلام مستأجره ودعايات متفشيه كان ينشر هذه التهم بكثافه فى كافه أرجاء المعموره، فيؤثر فى حدوث حاله انهزاميه لدى جمع من الخاصه فضلاً عن العامه.

فلهذه الأسباب وغيرها بقيت حقيقته الأمر مختلفيه لدى كثير من رواد الحقيقه، وقد تسرب هذا الغموض والخفاء إلى علم الرجال، فيرى في كثير من ملفات الرواه أنه قد سجّل عليهم كونهم من الغلاه أو الطياره أو المخلّطه و غيرها من الأوصاف والتعبيرات، لا سيما أن بعض أرباب الجرح والتعديل لم يتضح لديهم حقيقه مقالات أولئك الرواه أو لم يكن أفقهم المعرفى والعلمى بدرجه وعى تلك المقالات والأقوال فتراهم يتسرعون إلى إصاق هذه الأوصاف لكل من يخالفهم فى الرأى. هذا، مع ما فى كثافه الدعايات العاميه والحكوميه من التأثير السلبي على بعض أرباب الجرح والتعديل.

فمن الضرورى فى علم الرجال تنقيح الحال حول الفرق المطعون عليهم بالغلو وحقيقه مقالاتهم لترسم لدى الباحث صورته عن واقع الأمر الذى حاول جهاز السلطه أن يبقى مخفياً طوال القرون.

ومما يجدر الالتفات إليه فى تنقيح حال أولئك الفرق والجماعات تمييز درجه انحرافهم - إن حصل لديهم انحراف - فكما أنّ للإيمان والحق درجات ومراتب كذلك للكفر والباطل مراتب تختلف شده وضعفاً. فمن عدم الحياده فى البحث ضرب الجميع بحجر واحد، بل ينبغى حسابان كل أحد فى ظروفه الخاصه به وتشخيص درجه انحرافه عن جاده الحق. كما وصانا البارى تبارك وتعالى فقال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ» فمراعه العداله واجبه حتى مع العدو والمخالف.

ومما يزيد فى أهميه هذا البحث والتنقيح هو أن كثيراً من رواه المعارف والمقامات الذين حملوا الركن الأعظم والفقّه الأكبر من الدين الحنيف قد تركوا وهجروا لما نسب إليهم من هذه الأوصاف، والحال أنّهم من أكابر أجلاء الرواه بل قد يعد بعضهم من أخصاء حوارى أهل البيت عليهم السلام . وبنسبه أهميه الفقّه الأكبر على الفقّه الأصغر تكون أهميه كشف الحقيقه حول هذه الرواه على أهميه البحث فى رواه الفروع. نعم فيهم من هو قد انحرف عن جاده الصواب والصراط المستقيم إلماً أنه لم يتضح حقيقه انحرافه وأنه هل يمس

بحجيه مروياته أو يسبب فساد عقيدته أم لا؟

ورغم ما بذل بعض من علمائنا الكرام جهودهم المشكوره فى هذا المضمار، إلّا أنّ هناك كثيراً من الحقائق حول هذه الفرق والجماعات لا زالت غير واضحه ومختفيه تحت غطاء التقليد فى علم الرجال.

وفى هذا المقام قد تطرق شيخنا الأستاذ الفقيه آيه الله محمد السند - أدام الله أيام إفاداته - إلى بيان أمور عن حياه الجماعات المطعونه عليهم بالغلو كانت مستوره طوال قرون متماديه، فمنهم من هو من الأجلء ورواه المعارف وقد نسب إلى الغلاه زوراً، ومنهم من حصل لديه انحراف لكن لم يتضح حقيقه انحرافهم؛ فحرص الأستاذ على أن يبين مركز الانحراف الموجود عندهم وتدايعاته وسلبياته. كما بحث أخيراً عن حياه الجماعات المعارضه لتلك الفرق والتي كانت تصر على الجنبه البشريه للحجج الإلهيه ونفى البعد الوحيانى عنهم. . وقد انجر البحث إلى بيان نتف ونكات مهمه فى العقيدته والمعرفه بل فى السير والسلوك، وكذا ذكر أموراً هامه فى كيفيته التعامل مع الروايات الوارده فى المعرفه والعقيدته وأنه يجب قراءتها قراءه عقليه معرفيه لا قراءه ظنيه تعبدية، فصار الكتاب جامعاً بين مباحث علم الرجال ومباحث أصول معرفه العقيدته.

وقد وفقنا الله لمرافقه سماحه الأستاذ فى رصد هذه الشواهد والقصاصات وتقرير ما كان يفيضه علينا، ف جاء الكتاب كحلقة ثالثه متوسطه بين علم الرجال وأصول استنباط العقائد.

وأخيراً نسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظ أستاذنا الأجل ويوفقه فى نشر معارف أهل البيت،، وأن يتقبل منا هذا القليل وأن يجعله لنا ذخراً يوم لا ينفع مال ولا بنون.

الكاشانى - الاسكندري

ليس الغرض من البحث والتنقيب في من طعن عليهم بأنهم غلاه أو بالباطنيه، محاوله لتوثيقهم أو لتشييد الاعتماد عليهم؛ بقدر ما أنّ هذه المحاوله تستهدف تحديد الطعن الحقيقي فيهم من الطعن الزائف وتبيين منشأ الانحراف.

فليس الهدف نفي اللعن الصادر في حقهم ولا- نفي الذمّ عنهم ولا- نفي أصل الانحراف ولا نفي الغلوّ، بل الهدف والمطلوب الأصلي هو تحديد نوع الانحراف ونوع الغلوّ وأنه ليس المعنى المعهود المتبادر من الغلوّ ولا ما ألصق بهم من الانحراف.

بعبارة أخرى: إنّ الغلوّ الذي ارتكبه ليس في التزامهم وقولهم في شأن أئمه أهل البيت عليهم السلام فوق ما هم عليه نظير النصارى، بل هو نمط آخر من الغلوّ؛ فإنّ هناك أنواع عديده من التطرف الإفراطى الذى قد يكون سياسياً أو أمنياً أو إصلاحياً أو غير ذلك في المجالات المختلفه التى لا ترتبط بالمقالات الاعتقاديّه والمعرفيه ومن الخطأ حصر الغلوّ والتطرف في ذلك.

كما أنّه ليس الهدف في هذا البحث - عن من طعن عليهم بالغلوّ - تحسين سيرتهم وتعديل طريقتهم من كلّ جهه بنحو التعميم، وإنما القصد هو بيان ما فيهم من جهات متعدده بعضها مذمومه وبعضها ممدوحه. فالهدف هو تمييز الأوراق المختلطة في المقام والتى ظلّت مشتبهه طوال القرون على الصعيد الرسمى الظاهر

فى علم الرجال والحديث ولا سيما وأنّ الحديث هو عن خصوص الرواه الذين يعدّون زعماء لتلك المقالات وحقيقتها و هذا مطابق لما ذكرناه فى الجزء الأوّل والثانى من أنّ التعديل أو الجرح عند القدماء والأصحاب كان من جهات وحيثيات أربع ولكلّ جهة وحيثه أقسام. فالعموميه والتعميم فى جرح المفردة الرجاليه وكذا التعديل لم يكن من ديدن القدماء وهذه قاعده مهمّه فى منهج البحث الرجالي التى أشرنا إليها سابقاً.

كما أنّه يجب على الباحث، الفصل بين روّاد من طعن عليهم بالغلوّ وبين امتداداتهم فى الأتباع وجماهير القواعد لديهم، فإنّه قد تفشّت فيهم تخاليط من الأقوال.

لا سيما وأنّ هذه الظاهره بما حملت من أوصاف وتسميات مزعومه فى بطون الكتب التاريخيه والرجاليه اتّخذت كسيف يجمع به سائر رواه المعارف من أحاديث أهل البيت عليهم السلام واتّخذ رمحاً يطعن به أتباع أهل البيت عليهم السلام .

فللوصول إلى الحقيقه ثمار كبيره جداً تخلق نظره متوازنه وثاقبه للتراث الموروث من أحاديث أهل البيت عليهم السلام سواء من جهه الأسانيد والطرق، أو من جهه كيفيه تصحيح المضمون وعرضه على محكمات الكتاب والسنة القطعيه المطهره، فإنّ هذا البحث ليس رجالياً محضاً كما قد يتخيل بقدر ما هو بحث معرفى وأديانى مذهبى.

ثمّ إنّنا بعد ذلك وقفنا على كلام للأستاذ أسد حيدر يذكر غموضه البحث فى حركه الغلاه والعوامل التى سبّبت التشويه والتعميم فى دراستهم.

قال: «و على أىّ حال فإنّ حركه الغلاه هى من أخطر العوامل التى لعبت دوراً هاماً فى المجتمع الإسلامى وإن دراستها لا تزال حتى اليوم ناقصه بل غامضه، لوجود الكثير من التشويه واللبس فالوقوف عليها بيان ووضوح من المشقّه بمكان، إذ لم تدوّن آراء أولئك القوم بأقلام دعائهم فلم تكن لهم مؤلفات تدون بها

عقائدهم و ذلك لأن حركتهم كانت قصيره العمر سريعه الزوال لما قام به أهل البيت عليهم السلام فى تفريق صفوفهم وصدع شملهم عندما أعلنوا البراءه منهم ولعنوهم وحذروا المجتمع الإسلامى من نواياهم الخبيثه فكانت عاقبتهم إلى الزوال وجمعهم إلى الشتات.

وإن كثيراً ممن كتب فى هذا الموضوع وتناوله بالبحث لم يقصد جلاء الغامض وإظهار الحقيقه وإنما قصد من ذلك هو التشويه والتضليل ونشر ما يساعد أعداء الدين الإسلامى على الوقيعه فى أهله، لأن أولئك الذين تناولوا حركه الغلاه بالبحث لم يتحرّوا الدقه فى إيراد ما جاء فى كثير من الروايات ولم يدرسوا الظروف التى ساعدت على نشر تلك الأفكار الخاطئه والعقائد الفاسده التى حاول نشرها فى المجتمع الإسلامى وإن أولئك الكتاب يجهلون العوامل التى أدت إلى قيام تلك الحركه أو أنهم يتعصبون فيحيدون عن الواقع ويتنكرون للحقيقه وإن الجهل والتعصب هما اللذان يجعلان كثيراً من الكتاب والمؤرخين يتجاهلون قيمه إظهار الحقيقه وبيان الواقع و أنهم يكتبون لا للتاريخ والحقيقه وإنما يكتبون للمغالطه والوقيعه ولم يدركوا خطر أخطائهم وعظيم جنايتهم على الإسلام فى فتح باب التدخل لأعداء الإسلام»(1).

كما أنه قد تابعنا المطالعه فى حركه المتهمين بالغلو بالدراسه عن الاتجاه المعاكس لهم من المقصّيره وعمده المعالم المنهجيه لديهم فخرجنا بنتائج فاخره نضعها بين يدي الباحث الكريم.

ص: ١٧

بين المنهج العقلي و الرجالي في قراءه روايات الحكمة الإلهيه

قد ذكرنا في الجزء الأول فوائد الخبر الضعيف بغض النظر عن اعتباره، كما ذكرنا الفوائد العلميه لخبر الواحد الشامل للخبر الصحيح والموثق والحسن والقوى من المعتبر والضعيف بأقسامه بغض النظر عن اعتبار خبر الواحد في العقائد، أى وإن لم بين على حجيه الظن المعتبر في البحوث والمسائل الاعتقاديه.

كما ذكرنا في الجزء الثانى أن من المنهج الحشوى القشرى هو الجمود على الحجيه التعبيديه الظنيه وقالبه حرفيه اللفظ بنحو سطحى من دون أن يعالج ترابط المسائل العلميه بعضها من بعض بشكل منظومى. فإن المنهج العلمى هو صرف الجهد فى تتبع القرائن والشواهد واستقصائها والتأمل فى مضامين الروايات ثم صرف الجهد فى تحليل ودراسه القرائن العقلية للنصوص، كما أنه لا يقتصر فى دراسه سند الحديث على التقليد فى التوثيق والتضعيف ولا فى تتبع الروايات على ما أورده صاحب الوسائل أو بعض الأعلام فى كتبهم الاستدلاليه، فعلى الباحث أن يعنى نفسه بالتأمل والتتبع حول المزيد من الروايات ذات الصله بالمبحث ولو من باب التوفر على توسعه الأفق فى الاحتمالات التصوريه لا التصديقيه التعبيديه.

ونضيف هنا أن الفحص فى مضامين الروايات يوقف الباحث على براهين

وبيانات ودلائل عقلية أو مرتبطة بضروريات قطعية نقلية، فهذا البحث يحكم العقل ويُلزم ويوجب القيام به، لأنّ الانفتاح على الاحتمالات والمحتملات أمر لا يبدّ منه فى البحث العقلى. كيف؛ ودرجه الاحتمال والمحتمل فى مضامين الروايات المنسوبه إليهم وكذلك الحال فى الدلاله الظنيه للآيات هى أكبر أهميه وقوه من الفحص فى كتب الفلاسفه والحكماء والمتكلمين والعرفاء. إذ أنّ قدرتهم العقليه والمعرفيه مهما تنامت وتكاملت ونبوغهم مهما تصاعد، فإنّ قدراتهم وقوتهم الفكرية كالمقطره فى بحار المحيطات بالقياس إلى علوم القرآن والعتره. وليس هذه المقاييسه مستنده إلى الحجية التعبدية للكتاب والعتره أى من الناحية النقلية بل هى من جهه درجه الاحتمال العقلى ودرجه المحتمل. فإنّ من يشاهد حقائق الملكوت والعوالم ويطوف بهما ويزوّد بالعلم الإحاطى كيف يقايس بيانه الاستدلالى وبيّناته البرهانيه والعقلية بمن لا يرى تلك العوالم إلّا من وراء الحجب، وإنّ سنحت له مشاهدته ومكاشفته فنزر يسير.

وهذه المفارقة ليست فى صدد تقرير الحجية التعبدية، بل لأجل التركيز على موارد الوقوف على الاحتمالات والمحتملات اللازم الفحص عنها فى البحث العقلى المحض. فالمنهج العقلى والبحث العقلانى المعرفى فى آيات وروايات المعارف لا- يتوخى الاعتماد على الحجية الظنيه المعتمده التعبدية التى هى مدار فى الحجية النقلية، بل إنّما يعتمد على تحصيل واستكشاف البراهين والتفطن والوقوف على البيانات اليقينية التى ترشد إليها آيات وروايات المعارف. وهذا هو المنهج والبحث العقلى فى قراءه المنابع النقلية فى المعارف.

فالبحت فى أسانيد الروايات واعتبار الكتب وأنحاء الدلاله وإن كان أمر لا يغفل عنه ولا ينكر فائدته بل وضرورته، ولكن إنّما يمارسه من يتوخى تقرير الحجية النقلية. وأما من يتوخى الحجية العقلية فالبحت الصدورى والدلالى إنّما دوره يكون موطناً وممهداً لأصل التصوّر ومعطيات أصل الاحتمالات

والمحتملات، لا الحجية التصديقيّة العقلية ما دامت الحجية النقلية بدرجة الظن.

فلا- معنى للممانعة عن البحث العقلي في الأدلة النقلية على تقدير عدم تمامية الحجج النقلية صدوراً أو دلالة؛ لأنّ غايه الأمر هو عدم تشكل وتكون الحجج النقلية المعتره، وهذا لا يخدم في وجود أرضيه وإمكانية تشييد الحجج العقلية البرهانية واليقينية. وهذا البحث والمنهج العقلي في قراءه التراث النقلى فى المعارف لا يسوغ لمدرسه من المدارس الباحثه عن المعارف - أياً كان مشربها - الغفله عنه.

إذ البحث العقلي لا- ينحصر نفعه والاستفاده منه والقدره عليه على المدارس الفلسفيه، بل أنّ المدارس الكلاميه المتنوّعه لا تقصى ولا- تبعد الدليل العقلي أيضاً وإن اعتمدت على الدليل النقلى أيضاً. كما أنّ الحال فى المدارس المعرفيه الأخرى كمدارس المفسيّرين والمحدثين ومدارس العرفاء على اختلاف مشاربهم أيضاً لا يلغون الدليل العقلي والمنهج البحثى البرهانى عن أبحاثهم وتحقيقاتهم.

بل وكذلك المنهج الذوقى الوجدانى البرهانى، أى الذى لا يقتصر على مجرد الذوق والمشاهده والمكاشفه بل يشفعها بالبرهان العقلي والوجدانى، وهو ما يعبر عنه بالذوق الوجدانى لا الذوق السليقى القريحى المزاجى، هو أيضاً لا يستند إلى تقرير الحجية النقلية الظنيه ولا يتوخاها بل يعتمد على الذوق الوجدانى البرهانى.

ومن ثمّ اللازم إقامه هذا النمط من البحث أيضاً فى قراءه التراث المعارفى وفق الموازين البرهانيه، وإن افترض عدم توفر الوجه النقلى على شرائط الحجية التعبدية. فمن الغفله الخطيره والتفريط العظيم حصر الاستفاده من تراث المعارف سواء ظهور الآيات أو الروايات على خصوص شرائط الحجية النقلية التعبدية الظنيه، نظير ما صدر من تأليفات فى الآونه الأخيره حاصره الاستفاده والاعتبار البحث فى روايات المعارف بخصوص الشرائط المعتره فى صحه صدور

وفى هذا التوجّه الضيق الحرج جمله من الهفوات:

الأولى: حصر منهج البحث فى التراث المعارفى النقلى بالمنهج النقلى، مع أنه لا ينحصر به. فلو قصر شرائط حجيه المنهج النقلى فى جمله من الموارد فإنّ ذلك لا يمانع إمكانيه استثمار المنهج العقلى البحثى البحت والمنهج الذوقى الوجدانى البرهانى، إذ لا يتكئ على البحث التعبدى الظنى بل على استكشاف المقدمات والدلائل والبيانات البرهانيه فى مضامين الروايات ومحاولة تقصّيتها واستخراجها.

الثانيه: أنّ المنهج النقلى لا يقتصر على المنهج الظنى التعبدى، فإنّ تحصيل التواتر والاستفاضه هو طريق يقينى وليس ظنّياً تعبدياً وحصولهما لا- يتوقّف على توفرّ شرائط الحجيه فى الأخبار التى بتراكمها توزّث التواتر والاستفاضه. هذا مع الالتفات إلى أنّ التواتر على أقسام عديده: اللفظى والمعنوى البين وغير البين وهو على درجات عديده، وكذلك الإجمالى وهو الآخر على أنماط وأنواع عديده وكذلك الحال فى أقسام المستفيض والاستفاضه.

الثالثه: أنّ البحث فى شرائط الحجيه النقليه الظنيه التعبديه ليس بحثاً يتحصّل من التقليد فى علم الرجال والحديث والدرايه، بل اللازم فيه أن يُبنى على أسس اجتهاديه وقواعد استنباطيه ودلائل ومعطيات صحيحه وسديده. فلا معنى لأن يحكّم فيها فتوى رجاليه ورأى رجالى لأحد أرباب الجرح والتعديل، وجعل تلك الفتوى ميزاناً وصائياً على التراث الدينى. سواء كانت تلك الفتوى الرجالى من متأخرى علماء الرجال أو المتقدمين والأقدمين. فإنّه كما عرفت فى مباحث

ص: ٢٤

١- (١). نظير كتاب «مشرعه بحار الأنوار» و «الصحيح من الكافى» ونظير جمله ما فى التعاليق أو الهوامش على ذيل الروايات الباحثه فى تقييم سند الروايه والحاصره للاعتبار منهج البحث بخصوص الوجه النقلى الظنى.

الجزء السابق من هذا الكتاب أنّ آراء أرباب الجرح والتعديل لا تعدو أن تكون فتاوى رجاليه وعمده الوجه في العمل بها من باب حجية أهل الخبره، وهو في معنى التقليد؛ نعم، يمكن أن يستفاد من تلك الفتاوى في البحث الاجتهادي في علم الرجال كقرينه لابدّ أن يراعى في حساب الاحتمالات على منهج تراكم القرائن و الظنون فمنه يتّضح أنّ تقرير حال الروايات بحسب مشهور الرجاليين فضلاً عن آراء بعضهم لا يحسم مصير اعتبار الروايه على المنهج النقلى التعبدى الظنى.

الرابعه: أنّه يكفى في الفائده والاستفاده العلميه من الروايه المحتمل الصدور وإن لم يتمّ فيها نصاب الحجيه الظنيه النقليه - مع الغضّ عن كل ما تقدّم - أنّ مضمونها يسبّب حدوث التصوّر والاحتمال، وأصل التصوّر والاحتمال في أفق البحث المعرفى بالغ الأهميه وهو جلى واضح لمن خاض عباب بحوث المعارف على اختلاف المدارس والمناهج في البحث المعرفى.

ألا ترى أنّ في البحث الاعتقادي والمعرفى يستعرض أقوال الحكماء والفلاسفه والعرفاء والمتكلمين وآرائهم في الكتب المختلفه بغضّ النظر عن صحّه انتساب تلك الكتب والأقوال إلى أصحابها، بل يتمركز البحث والدراسه حول مضمون تلك الأقوال والمقالات بغضّ النظر عن قائلها. فكيف الحال مع أقوال محتمله النسبه إلى ولايه الملكوت وخزان مفاتيح الغيب الإلهي، وهم ممّن أطلعهم الله على خفايا بواطن الأمور. ومع هذا الاختلاف في درجه أهميه الاحتمال والمحمّل يحكم العقل بنحو اللزوم بضروره الفحص والتنقيب والتقصّي والاستقصاء في مضامين الأبواب الروايه وإطاله التعمّق والغور في بياناتها ودلائل مضامينها.

ويجب ألا يقتصر منهج البحث على خصوص المنهج الظنى النقلى لا سيّما بعد اعتبار جملة الكتب الواصله من الرواه عنهم بنحو الإجمال، ولا يخفى

التفكيك بين اعتبار الكتب إجمالاً وبين اعتبار أحد الروايات.

الخامسة: أنه لا يخفى أن اعتبار الرواية على المنهج الظني النقلى لا ينحصر بتوثيق رواه الطريق، بل إن هناك منهج الوثوق بالصدور وهو يعتمد على قرائن المضمون وتطابقها مع محكمات الكتاب والسنة ومحكمات العقل. مضافاً إلى التعاضد مع روايات أخرى وإن كانت ضعيفه السند، إلّا أن من تراكمها وإن لم يحصل التواتر والاستفاضه إلّا أنه قد يحصل الوثوق بالصدور. فضلاً عن كون الرواية في الكتب المعتمره - وإن كان اعتبار الكتاب لا يستلزم اعتبار الرواية - أو اعتماد الأصحاب عليها أو غير ذلك من القرائن المقرّره في أبحاث الأصول والفقه والرجال.

السادسة: أن الخبر الضعيف لو غرضنا النظر عن كلّ ما سبق فإنّه يتعلّق به حكم إلزامى وهو حرمه ردّ الخبر ما دام محتمل الصدور، وقد بينا أن حرمه الرد صناعياً في الحقيقة تفسّر بجمله من الأمور:

لزوم الفحص ما دام الاحتمال قائماً عن مضمون الرواية واعتباره بالعرض على المحكمات من الكتاب والسنة والعقل.

عدم جواز الحكم بالنفي مع عدم الدليل على النفي بل اللازم تقرير قيام الاحتمال والعمل بمقتضاه من الفحص والتنقيب.

التسليم الإجمالى أو المعلق على فرض الصدور الواقعى.

قيام الدرجه النازله من العلم وهو أصل التصوّر الموجب للاحتمال المنجز للفحص، وهو يرجع مآلاً إلى نقطه «ألف» وإن كان بينهما فرق فى الإطار والصياغه لا يخفى بعد تبين أن التصوّر منطوق فيه جمله من التصديقات الخفيه مع أوساط براهينها.

السابعة: إن هناك جمله من الأبواب العقائديه والمعرفيه لم يتطرق إليها فى العلوم العقلية الفلسفيه والذوقية العرفانيه إلى يومنا هذا مع كثرتها وخطورتها

وتوفّرها على كنوز القواعد والأسس. نظير المعراج النبوي والرجعه ومفاصل أصعده ومنازل المحشر وعالم الذرّ والميثاق وسدره المنتهى والتمايز بين المقامات الغيبية وحقيقه الإمامه وافتراقهما عن النبوه وافتراقهما عن الرساله، وغيرها من الأبواب التي يجدها المتتبع في درايه وفقه الأخبار وتفاصيل كثيره لعناوين أبواب وفصول معرفيه لم تأت في ذهن الحكماء والعرفاء ولو بدرجه الاحتمال الإجمالي فضلاً عن البحث والتنقيب وبناء عرضيه معطيات وقواعد البحث فيها.

ولا- ريب أنّ ذلك لا يعرف إلا من الوحي والنقل، وهو الوسيله لإدراك ما نزل من الوحي على اختلاف درجات احتماله وطرق إيصاله ووصوله. فهذا العلم بدرجه التصوّر والاحتمال ثروه معرفيه ضخمة، كيف يتسنى للعقل التغاضى والإعراض عنها. هذا فضلاً عما يتوفر إليه من معطيات برهانيه لا يلتفت إليه بالعقل البشرى.

(المعلم والحكيم الإلهي)

قال الله تعالى: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» .

وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام :

فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسى نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم آيات المقدره من سقف مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعاش تحييمهم وآجال تفيهم وأوصاب تهرمهم وأحداث تتابع عليهم(1).

فإنّ مقام التعليم والتذكير وإثارة دفائن العقول التي هي عباره عن التنبيه والإلفات إلى الدلائل والبيانات يغير مقام الولاية والطاعه أى الحجية التعبدية، بل هو مقام بيان الحجية العلمية. وإنّ عمده كلمات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام التي هي فى المعارف والحكمه هي من الحجية العلمية بمعنى إبلاغ العلوم والحقائق المتضمّنه للدليل والبرهان، ومن ثمّ عبّر عن إبلاغهم هذا بالتذكير لأنهم يذكرون العقول بفطرياتها الأولية التي تهديها إلى حقائق الأمور والحكمه.

ص: ٢٨

فإذا كان هذا هو الشأن الأكبر للأنبياء عليهم السلام والرسول عليهم السلام والأوصياء عليهم السلام فكيف يُعرض عن كلماتهم. ومن ذلك يتبين أنّ أحد وجوه حججه القرآن - بل هي من عظام حججه - البينات والبراهين المطويه في بيناته لا من جهة قطعيه صدوره وسنده. وهكذا الحال في روايات وأحاديث المعارف والحكم والآداب، فإنّ حجّيتها لا تنحصر من جهة اعتبار صدورها بل لما تتضمّنه من بيانات حكميه وبراهين ودلالات.

فالعزوف عنها عزوف عن العلم الإلهي العظيم ومشاركه للنهر الكبير وعكوف على الجداول الراكده الكدره بأخطاء البشر، فلا بدّ من التمييز بين الحجّيه التعبديه بما لهم من ولايه الطاعه والانقياد والمتابعه وبين مقامهم كحجّيه علميه معرفيه.

وقد روى عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لرجل:

تمصّون الثماد وتدعون النهر الأعظم؟! فقال له الرجل: ما تعنى بهذا يا بن رسول الله؟ فقال:

علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم علم النبيين بأسره وأوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجعله محمد عند علي عليه السلام . فقال الرجل:

فعلى عليه السلام أفضل أو بعض الأنبياء؟ فنظر أبو عبد الله عليه السلام إلى بعض أصحابه فقال:

إنّ الله يفتح مسامع من يشاء أقول له إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل ذلك كلّه عند علي عليه السلام فيقول علي أعلم أو بعض الأنبياء! (١).

وقد وصف القرآن الكريم والكتب السماويه بالذكر في عشرات بل مئات الآيات كما وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ذكر أيضاً فقال عز من قائل: «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ» ٢ والذكر والتذكّر للأوليات والفطريات في العقل والفطره الإنسانيه هي إثاره ودلاله على الحججه العقلية في الكتاب وخطابات الشرع.

وقد وصف القرآن أيضاً بالبرهان في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ

ص: ٢٩

بُزْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا»^١ فَإِنَّ الْخَطَابَ هُنَا مُتَوَجِّهٌ إِلَى عَمُومِ النَّاسِ لَا خُصُوصَ مِنْ آمَنَ.

كما وصف القرآن بأنه نور مبين وقد وصفت الآيات الذكر الحكيم بالنور في عشرات الموارد. و النور هو الكاشف لنفسه والكاشف عن غيره من الواقعيّات والحقائق.

كما وصفت آيات الله لدى أنبيائه بالبينه والبيّنات ووصف أيضاً بالحقّ المبين والتبيان، وهو قريب من معنى النور والمنير كما وصف بأنه بصائر وحكمه بالغه، فقال: «قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا»^٢.

والبصائر جمع بصيره، ويقال لقوّ القلب المدركه بصيره وبصر، ويقال لرؤيه القلب وللمعرفه والتحقّق منها^(١). والبصيره الاستبصار واليقين^(٢)، والبصر نفاذ في القلب، والبصر العلم، وبصرت للشىء علمته، والتبصر التأمل والتعرّف. وقيل إنه بمعنى الفطنه والعلم وأنه الحججه الواضحه لا لبس فيها. وقيل: إِنَّ البصيره قد تكون حسيه وقد تكون عقليه وقد تكون كشفيّه.

ووصف أيضاً بأنه لا ريب فيه، وأنه شفاء لما في الصدور، وأنه الهدى والهدايه ويهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام.

والهدى كما في صحاح الجوهري الرشاد والدلاله، أو الدلاله على الخير في الدنيا والآخره، كما في قوله تعالى: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ»^٥ والريبه الظنّ والشك والتهمه. وكما في قوله تعالى: «أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ

ص: ٣٠

١- (٣) . مفردات الراغب.

٢- (٤) . رسائل السيد المرتضى ١١٢ / ٤ .

وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ وَالْهُدَىٰ فِي مَقَابِلِ الْعَمَىٰ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

«فَاسْتَجِبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ» ٢.

وكذا في مقابل الضلالة: «إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» .

وورد في دعائه عليه السلام في الصحيحه السجديه عند ختم القرآن: «وجعلته نوراً نهتدى من ظلم الجهاله باتباعه ... نور هدى لا يُطفأ عن الشاهدين برهانه».

وفي كتاب العين: «الهدى نقيض الضلاله والدليل يسمى هادياً».

وفي الصحاح: «هديته الطريق أى عرّفته».

وفي الفروق اللغويه: «الهدى: الدلاله فإذا كان مستقيماً فهو الدلاله إلى الصواب والإيمان هدى لأنه دلاله إلى الجنّه: والفرق بين الإرشاد والهدايه أنّ الإرشاد إلى الشىء هو التطريق إليه والتبيين له والهدايه هى التمكّن من الوصول إليه».

وقال تعالى: «وَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا» ٣.

وقد أكّد القرآن في دعوته كراراً على التعقل وأنه يخاطب أولى الألباب والذين يعقلون.

وكذلك أكّد على التعقل في مقابل الصمم والعمى العقليين كما في قول الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا»

وهذه الآيه جامعها لأبصار العيون وأبصار الظنون قال الله تعالى: «فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» (١).

كما وصف ما أتى به الأنبياء عليهم السلام فى الآيات العديده بأنّه من الحكمه كما فى

ص: ٣١

١- (٤) . مستدرک الوسائل / أبواب جهاد النفس / ب ٢ / ح ٤ .

«فأتاه الله الملك والحكمه وعلمه ممّا يشاء» (١).

وكما فى شأن عيسى حيث قال تعالى: «قال قد جئتكم بالحكمه و لأبين لكم بعض الذى تخلفون فيه» وفى شأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «أدع إلى سبيل ربك بالحكمه...» ٢ وأيضاً قوله تعالى: «و يعلمهم الكتاب والحكمه» وتذكير بنى إسرائيل: «واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمه» .

وقال تعالى فى شأن لقمان - وقد عقد القرآن سوره كامله فى شأنه - : «ولقد آتينا لقمان الحكمه» .

وقد قال تعالى: «فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم و حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن» ٣.

ومقتضى ارتباط الآيه للتي قبلها: «أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبه الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم و أشد قوه و آثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون» وإن كان يناسب كون العلم الذى فرحوا به وكذبوا الرسل هو علم تدبير المعاش، إلا أنه بقرينه إرادته جميع الأمم التى من قبل، لا ينحصر العلم فى علم المعاش وإن أطلق عليه أيضاً كما فى قوله تعالى: «يعلمون ظاهراً من الحياه الدنيا و هم عن الآخره هم غافلون» ٤ فإن اليهود مثلاً كذبوا بعيسى فرحين بما عندهم من العلم بالشرائع السابقه، كما أنّ الصابئه لم تؤمن بجملة من الرسل من بنى إسرائيل فرحاً بما عندهم من علم الدين السابق، كما أنّ تكذيب قريش واليهود للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً هو فرحاً بما عندهم من علم بالمله الإبراهيميه.

والحاصل: أنّ فى الآيه تعميم لكلّ الأقسام التى سبقت من لدن آدم حتى النبى

الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم . ومن ثم صح ما حكاه الطبرسى والرازى من بعض الوجوه المراده من العلم الذى فرحوا به أنه يريد علم الفلاسفه والدهريين من بنى يونان و كانوا إذا سمعوا بوحى الله صغروا علم الأنبياء إلى علمهم. وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له أو هاجرت إليه؟ فقال: نحن قوم مهذبون فلا حاجه إلى من يهذبنا(١)، انتهى.

وعن الجزائرى: إن عيسى لما دعا أفلاطون إلى التصديق بما جاء به أجاب بأن عيسى رسول إلى ضعفه العقول وأما أنا وأمثالى فلننا نحتاج فى المعرفه إلى إرسال الأنبياء(٢).

والحاصل: أن تكذيب الرسل من قبل الأمم كما فى اليهود لعيسى عليه السلام والصابئه لأنبياء بنى إسرائيل وأهل الكتاب لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن لإنكارهم أصل التوحيد والغيب وإنما كان إنكارهم للشرائع التى أتى بها الأنبياء والحكم والآداب والمعارف فرحاً بما عندهم من آراء وعلوم.

الدعوة إلى التعقل فى وصيه الإمام الكاظم عليه السلام

وقد أكد القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام فى دعوتهما وخطابهما على التعقل والتصديق بالمعرفه. وهذا مما يقتضى أن فى بيان القرآن والعترة إفصاح عن الدليل والبرهان وعن الحكمة، وأن الغايه من هدايتهما إيصال المخاطب إلى التصديق عن الدليل واليقين تفصيلى لا- التصديق عن دليل إجمالى، وذلك عبر إثارة وتحفيز عقل المخاطب وتنبهه إلى وجوه الأدله والبراهين والحكمه فى الأشياء.

ففى وصيه موسى بن جعفر عليه السلام لهشام قال:

يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم فى كتابه فقال: «بشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

ص: ٣٣

١- (١). جوامع الجامع: ٣ / ٢٥٤، وبحار الأنوار: ٦٠ /

٢- (٢). الحدائق الناضره ١ / ١٢٦ - ١٢٨ عن الأنوار النعمانيه، ومصباح الفقيه: ٧ / ٢٧٥ .

و هذا مما يؤكد أنّ خطاب القرآن وبيانه يعتمد على البيان العقلي ودلالات الحكمه ولذلك يشير عليه السلام فى بقيه وصيته بقوله:

يا هشام إنّ الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول ونصر النبيين بالبيان ودلّهم على ربوبيته بالأدله فقال: «وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيحُ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَيَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » ... يا هشام إنّ العقل مع العلم فقال له: «وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ »

يا هشام ثم ذمّ الذين لا يعقلون فقال: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ » وقال: «وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » وقال: «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ » وقال: «أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً » وقال: «لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسِهِمْ يَنْهَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ » وقال: «وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »

وفى هذه الآيات كما أشار عليه السلام تأكيد على ذمّ عدم التعقل وأنه يوجب الصم والعمى و هذا مما يؤكد أنّ حجج الوحي حججاً عقليه ويدركها العقل إذا فعل ونشّط واستعمل ولم تحجبه الموانع.

وأنّ الحجة العقليه والمعرفيه والعلميه وإدراكها من القرآن الكريم أعلى مرتبه من إدراك الحجج بنمط تعبدي ظنى.

وكيف يحثّ الوحي على التعقل والعلم ويذمّ عدم التعقل ثم لا تكون بياناته عقلية علميه معرفيه حكميه؟!

وقال عليه السلام :

يا هشام ثم ذكر أولى الألباب بأحسن الذكر وحلّاهم بأحسن الحليه فقال:

«يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ مَا يَدَّكُرُ إِلَّا - أُولُوا الْأَلْبَابِ » وقال: «وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَدَّكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ » ... وقال: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ » وقال: «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَ أَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَ ذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ » وقال: «وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » يا هشام إنّ الله تعالى يقول في كتابه:

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ » يعنى العقل وقال: «وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ » قال:

الفهم والعقل.

والتأكيد على تذکر أولى الألباب قد جاء فى عشرات الآيات مما يعطى دلالة على أنّ حجج الوحي وبياناته تعتمد على تذکیر العقول والفظره بالحجج العقلية والفظريه وأنّ من أهمّ أدوار الرسول و القرآن الكريم التذکیر، والتذکیر ليس حجّه تعبديه بل هو إقامه الحججه العقلية العلميه والتنبيه عليها وإثارتها لدى العقل. وإلى هذا يشير قوله عليه السلام :

يا هشام ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلّاليعقلوا عن الله فأحسنهم استجاباه أحسنهم معرفه وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً وأكملهم عقلاً أرفعهم درجه فى الدنيا والآخرة.

وفى هذا التصريح منه عليه السلام بيان بليغ على أنّ الغايه الكبرى والحججه العليا للرسول فى بياناتهم فى الحججه العقلية المعرفيه لا الإدراك التعبدى الظنى المبهم.

فكيف يفتر الأنبياء والرسول والأئمه عليهم السلام فى بياناتهم عن هذه الوظيفه الأهمّ كبرى مسؤولياتهم الملقاه على عاتقهم.

وقال عليه السلام أيضاً:

إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلًا وَدَلِيلَ الْعَقْلِ التَّفَكُّرُ وَدَلِيلَ التَّفَكُّرِ الصَّمْتُ.

ويشير عليه السلام إلى أن التفكير الذي دعا إليه القرآن الكريم في عشرات الآيات وكذلك التدبر في جملة من الآيات هو الأساس في خطاب وبيانات القرآن الكريم، أي أن بياناته تعتمد على التعقل والتفكر ومن ثم التسليم والانقياد عن فكر وتعقل لا عن طاعه مبهمه.

إن بين التصديق العلمى والتصديق التعبدى بونا شاسعا، حيث إن التصديق المتعلق بالقضايا والذي يقال عنه بالحكم فى القضيـه ويسمى بالإذعان أيضاً، إنما يوجد وليداً عن الدليل والبيان الموصل للقضيـه كنتيجه، فكلما ازدادت المقدمات الموصله للنتيجه بياناً ووضوحاً وبرهاناً ازداد الإحكام والإذعان والتسليم فيزداد الانقياد والإخبات والمتابعه وهى الطاعه.

ومن ثم ذكروا فى بحوث صناعه البرهان فى المنطق أن اليقين الحاصل من البرهان يقين مرگب عن صدق الشىء ونفى نقيضه النابع من الضروره الذاتيه وهو أثبت قراراً لليقين من اليقين البسيط، أى أن كلما ازداد الدليل بياناً للعلاقه بين الحكم (المحمول) والموضوع تولد منه يقين بثبوت الشىء ونفى نقيضه.

فكلما كان اليقين بالقضيـه بهذا الوصف كان ذلك أدم فى صدقها وأكثر قراراً لمطابقتها للواقع. ومن ذلك يظهر أن التصديق والتسليم والإذعان عن دليل أشد إحكاماً من التصديق والتسليم والإذعان عن دليل إجمالى.

فمن ثم يكون التصديق والطاعه عن بصيره وبيان وحكمه واهتداء للحقيقه ونور وإبصار للواقعيه أشد يقيناً وإحكاماً من التصديق التعبدى عن إجمال وإبهام.

ولأجل ذلك تفاوت درجات ومقامات المؤمنين لاختلاف درجات يقينهم وشده تصديقهم النابعه عن اختلاف درجات علمهم ومعرفتهم وبصائرهم. فمنهم من كان يرجو لقاء ربه ومنهم من كانوا يظنون أنهم ملائقوا ربهم ومنهم من كانوا «بِالْمَآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» .

فيتبين أن الحجيه العلميه التى تدرك عن علم وبصيره وهدايه وحكمه وتذكر

وتدبّر وتفكّر وتعقل وتبين، أشدّ يقيناً وتسليماً وانقياداً وطاعة من الحجّيه التعبدية التي لا ثبات لها في الاستحكام والإحكام في التصديق والتسليم والطاعة بمثل الحجّيه العلميه. ومن ثم قال عليه السلام في الوصيه:

يا هشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من العقل(١).

ص: ٣٧

١- (١). الكافي ١ / ١٢ - ٢٠ .

المعلم الإلهي قوه عقل خارجيه (زياده فى العقل من الخارج)

إنّ هناك إطلاقات وتسميات للحجيه فتاره تطلق على المدرك والمعلوم الموصول إلى معلوم آخر، وأخرى تطلق على القوه المدركه وهى العقل. والوصول إلى إدراك النتيجة بنحو يقينى وإن كان للمعلومات والمقدمات دور هام، إلّا أنّ للقوه المدركه وحركه الفكر مثلاً دور آخر أيضاً هام، ولا يمكن التفريط بأحد الدورين.

وبعبارة أخرى فى حصول نصاب الحجيه لا بدّ من توفر عدّه أركان:

الأول: القوه المدركه.

الثانى: الدليل الكاشف وقد يطلق عليه النور.

الثالث: المدرك من الواقع والحقيقه والأشياء.

الرابع: قد يطلق لعمليه نفس الإدراك والفهم كفعل للقوه المدركه، فمع وجود النور والعين الباصره كالعقل والمبصير إذالم يقع فعل الإدراك لا يتم نصاب الحجيه. فالفهم والفتنه من الأفعال التى لا بدّ منها فى اكتمال ذلك النصاب.

والحجيه تطلق على كلّ واحد من هذه الأربعة.

والدارج إطلاق الحجيه على الثانى فقط و هذا من الغفلات الحاصله فى البحوث المنطقيه والفلسفيه من بعد ابن سينا.

بينما أطلق كثيراً في الآيات والروايات على كل واحد من هذه الأركان. وفي الحقيقة أنّ لكل واحد من هذه الأركان دور يبلغ في حصول الإدراك من المدرك للمدرك ويعبر عنه بالحجيه.

ونلاحظ هذه التسميه في قول الإمام الكاظم عليه السلام :

يا هشام إنّ لله على الناس حجتين: حجّه ظاهره وحجه باطنه، فأما ظاهره فالرسل والأنبياء والأئمه عليهم السلام ، وأما الباطنه فالعقول(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام :

حجه الله على العباد النبي وحجه الله فيما بين العباد وبين الله العقل(٢).

وإطلاق الحججه هنا على القوه العاقله لا على المدرك ولا على الدلائل الداله على النتيجة. وقد صرح بذلك في قول الإمام الهادي عليه السلام عندما سأله ابن السكيت عن حجج الأنبياء فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قطّ فما الحججه على الخلق اليوم؟ فقال عليه السلام :

العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقّه والكاذب على الله فيكذّبه(٣).

وقد صرح فيه بإطلاق الحججه على القوه المدركه.

ومن هنا يتضح أنّ الأنبياء والأوصياء بمثابة قوى مدركه للغيب فتكون كالقوى الخارجه للإنسان يستعين بها في الإدراك.

وفي حديث جنود العقل عن الصادق عليه السلام أنّ من جنود العقل التصديق والعلم والفهم والفظنه والمعرفه والحكمه، حيث قد تميز بين القوه المدركه المدبره وعملية الإدراك والفهم والمدرك وهى الحكمه.

الخامس: الطريق الموصل للإدراك يعبر عنه بنهج المعرفه أو القواعد المنطقيه

ص: ٣٩

١- (١) . الكافي ١ / ١٦ .

٢- (٢) . الكافي ١ / ٢٥ .

٣- (٣) . الكافي ١ / ٢٥ .

التي على ضوءها يسدّد الإنسان في تفكيره وهو من إطلاق الحجّيه على المنطق حيث يحدّد طريقه حركة الفكر في التصوّر وطريقه التصديق أيضاً.

وإطلاق الحجّيه على القواعد المنطقيه مناسبتة أنّ تلك القواعد هي التي تولّد وتعطي وتكسب صفه الحجّيه للاستدلال والاستنتاج، ومن ثم كان طريقاً موصولاً إلى الإدراك الذي هو نحو من الوصول للمطلوب.

ولا يخفى أنّ هناك مدارس منطقيه عديده، وللقرآن وسنّه المعصومين مدرسه منطقيه متميزه عن تلك المدارس. فإنّ جملة من المدارس المنطقيه قد تركز على الجانب العلمى على أنماط معينه من مستقى العلم كالمنطق الأرسطى والمنطق الرياضى والرقمى والإحصائى الاستقرائى.

بينما بعض المدارس المنطقيه الأخرى تركز على الجانب العلمى والنفسى كالمنطق النفسانى والمنطق الاجتماعى والمنطق الأخلاقى وغيرها من المدارس المنطقيه حيث إنّها تعتنى بجانب مما يؤثر في إدراك واستنتاج الإنسان وتهمل جوانب عديده أخرى مع أنّها في ما اهتمّت فيه لم تستوف كلّ ذلك الجانب.

بينما منظومه المنطق في الكتاب والسنّه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والعتره عليهم السلام قد أوصت بتعاليم شامله لجميع جوانب الإنسان وبُين بأنّ مخالفه كل توصيه منها يوجب عدم اهتداء الإنسان إلى الحقيقه ويظلّ ويحيل عنها وأنّ تلك الوصايا ليست تسدّد وتعصم الإنسان في إبصار الحقيقه فقط، بل تزيد قوه تعقل الإنسان وإدراكه وقوّه إبصاره للحقائق.

فهذه التوصيات لا بدّ منها لزياده العلم فهي دخيله لزياده المعرفه وتناميها لا في سدادها فحسب وهذا من امتيازات المدرسه المنطقيه القرآنيه. وهذه المنظومه من التوصيات والقواعد يطلق عليها الحجّيه أيضاً لدخالها في تكوين وإصابه الإدراك الصحيح وفي الوصول للحقيقه سواء على صعيد الحكمه النظرية أو الحكمه العمليه.

كما فى قوله تعالى: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» فتبين هذه الآيه أن المنظومه المنطقيه التى لا بد من مراعاتها كى تحصل الهدايه هى منظومه التقوى ومراعاة الشريعة فى كل أبوابها وتجنب الريب والشك بالاعتماد على الفحص والتنقيب.

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا» وقوله تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ» وقوله تعالى: «وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى» ١ فتبين الآيه أن التسليم للحقيقه يزيد الإنسان علماً بما وراء ذلك من الحقائق.

وقوله تعالى: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» ٢ فتبين أن ارتكاب الرذائل والمعاصى يؤدى إلى احتجاب الحقائق عن الإنسان.

وقوله تعالى: «وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» ٣ إلى غير ذلك من الآيات الكثيره التى تبين احتياج الفاسقين لفسقهم والظالمين لظلمهم والمسرفين والكاذبين لذلك، كما فى قوله تعالى: «لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» ، «لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الكَافِرِينَ» و «لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ» .

مقام الهدايه

بل إن للقرآن والسنة مقاماً يفوق الحجيه العلميه وهو مقام حصر العلم النافع الهادى بالوحى الإلهى من الكتاب والسنة، وأن الهدايه و النور منحصره بهما وافتراق الهدايه عن مطلق العلم:

١ - لأن لكل علم غايه و تلك الغايه حدّه ومنتهاه فوراها غايات وحدود.

٢ - فإذا لم توجه غايه العلم تجاه وفى طريق الغايات الأكمل فإن العلم

وغايته قد يوظف إلى غايات رديّه وسبل لا تصبّ في الكمال بل تصبّ في النقيصه والشرور.

٣- و هذا بخلاف الهدايه فإنه توظيف لجملة العلوم إلى ما وراء غايتها في سبيل الكمال والخير والسعاده. ومن هنا يتبين برهانياً أنّ العلم بما له من الغايه والحدود لا يهيمن على المسار العام للمعرفه والكمال، وإتّما حدود كلّ علم هو المقدار الذي يحيط ذلك العلم فلا يشرف على ما وراءه وبالتالي فلا يحدّد العلم خارج دائرته ومحدودته المسار الذي يقع فيه.

و بعباره أخرى: التوظيف والاستثمار فرّتما يستخدم للشرور بدل الخيرات والكمالات، وللرذائل وانتكاس الطبيعه البشريه بدل اعتلائها سلاله التكامل، ومن ثم استحدثت في نُظْم العلوم الحديثه ومناهج المعرفه نظاماً لبيان كيفيه التوظيف للعلوم تجاه غايات بعيده ليست في متناول ذلك العلم.

٤- ومن ثمّ كلّ علم بمفرده لا يمكنه التحكّم في كيفيه استثمار غايته فلا بدّ هناك من علم جامع آخر هو الذي يفيد نظاماً في السبل والمسارات والطرق التي ينتفع بها من العلوم بحيث تكون هادفه موظّفه ومستخدمه في طريق الحكمه لا الجهاله والسفه، و هذا هو الدور الذي تقوم به الهدايه.

٥- وحيث إنّ الإحاطه بتمام مصير التكامل للإنسانيه والآفاق الممكنه لها أمر لا يحيط به بتفاصيله العقل الفطري المحدود البشري ولا-العقل التجريبي ولا-العقول الأخرى، بل لا يحيط بهذا النظم والنظام في المسير والمسار ومخطّط الأهداف بنحو إحاطي إلابّ العالمين، فمن ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل:

ومن التمس الهدى في غيره (القرآن) أضلّه الله (١).

وقال الإمام العسكري عليه السلام:

من طلب الهدى في غيره أضلّه الله (٢).

ص: ٤٢

١- (١). بحار الأنوار ٨٩ / ٢٤.

٢- (٢). بحار الأنوار ٨٩ / ٣١.

وفى تفسير العياشى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

من ابتغى العلم فى غيره أضله الله (١).

ورواه محمد بن سليمان الكوفى فى كتابه مناقب أمير المؤمنين عليه السلام :

من ابتغى الهدى فى غيره أضله الله (٢).

ورواه قاضى نعمان فى شرح الأخبار (٣).

وفى الأمالى للصدوق عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

من ابتغى علمه عند غير على عليه السلام فقد هلك ... ومن طلب الهدى فى غيرهم فقد كذبنى (٤).

وفى الزياره الجامعه المرويه فى التهذيب والفقيه:

والمتأخر عنكم زاهق.

وفى تحف العقول فى وصيه أمير المؤمنين لكميل بن زياد:

يا كميل إن لم تحب أخاك فليست أخاه، إن المؤمن من قال هو لنا فمن تخلف عنه قصر عنا ومن قصر عنا لم يلحق بنا ومن لم يكن معنا ففى الدرك الأسفل من النار (٥).

ص: ٤٣

١- (١) . بحار الأنوار / ٨٩ / ٢٧ .

٢- (٢) . مناقب أمير المؤمنين عليه السلام / ٣٠ و ٣١ .

٣- (٣) . شرح الأخبار / ٢ / ٣١٠ .

٤- (٤) . الأمالى / ١٢٢ .

٥- (٥) . تحف العقول / ١٧٣ .

فالبيان الوحياني محيط بالحقيقه دون البيان العقلي المحدود بالرأى والوهم.

فإنّ البيان الوحياني فوق البيان العقلي المحدود المسمى فى لسان الروايات وكلمات الفلاسفه أيضاً بالوهم أى العقل المحدود. بل البيان الوحياني فوق البيان العقلي المطلق لأنّ الثانى دون الإحاطه بالحقيقه الأزليه الأبدية السرمدية فلا عبور من ذلك المقام إلّا عبر الوحي وبعد ذلك يمرّ بالعقل.

ومن ثمّ وصف صلى الله عليه وآله وسلم «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ»^١ وهو أعظم كمال من التعقل كما فى «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» .

بيان ذلك: قد قرّر فى البحوث المتعدده من العلوم المنطقيه أنّ الحد الحقيقى لكنه الأشياء لا- يعلمه إلّا الخالق للأشياء، وما الحدود التى تذكر فى العلوم المختلفه إلّا رسوم وليست بحدود، أى تعاريف تذكر فيها خواص وعوارض لا ما هو من ذاتياتها. فمن ثم لا يكون التعريف مطرداً ولا منعكساً وبالتالي تكون الرؤيه للأمور والأشياء من بعد بعيد، وهذا بخلاف التعريف الذى يأتى فى الإطار والكلام الإلهى الوحياني فإنه سواء كان من سنخ المعنى أو اللفظ يكون متطابقاً

طباقاً مع حدود ذوات الأمور والأشياء «ألا- يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» وهذا الشأن مطرد سواء في ذوات الأمور أم مناسباتها مع بعضها البعض أم آجالها ومدتها وعدتها أم تداعيات أشعه وآثار وجودها. ومن ثم القياس بين البيان الوحياني والبيان البشرى كالقياس بين عظمه الخالق وصغر المخلوق؛ هذا أولاً.

وثانياً أنّ مراتب المخلوقين ودرجات الخلقه هي في نفسها متخالفه في الإدراك لتخالف القوى الإدراكية في نفسها فيما بينها إما بحسب درجات وجودها أو بحسب الأشخاص وقابلياتهم، ومن ثم يتبين انضباط إطار المعانى والإطار اللفظى الذى يعتمد فى لسان الوحي فى التعبير عن الحقائق عن الإطار الذى يعتمد فى كلمات الحكمة البشريه من العلوم الفلسفيه والكلاميه والعرفانيه.

وثالثاً أنّ السير فى عساعس كل عوالم الوجود ليس من نصيب القدرات البشريه لدى أصحاب علوم المعارف بينما هي من نصيب رجال الغيب والملكوت من الأنبياء والرسل والأوصياء وكم فرق بين من يرمى الغيب رجماً من بعيد وبين من جال خلال ديار تلك النشآت.

ورابعاً أن الوحي يمتاز بالتطابق للحقيقه ويوسع منظومته على وفق مطابقات متتاليه للحقائق فى الترامى والترابط، بينما النتائج البشرى تختل حلقاته بالإخفاق ولو فى حلقه واحده مما يتسبب الاختلال فى كافة الحلقات المتعاقبه عليه.

٢ - قاعده فى معرفه صفات أهل البيت : و كون الصفات الإلهيه فوفها (٨٢-٤٧)

اشاره

ص:٤٧

إن من القواعد الهامه في المعرفه، تمييز صفات المخلوق عن الخالق وتميز الصفات الخلقية عن الصفات الإلهيه. و هذا البحث وإن بدا في الوهله الأولى سهل المنال إلماً أنه في الحقيقه قد عثر فيه الكثير بل هو بحث يستعصى على الأعم الأغلب و ذلك لأمر:

١ - العجز عن إدراك جملة من الأفعال العظيمه، فيتعاضمون صفاتها ويحسبون أن هذه الصفات صفات إلهيه، مع أنها صفات وأفعال تسند إلى المكرمين في الخلقه الإلهيه فمن ثم يحصل الإرباك والاضطراب في إسنادها.

٢ - لا سيما وأنها تسند أيضاً إلى البارى تعالى باعتبار أن الله تعالى مفيض كل شىء والقائم على كل ذلك، وأن هذه الأفعال والصفات لشرافتها وخلوصها عن شوائب الناس صالحه لأن تسند إلى الحضرة الإلهيه ولكن هذا الإسناد من باب إسناد الأفعال وصفات الفعل لا صفات الذات.

وبعبارة أخرى: أن المعروف لديهم أن الصفات تنقسم إلى صفات ذاتيه وصفات فعليه أى ناشئه ومشتقه من الأفعال، والأفعال عند الفلاسفه طراً صادره من الحضرة الإلهيه عبر الصادر الأول لكن ما منه الوجود فهو الله تعالى لا شريك له بخلاف ما به الوجود فهي وسائط الفيض.

وحيثند يقع الالتباس فإنها صفات الفعل والأفعال في حين إسنادها إلى

البارى تعالى يسند إلى المكرمين فى الخلقه، لكن اسنادها إلى الله من باب إسناد الصفات الفعلية إليه تعالى.

٣ - قد يكون الصفات بالنسبه إلى تلك الوسائط صفات ذاتيه لهم، فى الوقت الذى تكون الصفه بعينها صفه فعلية للبارى تعالى. وهذا هو الفرق الفارق والفيصل الفاصل بين الصفات الخلقية والصفات الإلهيه وكيفيه إسناد الأفعال.

٤ - على ضوء ذلك فإنّ الكثير عندما لا يحقّق ولا يتحقّق لديه فى البحث التفصيلي فى الصفات والأفعال أنّ هذه من الصفات الفعلية فيرتكز لديه أنّ هذه الصفات من الصفات الخاصّه الإلهيه فى الإسناد على وتيره الصفات الذاتيه، فيحكم بأنّ من يسندها إلى ذوات المكرمين فى الخلقه قد قال بالألوهيه لتلك الذوات ولم يتفطن أنّ هذه الصفات فعلية للذات الإلهيه أى منشأها الفعل لا من الصفات الذاتيه.

٥ - ربما تكون هذه القاعده واضحه من حيث الإطار العامّ لدى البعض الآخر إلّا أنّه لدى التطبيق والتفصيل فى الموارد لا يأنس بهذه القاعده والضابطه فى كثير من الصفات والأفعال.

٦ - وليمثل ذلك مثلاً من العلوم التجريبيه الحديثه فإنّه خير شاهد برهاني على معنى القاعده العقليه. فإنّ ما شهدته التطورات الحديثه والرقية التقنيه الصناعيه من صناعات مذهله فى القرن الأخير، كالتائر والصحن الطائر لا سيما تلك التى تفوق سرعتها الصوت أو الأعمار الصناعيه التى تصبح فى جوّ الهواء المحيط بالأرض وتتحكّم فى إقامه الاتصالات المليونيه بين نقاط الأرض وتربط أقصى نقطه من الأرض بأبعد نقطه أخرى فى ظرف ثوانٍ، وكذلك جهاز الكمبيوتر لا سيّما الأنواع والأقسام الضخمه منه الحاوى للملايين من المعلومات والعلوم والذى يقوم بعملية حسابيه تشتمل على الآلاف المؤلّفه من المراحل الحسابيه وكل ذلك يوضع فى صحيفه صغيره، وكذلك ما فى مجهر النانومتر وهو

الذى يكبر الأحجام الصغيره بقدره من حجم الألف على المليون أى الألف على ألف من جهه الصغر، وكذلك الطاقه الذريه للانشطار الذريه والطاقه الهائله المنتجه منه فضلاً عن الاندماج الذري، وأشعه الليزر وأشعه تحت الحمراء وفوق البنفسجيه والتطور البيولوجى التقنى، وكذلك ما يشهده صعيد الهندسه الوراثيه بالاستنساخ، وكذلك الثوره العلميه الميكروبيه والإلكترونيه وغيرها من القفزات الهائله التى شهدتها البشريه فى هذه العصور الأخيره حتى أنه لو سمع الجيل البشرى قبل قرن بهذه الأمور لعدّوها من الأسطورات والخرافات.

فإذا كان هذا شأن العلوم التجريبيه الحسيه المكشوفه للبشر بالتجربه والجهد البشرى فكيف بالعلوم والمعارف الغامضه الإلهيه التى لا تدرك بالحواس ولا تضبطه الأوهام ولا يتحمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، بل لا تقاس هذه المعارف الإلهيه بالتطورات العلميه البشريه. ومن الطبيعى أنه لو سمع أحد ممن لم يتعمق فى المعارف بنضج عالى نزر يسير من بحار تلك المعارف والعلوم التى هى لا- تنال بالجهد البشرى بل هى فوق طاقه جبرائيل وميكائيل والمقربين من الملائكه بل فوق طاقه أولى العزم من الرسل؛ يتسرع إلى الإنكار والجحود والرفض بل لا- يقف عن رمى صاحبها بالتخليط والغلو والارتفاع.

٧ - الوسطيه بين الذاتيه والموضوعيه.

كثيراً ما يقيس الباحث فى علم الكلام أو فى الفلسفه والعرفان أو علم التفسير والحديث فضلاً عن العلوم الأخرى، ميزان الإمكان والامتناع على ما يتصوّره من نفسه من قابليّه واستعداد وإحاطه بالعلوم؛ بدل أن يكون الميزان موضوعياً أى بحسب الواقع، فيجعل الميزان ذاتياً أى ينعكس سعه قابليّه ذاته أو ما يراه من قابليه النخب على تحديد الإمكان الواقعى ومن ثمّ يحدّد الامتناع بذلك أيضاً ويكون الحكم بالإمكان والامتناع يدور مدار المقياس الذاتى لا الموضوعى.

ومن أمثله المقياس والميزان الذاتى هو الحكم على طبق ما توصل إليه السير العلمى فى العلوم التجريبيه مثلاً وأن ما لم يقف عليه العلم البشرى يوضع فى بوتقه الأساطير والخرافات والإغراق والتخليط والمنكر من القول والمستبشع من المقال، وأنه ليس من أهل الوسطيه فى الفكر بل من أهل التطرف عن الاعتدال والخفّه البعيده عن العقلانيه.

وقد ترى الراوى يوصف فى تراجم الرجالين بأنه من الطيّاره وحديثه منكر ولا- يخلو من التخليط وصاحب ارتفاع شديد فى مذهب الطيّاره وكلّ حديثه زور ونحو ذلك من الأوصاف.

وعندما نشير إلى هذا التأثير الذاتى فى نمط التفكير والحكم لا نقرّر لذلك ما تذهب إليه مدرسه التشكيك والمذهب السفسطى والنسيبه المشككه، بل ما نقرّره هو تثبيت لضروره الاحتكام إلى الموازين البديهيّه فى أصل حكم العقل والفطره وتخطئه الاحتكام إلى الإدراكات النظرية الموشّحه بلباس البديهه والحكم المنطقى والإدراك الوسطى.

وقد تقدم أنّ ما توصّلت إليه جملة من العلوم الحديثه والتطورات التى شهدتها والقفزات فى العقود الأخيره ما كان البشر يحكمون بإمكانها فى القرون السابقه بل فى العقود السابقه من هذا القرن ولو قال بها قائل لرمى بالهذيان والجنون.

ومن ثمّ نشاهد أنّ القرآن الكريم يبيّن أنّ موقف الأمم المعانده لأنبيائها ورسالتها هو الحكم على معاجز أنبيائها ورسالتها بأنها سحر أى من التصرف فى الخيال أو كهانه أو شعبذه والجنون أى لم يحكموا بإمكان هذه الأمور، بسبب خروجها عن قدره البشر.

ويشير إلى هذه الظاهره القرآن الكريم كما نبّه على ذلك أهل البيت عليهم السلام فى رواياتهم «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ
وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ « ١.

عن أبي عبد الله عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَصَّنَ عِبَادَهُ بِآيَاتِينَ مِنْ كِتَابِهِ : أَنْ لَا يَقُولُوا حَتَّى يَعْلَمُوا وَلَا يَرُدُّوا مَا لَمْ يَعْلَمُوا إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : « أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ » وَقَالَ : « بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَا تِهِمْ تَأْوِيلُهُ « ٢.

وفى هذا الحديث إشارة إلى قاعدتين منهجيتين فى المعرفة بينهما آيات القرآن الكريم :

الأولى : عدم البناء على قول ومقاله لم يتثبت من الدليل عليها، فما أكثر من يجزم بشىء أو بأمر لم يتبين صحتها من سقمها، وهو إسراع وإفراط فى الإثبات.

والقاعده الثانية : هى الإفراط فى الإنكار بالمسارعه إلى نفى شىء بل نفى إمكانه فضلاً عن وقوعه، من دون التثبت فى ذلك ومن دون الركون إلى أدلته نافية للوقوع فضلاً عن نفيها للإمكان، أو أنه لم يتثبت من أدلته فى مقام الإثبات فى نفي الثبوت والإمكان، فيلتبس عليه الحال بين أدلته الإثبات وإحراز الشىء وبين أدلته إمكان وجود الشىء وثبوته.

فهاتان القاعدتان إحداهما للوقايه والحذر من الإفراط والإسراع فى الإثبات والثانيه للوقايه والحذر من الإسراع والإفراط فى الإنكار والنفى. ولا يخفى أن المراد من السرعة المحذوره هى الخوض فى الإثبات أو الإنكار بحسب المعلومات المحدوده لدى الباحث وقدراته الذاتيه المتواضعه.

فمجموع القاعدتين يشير إلى المنهجيه الوسطيه وهى التوقف عن الإثبات والنفى ولزوم الاستمرار فى البحث والسعى والفحص.

وفى الصحيح : عن أبى جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول :

أما والله إن أحب أصحابى

إِلَى أَوْرَعِهِمْ وَأَفْقَهُمْ وَأَكْتَمَهُمْ لِحَدِيثِنَا، وَإِنَّ أَسْوَأَهُمْ عِنْدِي حَالاً وَأَمَقْتَهُمْ إِلَيَّ الَّذِي إِذَا سَمِعَ الْحَدِيثَ يَنْسِبُ إِلَيْنَا وَيُرْوَى عَنَّا فَلَمْ يَعْقَلْهُ وَلَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُهُ أَشْمَأَزَّ مِنْهُ وَجَحَدَهُ وَكَفَرَ بِمَنْ دَانَ بِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الْحَدِيثَ مِنْ عِنْدِنَا خَرَجَ وَإِلَيْنَا أَسْنَدٌ فَيَكُونُ بِذَلِكَ خَارِجاً مِنْ وَلايَتِنَا(١).

بيان القاعده:

إِنَّ النَّبِيَّ وَأَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِمَا اشْتَمَلَتْ خَلْقَتُهُمْ عَلَى مَرَاتِبٍ عَدِيدَةٍ فَلَهُمْ صِفَاتٌ لَا يَحْتَمِلُهَا مَلَكٌ مَقْرَبٌ وَلَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ وَلَا وَلِيٌّ صَفَى امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، إِذْ جَانِبَ الْخَلْقِ الْإِنْسَانِيَّ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْبَدَنِ فَقَطْ وَلَا الْقُوَى النَّفْسَانِيَّةَ بَلْ يَشْتَمِلُ عَلَى الْمَرْتَبَةِ الْعَقْلِيَّةِ مِنْ قُوَّةِ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ وَالسَّرِّ وَالْخَفِيِّ وَالْأَخْفَى كَمَا جَاءَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَضْلاً عَنْ مَنْ ارْتَقَى إِلَى مَا فَوْقَ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنَ الدَّرَجَةِ الْوَحْيَانِيَّةِ وَالْعِلْمِ اللَّدْنِيِّ وَالْمَقَامَاتِ الْغَيْبِيَّةِ كَمَا يَشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

«قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ» ٢ .

ونظير قوله تعالى في الخضر: «فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا» ٣ .

ونظير قوله تعالى في ذى القرنين: «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا» ٤ .

ونظير قوله تعالى في طالوت: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ» ٥ .

ص: ٥٤

ونظير قوله تعالى: «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» ١ .

وقوله تعالى فى أهل البيت: «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» ٢ .

وقوله تعالى فى شأنهم أيضاً: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ...» .

وغيرها من الشؤون التى ذكرتها الآيات.

فهذه الآيات تثبت لأصفياء الله الحجج حقائق يمتازون بها فوق البشرى، كحقيقه الوحىانيه والبسطه فى العلم والتمكين من الأسباب والارتباط بملكوت الكتاب المكنون والعلم اللدنى، وغيرها من الحقائق التى ركبها الله تعالى فى ذواتهم وتفوقوا فيها على البشر بل على الملائكة المقربين. ومن ثم أسجد تعالى وأخضع وأطوع جميع ملائكته لخليفته فى الأرض فجعل جميع ملائكته المقربين - فضلاً عن غيرهم - يأترون بأمره وينتهون بنهيه، بل فضل الله هؤلاء الصفوه من البشر على روح القدس والأرواح من عالم الأمر فجعلها فى خدمتهم كما فى قوله تعالى: «وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا» .

ومن ثم كانت لهم أفعال وصفات لا تتصورها العقول المحدوده والقاصره، بل تتوهم أن تلك الأفعال والصفات هى من الشؤون الإلهيه المحضه، ومن ثم تستنكر إثبات تلك الصفات والأفعال لهم وتحسبه أنه من التأليه والقول بالربوبيه لهم والحال أن ذلك لا يعدو كون تلك الصفات صفات المخلوقين وأفعالهم ولكنهم تعاضموها وظنوا أنها صفات الخالق.

وقد أكدت طوائف مستفيضه بل متواتره من الروايات على هذا الخطأ وأنه ينشأ منه ثلاثه أخطاء:

الأول: تصغير عظمه الله عزوجل حيث حسبوا أنّ هذه الصفات هي من صفات الذات الإلهي، وأنّ شأن هذه الأفعال هي صدورها ابتداءً ومباشره من الذات الإلهيه، مع أنّ شأن الذات الإلهيه أجلّ وأعزّ وأعلى وأعظم من هذه الصفات ومن صدور هذه الأفعال عنه ابتداءً بالمباشره. حيث إنّ من ضعه هذه الأفعال التباشر معه، فهي صفات وأفعال المخلوقين، إلّا أنّ المخلوق ضعيف وإذا تعاظم عنده الفعل العظيم من المخلوق العظيم حسب أنّ هذا شأن صفه الخالق وفعله.

وقد أشير إلى هذا الخطأ في الروايات سواء عند تيار الغلاه وعند المنكرين والمستنكرين عليهم والمناوئين لهم، حيث قد وقع كلا الطرفين في هذا الخطأ، غايه الأمر أنّ الغلاه ارتكبوا خطأً ثانياً كما سيأتى بيانه ومناوئهم ارتكبوا خطأً ثالثاً كما سيأتى بيانه.

و هذا الخطأ الذي اشتركوا فيه حسبان أنّ هذه الصفات والأفعال هي صفات الذات الإلهيه.

الخطأ الثاني: الذي ارتكبه الغلاه بعد ما أسندوا هذه الصفات والأفعال إلى المخلوقات العظيمه وقد أصابوا في ذلك من هذه الجبهه، إلّا أنّهم وقعوا في خطأً ثان حيث توهموا أنّ استحقاق هذه المخلوقات العظيمه لهذه الصفات والأفعال يوجب استحقاق تلك المخلوقات العظيمه لحقيقه واسم الإلوهيه والربوبيه، وهذا هو الخطأ الثاني الذي وقع فيه الغلاه وهو ناجم ومنشعب عن الخطأ الأول.

الخطأ الثالث: الذي وقع فيه المقصّره المنكرين على الغلاه والمستنكرين لهم هو نفى هذه الصفات والأفعال العظيمه عن المخلوقات العظيمه لتعاظم هذه الصفات والأفعال عندهم وقصورهم عن درك هذه المخلوقات العظيمه.

فكلّ من الغلاه والمقصّره اشتركوا في الخطأ الأول إلّا أنه تميّز الغلاه بالخطأ الثاني والمقصّره بالخطأ الثالث.

وتشير بعض الروايات إلى خطأ الغلاة الأول والثاني:

الرواية الأولى: فقد روى الكشي مسنداً عن علي بن حسان عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: وذكر عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب فقيل: إنه صار إلى بيروذ وقال فيهم: «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ» قال: هو الإمام فقال أبو عبد الله عليه السلام:

لا- و الله لا- يا وبنى وإياه سقف بيت أبداً، هم شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، و الله ما صغر عظمه الله تصغيرهم شيء قطّ، إنّ عزيزاً جال في صدره ما قالت عنه اليهود فمحي الله اسمه من النبوه و الله لو أنّ عيسى أقرّ بما قالت النصارى لأورثه الله صمماً إلى يوم القيامة، و الله لو أقررت بما يقول في أهل الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلّا عبد مملوك لا أقدر على شيء ضرّ ولا نفع (١).

فهؤلاء الغلاة حيث سمعوا أنّ الله تعالى أطوع جميع ملائكته لخليفته في الأرض سواء ملائكة السماوات و الأرض وملائكة الدنيا والآخرة في قوله تعالى:

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» فتعاضم لديهم هذا الشأن فوصفوا خليفه الله وهو الإمام بأنّه في السماء إله وفي الأرض إله.

فتعاضمهم لهذه الصفه ألجأهم لتوصيف خليفه الله المطاع في ملكوت السماوات و الأرض بأنّه إله في السماء وإله في الأرض، وهم بذلك قد صغروا شأن الإله لأنّ شأن الله أعظم من ذلك وإنما هذا شأن المخلوق، فتشير هذه الرواية إلى الخطأ الأول والثاني الذي وقع فيه الغلاة.

الرواية الثانية: روى الصدوق أنّ الإمام عليه السلام كان يقول في دعائه:

اللهم إني أبرأ إليك من الحول والقوه فلا- حول ولا قوه إلّا بك اللهم إني أبرأ إليك من الذين ادعوا لنا ما ليس بحق... اللهم لا تليق الربوبية إلّا بك ولا تصلح الإلهية إلّا لك، فالعن النصارى الذين

ص: ٥٧

صَغَرُوا عَظَمَتَكَ وَالْعَنَ الْمُضَاهِينَ لِقَوْلِهِمْ مِنْ بَرِيَّتِكَ. اللَّهُمَّ إِنَّا عِبِيدُكَ وَأَبْنَاءُ عِبِيدِكَ لَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا. اللَّهُمَّ مِنْ زَعَمِ أَنَّنَا أَرْبَابُ فَحَنَ إِلَيْكَ مِنْهُ بَرَاءٌ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَيْنَا الْخَلْقَ وَعَلَيْنَا الرِّزْقَ فَحَنَ إِلَيْكَ مِنْهُ بَرَاءٌ كِبْرَاءَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّصَارَى. اللَّهُمَّ إِنَّا لَمْ نَدْعُهُمْ إِلَى مَا يَزْعَمُونَ فَلَا تَوَاضَعْنَا بِمَا يَقُولُونَ وَاعْفُرْ لَنَا مَا يَزْعَمُونَ «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاغِرًا كَفَّارًا» (١).

وفى هذا الحديث يبيّن عليه السلام أنّ غلوّ النصارى كان قد أوقعهم فى الخطأ الأول والثانى، حيث إنّ تعاضمهم للأفعال التى رأوها من النبى عيسى أوقعهم فى الخطأ الثانى. فمن ثمّ الغلاة ليس خطأهم فى نسبة هذه الأفعال والصفات الغريبه العظيمة إلى حجج الله كما ظنّ ذلك المقصّيره بل خطأهم ناشى من تقصير الغلاة فى معرفه الله حيث لم يتفطنوا إلى أنّ الصفات والشؤون الإلهيه أعظم من ذلك.

الروايه الثالثه: روى الشيخ فى أماليه قولهم عليهم السلام :

احذروا على شبابكم لا يفسدونهم فإنّ الغلاة شرّ خلق الله يصغرون عظمه الله ويدعون الربوبيه لعباد الله (٢).

والملفت المهمّ فى هذه الروايات تأكيدها على أنّ خطأ الغلاة ليس فى نسبة هذه الصفات والأفعال إلى حجج الله، وإنّما هو تصغير عظمه الله. والغلاة إنّما ارتكبوا ووقعوا فى تصغير عظمه الله حينما حسبوا أنّ هذه الصفات هى صفات إلهيه، لا حينما أسندوها إلى المكزّمين من خلق الله، فمركز الانحراف عند الغلاة هو فى تصغير عظمه الله بجعل هذه الصفات صفات إلهيه لا أنّ أساس انحرافهم فى إسناد هذه الصفات للمقربين من المخلوقين.

فبون شاسع بين ما تشير إليه هذه الروايات من منشأ وحقيقه انحراف الغلاة وبين ما يظنّ المقصّيره أنه السبب فى انحراف الغلاة، فكلا الفريقين وقع فى الخطأ

ص: ٥٨

١- (١). الاعتقادات فى دين الإماميه، الصدوق / ١٠٠ .

٢- (٢). أمالى الطوسى / ٦٥٠، ح ١٣٤٩ .

الأول من تعاضم هذه الصفات لديه إلّا أنّ الغلاة وقعوا في الخطأ الثاني من تسميه المقرّبين بالألوهيه، والمقصره وقعوا في الخطأ الثالث من نفى هذه الصفات عن المقرّبين حذراً من أن يقعوا في الخطأ الثاني، وهم بذلك قد قصّروا في معرفه أولياء الله كما أنّهم قد قصّروا في معرفه الله تعالى فهم قد ارتكبوا تقصيرين، بخلاف الغلاة فإنهم قد ارتكبوا تقصيراً واحداً وإن أفرطوا لا في إسناد الصفات بل في إسناد الألوهيه لمن يستحق هذه الصفات وإفراطهم ناجم من تقصيرهم في معرفه الله جلّ جلاله.

ومن ثمّ حكى عن الميرزا المجدد الكبير الشيرازى عندما سئل عن الفرقه التى تأله علياً عليه السلام قوله للسائلين: «إنّ هذه الفرقه إنما عرفوا عليّاً وجهلوا الله عزوجل فعرفوا لهم الله تعالى» ومراده قدس سره - على ما حكى - التعريض بالسائلين أنكم جهلتم مقام الله ومقام وليه أيضاً.

الروايه الرابعه: روى الصدوق أيضاً عن الرضا عليه السلام :

من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ونحن منه براء فى الدنيا والآخره، يابن خالد إنما وضع الأخبار عنا فى التشبيه والجبر الغلاة الذين صغّروا عظمه الله تعالى فمن أحبهم فقد أبغضنا ومن أبغضهم فقد أحبنا، ومن والاهم فقد عادانا ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برّنا ومن برّهم فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا ومن أهانهم فقد أكرمنا، ومن قبلهم فقد ردّنا ومن ردّهم فقد قبلنا، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا، ومن صدّقهم فقد كذّبنا ومن كذّبهم فقد صدّقنا، ومن أعطاهم فقد حرّمنا ومن حرّمهم فقد أعطانا. يابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذون منهم ولياً ولا نصيراً(١).

وفى هذه الروايه دلالة على أنّ موضع ومركز الانحراف عند الغلاة هو

ص: ٥٩

تصغيرهم عظمه الله تعالى، لا إسنادهم ذلك النمط من الصفات والأفعال إلى المقرّبين.

نعم هم غلوا وأفرطوا ورفعوا حدّ أهل البيت وأولياء الله فوق حدّهم من العبودية إلى الربوبية والألوهية، والذي هو الخطأ الثاني.

والتفكيك بين الخطأ من الصواب في مباحث المعرفة أمر يستعصى على النقاد الحدّاق ويخفى على الأوحدي من أهل التحقيق فضلاً عن غيرهم من أهل العلم فكيف بعامة الناس، فإما يفرط بقبول ما عند الغلاة بغثه وسمينه ويظنّ ذلك صواباً أو يرفضه ويستنكره كما يفعل ذلك المقصّره ويجحده بغثه وسمينه ويظنّ أنه قد وقى نفسه من الغلو ولا يدري أنه قد فر من منزلق إلى منزلق آخر.

الرواية الخامسة: روى الصدوق في المعبر عن الحلبي قال: قلت للرضا عليه السلام:

يا بن رسول الله ما شيء يحكيه عنكم الناس؟ قال: وما هو؟ قلت: يقولون إنكم تدعون أنّ الناس لكم عبيد، فقال:

اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت شاهد بأنّي لم أقل ذلك قطّ ولا سمعت أحداً من آبائي عليهم السلام قال قطّ، وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمة وإنّ هذه منها، ثم أقبل عليّ فقال: يا عبد السلام إذا كان الناس كلّهم عبيدنا على ما حكوا عنّا فممن نبيّهم؟ فقلت: يا بن رسول الله صدقت.

ثم قال:

يا عبد السلام أمنكر أنت لما أوجب الله عزوجل لنا من الولاية كما ينكره غيرك؟ قلت: معاذ الله بل أنا مقرّ بولايتكم (١).

فترى أنّه عليه السلام في حين يخطيء التأويل الفاسد لما صدر عنهم عليهم السلام من قولهم:

«إنّ الناس لنا عبيد طاعه لا عبيد ربوبيه» كما في قوله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» إلّا أنّه عليه السلام يتّبع الراوى في ذيل الحديث إلى أنّ ما صدر عنهم عليهم السلام من الرواية والمقال له أصل صحيح يجب على الراوى ألا ينكره ولا

ص: ٦٠

يدعوته ذلك التأويل الفاسد إلى إنكار ما هو صحيح كما هو منهج المقصّره، ومن ثم قال له عليه السلام :

«أمنكر أنت لما أوجب الله عزوجل لنا من الولاية كما ينكره غيرك؟».

و هذا هو المنهج المعتدل الوسطى بين إفراط الغلاة وتفريط المقصّره القائم على تفكيك الخطأ من الصواب وكيل كل شىء بحسبه ومن ثم ورد عنهم عليهم السلام :

«خذوا ما رووا وذرّوا ما رأوا».

ومما يؤكد أنّ خطأ الغلاة ليس فى أصل إسناد الأفعال والصفات وإنّما فى تعاضلها بنحو يوقعهم فى الخطأ الثانى وهو نسبه الربوبية والألوهية إلى المقرّبين من أولياء الله أى رفع حدّهم من العبودية إلى الألوهية والربوبية، ما ورد مستفيضاً عنهم صلوات الله عليهم من التأكيد على مقام عبوديتهم.

الرواية السادسة: فى المحاسن عن ابن محبوب عن عمرو بن أبى المقدم عن مالك بن أعين الجهنى قال: أقبل إلى أبى عبد الله عليه السلام فقال:

يا مالك أنتم والله شيعتنا حقاً، يا مالك تراك قد أفرطت فى القول فى فضلنا، إنه ليس يقدر أحد على صفه الله وكنه قدرته وعظّمته فكما لا يقدر أحد على كنه صفه الله وكنه قدرته وعظّمته «ولله المثل الأعلى» فكذلك لا يقدر أحد على صفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفضلنا وما أعطانا الله وما أوجب من حقوقنا، وكما لا يقدر أحد أن يصف فضلنا وما أعطانا الله وما أوجب الله من حقوقنا فكذلك لا يقدر أحد أن يصف حقّ المؤمن ويقوم به ممّا أوجب الله على أخيه المؤمن.

والله يا مالك إنّ المؤمنين ليلتقيان فيصافح كل واحد منهما صاحبه فما يزال الله تبارك وتعالى ناظراً إليهما بالمحبّة والمغفرة وإنّ الذنوب لتحاتّ عن وجوههما وجوارحهما حتّى يفترقا، فمن يقدر على صفه الله وصفه من هو هكذا عند الله؟ (١)(٢).

وتشير هذه الرواية إلى خطأ المقصّره الأوّل والثالث حيث إنهم تعاضلوا بعض الصفات فبنوا على أنّها صفات إلهية مع أنّ شأن الصفات الإلهية أعظم من

ص: ٤١

١- (١). راجع الإمامه الإلهية ذيل: «لا تقولوا فينا رباً و قولوا ما شئتم و لن تبلغوا».

٢- (٢). المحاسن / ١٤٣ / ح ٤١.

ذلك، فوقعوا من ثم في الخطأ الثالث من نفى هذه الصفات والأفعال عن المكرمين من خلقه الله وحسبوا أنّ إسناد هذه الصفات لهم إفراط في القول كما يشير قوله عليه السلام:

«يا مالک تراک قد أفرطت في القول في فضلنا...».

ولا يخفى أنّ مالک مع أنه كان على صلة بالمغيّره بن سعيد ومن ثمّ قبضت عليه السلطات الأمويه بعد قتل المغيّره إلّا أنّه نجا منهم كما ذكر ذلك الطبري وسيأتي ذكره.

ولذلك قال السيد الخوئي: «فيان قوله: الله أكبر من أن يوصف لا يدل على اختصاص الأكبرية من ذلك به تعالى ونفيها عن غيره فلعلّ هناك موجوداً كالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أو ملك مقرب هو أيضاً أكبر من أن يوصف كما أن قوله: الله أكبر من كلّ شيء لا يدل على أنّه تعالى غير محدود بحدّ وغير قابل للوصف بل غايته أن كلّ موجود في الخارج فالله سبحانه أكبر منه، وأما أنّه تعالى أكبر من أن يوصف وأجل من أن يحدد فلا دلالة للكلام عليه. هذا بخلاف قولنا: «الله أكبر» مرسلًا عن كل قيد فإنّه يدل على الأكبرية المطلقة الشاملة لجميع تلك المعاني، بل وغيرها كما لا يخفى فيكون المعنى أشمل والمفهوم أوسع وأكمل فلا يجوز تغييره بالتقييدين الموجبين للتضييق» (١).

ويستشفّ من كلامه رضوان الله عليه أنّ صفاتهم عليهم السلام أكبر من أن يصفه الواصفون كما ورد بذلك روايات مستفيضه سنشير إلى بعضها، إلّا أنّه رغم ذلك فصفت الله فوق ذلك، وليس عجز الآخريين عن توصيفهم عليهم السلام هي الضابطه للصفه الإلهيه كما قد توهم ذلك الكثير بل هذه الضابطه منطبقه على صفاتهم أيضاً، بل ضابطه الصفه الإلهيه هو الاستقلال وملكيه الأسماء الحسنی بالذات، أي الربوبيه في مقابل الافتقار وهي العبوديه.

ص: ٦٢

١- (١). التنقيح في شرح العروه الوثقى: ١٤ / ١٠٧ و ١٠٨.

الروايه السابعه: قال الإمام أبو محمّد العسكري عليه السلام :

قال الرضا عليه السلام : إنّ هؤلاء الضلال الكفرة ما أتوا إلّا عن جهلهم بمقادير أنفسهم حتى اشتدّ إعجابهم بها وكثر تعظيمهم لما يكون منها، فاستبدّوا بآرائهم الفاسده واقتصروا على عقولهم المسلوک بها غير السبيل الواجب حتى استصغروا قدر الله واحتقروا أمره وتهاونوا بعظيم شأنه. إذ لم يعلموا أنّه القادر بنفسه الغنى بذاته الذى ليست قدرته مستعاره ولا غناه مستفاداً والذى من شاء أفقره ومن شاء أغناه ومن شاء أعجزه بعد القدره وأفقره بعد الغنى. فنظروا إلى عبد قد اختصّه الله بقدرته ليبيّن بها فضله عنده وآثره بكرامته ليجب بها حجّته على خلقه وليجعل ما آتاه من ذلك ثواباً على طاعته وباعثاً على اتّباع أمره ومؤمناً عباده المكلفين من غلط من نصبه عليهم حجّه ولهم قدوه فكانوا كطلّاب ملك من ملوك الدنيا ينتجعون فضله ويؤمنون نائله ويرجون التفتيؤ بظّله والانتعاش بمعروفه والانقلاب إلى أهليهم بجزيّل عطائه الذى يغنيهم عن كلب الدنيا وينقذهم من التعرّض لدنّي المكاسب وخسيس المطالب، فبينما هم يسألون عن طريق الملك ليرصدوه وقد وجّهوا الرغبه نحوه وتعلّقت قلوبهم برؤيته إذ قيل: إنّ سيطلع عليكم فى جيوشه ومواكبه وخيله ورجله، فإذا رأيتموه فأعطوه من التعظيم حقّه ومن الإقرار بالمملكه واجبه وإياكم أن تسمّوا باسمه غيره أو تعظّموا سواه كتعظيمه فتكونوا قد بخستم الملك حقّه وأزريتم عليه واستحققتم بذلك منه عظيم عقوبته.

فقالوا: نحن كذلك فاعلون جهدنا وطاقتنا فما لبثوا أن طلع علينا بعض عبيد الملك فى خيل قد ضمّها إليه سيّده ورجل قد جعلهم فى جملة وأموال قد حباه بها، فنظر هؤلاء وهم للملك طالبون فاستكثروا ما رأوا بهذا العبد من نعم سيّده ورفعوه عن أن يكون هو المنعم عليه بما وجدوا معه. فأقبلوا إليه يحيونه تحية الملك ويسمّونه باسمه ويجحدون أن يكون فوقه ملك أو له مالك.

فأقبل عليهم العبد المنعم عليه وسائر جنوده بالزجر والنهى عن ذلك والبراء ممّا يسّمونه به ويخبرونهم بأنّ الملك هو الذى أنعم بها عليه واختصّه به وأنّ قولكم بما تقولون يوجب عليكم سخط الملك وعذابه ويفيتكم كلما أمّلتموه من جهته وأقبل هؤلاء القوم

يكدّبونهم ويردّون عليهم قولهم.

فما زال كذلك حتى غضب عليهم الملك لَمّا وجد هؤلاء قد سمّوا به عبده وأزروا عليه في مملكته وبخسوه حقّ تعظيمه فحشّروهم أجمعين إلى حبسه ووكل بهم من يسومهم سوء العذاب.

فكذلك هؤلاء وجدوا أمير المؤمنين عليه السلام عبداً أكرمه الله ليبيّن فضله وقيم حجّته فصغر عندهم خالقهم أن يكون جعل علياً له عبداً، وأكبروا علياً أن يكون الله عزوجل له ربّاً فسّمّوه بغير اسمه فناهم هو وأتباعه من أهل ملّته وشيعته.

وقالوا لهم: يا هؤلاء إنّ علياً وولده عباد مكرمون مخلوقون مدبّرون لا يقدرّون إلّا على ما أقدرهم الله عليه ربّ العالمين ولا يملكون إلّا ما ملّكهم الله لا- يملكون موتاً ولا- حياه ولا- نشوراً ولا قبضاً ولا بسطاً ولا حركة ولا سكوناً إلّا ما أقدرهم الله عليه وطوّقهم وأنّ ربهم وخالقهم يجلّ عن صفات المحدثين ويتعالى عن نعوت المحدودين وإن من اتخذهم أو واحداً منهم أرباباً من دون الله فهو من الكافرين وقد ضلّ سواء السبيل، فأبى القوم إلّا جماحاً وامتدوا في طغيانهم يعمهون فبطلت أمانيتهم وخابت مطالبهم وبقوا في العذاب الأليم(١).

وفي هذه الرواية تنصيص على أنّ هذه الصفات والأفعال كرامه منه تعالى لحجّته على خلقه تمييزاً له على بقية خلقه فاستكثرنا ما رأوا بهذا العبد من نعم الله تعالى، وأنّ خطأهم الأوّل هذا دفعهم إلى الخطأ الثاني من حسابان هذه الصفات والأفعال هو للإله والخالق ومن ثم قال عليه السلام :

«فاستكثرنا ما رأوا بهذا العبد من نعم سيّده» وهو يشير إلى الخطأ الأوّل.

وقوله عليه السلام :

«فصغر عنده خالقهم أن يكون جعل علياً له عبداً» يشير إلى خطأ الغلاة الأوّل أيضاً من استعظام هذه الصفات واستكثرنا من جانب، ومن جانب

ص: ٦٤

آخر تصغيرهم الخالق عن أن يكون فوق هذه الصفات والأفعال وفوق صاحب هذه الصفات والأفعال.

ومن ثم فإنَّ أزمه الغلاه هي استعظام هذه الصفات وتصغير قدر الله، أى أنَّ الغلاه رغم إفراطهم في التعمق في المعرفة والتوسّع في آفاقها، إلّا أنَّهم ضاق أفقهم وهبطت معرفتهم وقصرت عن إدراك فوقية الباري تعالى على كل ذلك، فإنَّ هذه الصفات مهما تعاظمت فإنَّها شؤون دون أعلائية الباري جل جلاله ولذا قال تعالى: «سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ» ١ ، وقال: «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» ٢ إلى غير ذلك من الآيات التي تنزّه الباري تعالى عن تلك الصفات رغم تعاظم تلك الصفات والشؤون في أعين البشر سواء الغلاه أو المقصّيره، فإنَّ كلا الفريقين وقع في شراك هذا الانزلاق وهو الخطأ الأول الرئيسى، ولم يتفطنوا أنَّ البشر لا يقدر على صفه الله وشؤونه إلّابما وصف الله تعالى به نفسه، وأما تلك الصفات والشؤون التي استكثروها وتعاظموها فهي دون الباري تعالى وهو عزّ شأنه فوقها وحيثُذا قام كلّ من الفريقين تاره بتصغير قدر الله عزوجل عن أن يكون فوق ذلك، أى يكون فوق صاحب هذه الصفات وهو على عليه السلام وأكبروا علياً عن أن يكون فوقه ربّ مالك له ولشؤونه فوسموه بالربوبية والألوهية وهؤلاء هم الغلاه.

و آخرون أيضاً قاموا بتصغير مقام قدر الله عزوجل حيث تعاظموها هذه الصفات فجعلوها صفات الخالق ونفوها عن كونها صفات ولّى الله مع أنّ صفات الله عزوجل فوق ذلك كما أن نفيهم كونها صفات ولّى الله تقصير آخر وتصغير لولّى الله عن مقامه.

فالمقصّره قصّروا في مقامين وقاموا بتصغيرين فصعّروا شأن الله عزوجل

كما صَغَرُوا شَأْنَ وَلِيِّهِ بَيْنَمَا الْغُلَاهُ قَصَّرُوا فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ فَصَغَّرُوا قَدْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

ويشير قوله عليه السلام :

«فَنظَرُوا إِلَى عَبْدِ قَدِّ اخْتَصَّهَ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ لِيَبَيِّنَ بِهَا فَضْلَهُ عِنْدَهُ وَآثَرَهُ بِكَرَامَتِهِ لِيُوجِبَ بِهَا حُجَّتَهُ عَلَى خَلْقِهِ وَلِيَجْعَلَ مَا آتَاهُ مِنْ ذَلِكَ ثَوَابًا عَلَى طَاعَتِهِ وَبَاعِثًا عَلَى اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَمُؤْمِنًا عِبَادَهُ الْمَكْلُوفِينَ مِنْ غُلَطٍ مِنْ نَصْبِهِ عَلَيْهِمْ حُجَّةً وَلَهُمْ قَدْوَةٌ».

فَيَبَيِّنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ إِعْطَاءَ اللَّهِ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَالْقُدْرَةَ عَلَى هَذِهِ الْأَفْعَالِ لَوْلِيِهِ فِي الْأَرْضِ حِكْمَتُهُ وَغَايَتُهُ هُوَ قَطْعُ الطَّرِيقِ عَلَى الْجَاهِدِينَ الَّذِينَ قَصَّرَتْ مَعْرِفَتُهُمْ بَوْلَى اللَّهِ وَحُجَّتَهُ لِيَبَيِّنَ بِهَا مَكَانَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ وَوَجَاهَتَهُ.

وقوله عليه السلام :

«إِنَّ عَلِيًّا وَوَلَدَهُ عِبَادَ مَكْرَمُونَ مَخْلُوقُونَ مَدْبُورُونَ لَا يَقْدِرُونَ إِلَّا عَلَى مَا أَقْدَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا يَمْلِكُونَ إِلَّا مَا مَلَكَهُمْ اللَّهُ لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا وَلَا قَبْضًا وَلَا بَسْطًا وَلَا حَرَكَهَ وَلَا سَكُونًا إِلَّا مَا أَقْدَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَطَوْقَهُمْ، وَإِنَّ رَبَّهُمْ وَخَالِقَهُمْ يَجَلُّ عَنْ صِفَاتِ الْمُحَدَّثِينَ وَيَتَعَالَى عَنْ حُدُودِ الْمُحَدُودِينَ، وَإِنَّ مِنْ اتَّخَذَهُمْ أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقَدْ ضَلَّ سِوَاءَ السَّبِيلِ».

صريح في إسناد هذه الصفات والأفعال لعليّ وولده المطهّرين بإقدار من الله تعالى، وإملاك منه عزوجل، فهو عليه السلام ينفي ثبوت هذه الصفات والأفعال منهم باستقلال من أنفسهم عن العطيّة الإلهية.

و هذا الحديث حاكم ومفسر على جملة من الأحاديث المستفيضة النافية لثبوت هذه الصفات لهم من دون استثناء بأنّ المراد منها ليس نفى الصفات والأفعال بقول مطلق من الإحياء والإماتة والنشر والقبض والبسط بل نفى استقلالهم بهذه الأفعال والصفات لا نفيها بإقدار من الله تعالى وإملاك منه. فما بنى عليه جماعه من الأعلام من نفيها مطلقاً في غير محلّه اغتراراً بظاهر جملة من الروايات المستفيضة التي لم تتضمّن استثناءً.

بل إنّ ذيل كلامه عليه السلام يشير إلى بيان عقلي برهاني على ثبوتها لهم بإقدار من الله، حيث يبيّن عليه السلام أنّ هذه الصفات والأفعال من الإماتة والإحياء والنشر والقبض

والبسط والحركه والسكون هي في الأصل صفات المحدثين المخلوقين، لأنّ الإماتة والإحياء والنشر والقبض والبسط عندما كان فعلاً متعلقاً بالماده والجسم فالفاعل له لا يبدّ أن يكون له تعلق بالجسم والجسماني فلا يبدّ أن يكون له وضع خاص في الماده محاذى للجسم المنفعل المتعلقه به الروح المحياه أو المماتة أو الروح والجسم المنشر. كما أنّ القبض والبسط والحركه والسكون في الجسم وما يتعلّق بالجسم من نفس ونفوس هو الآخر أيضاً أفعال مادّيه يتعالى عزّ اسمه عن الاتّصاف بما تتضمّن من حدوده ونقائصه.

ويؤكّد عليه السلام مرّه أخرى على أنّ خطأ هؤلاء الغلاة ليس في توصيف على وأولاده بهذه الصفات وإنّما تسميتهم أهل البيت عليهم السلام أرباباً وآلهه أي مستقلّين في التمتعّ بهذه الصفات والأفعال، فانحراف الغلاة إنّما يكون في التسميه لا في إسناد الصفات والأفعال.

الروايه الثامنه: ما رواه الحضيّني عن المفضل بن عمر قال: «يا مولاي أليس قد روينا عنكم أنّكم قلتم الغالي نرده والتالي نلحقه بنا قال:

يا مفضل ظننت أنّ التالي هم المقصّره قال: كذا ظننت يا سيّدى قال:

كلّا، التالي هم من خيار شيعتنا القائلين بفضلنا المستمسكين بحبل الله وحبلنا الذين يزدادون بفضلنا علماً، وإذا ورد على أحدهم خبر قبله وعمّل به ولم يشكّ فيه، فإن لم يطقه رده إلينا ولم يرد علينا فذلك هو التالي ... ويحك يا مفضل إنّ الغالي في محبتنا نرده إلينا ويثبت ويستجيب ولا يرجع، والمقصّره تدعوه إلى الإلحاق بنا والإقرار لما فضلنا الله به فلا يثبت ولا يستجيب ولا يلحق بنا، لأنّهم لما رأونا نفعل أفعال النبيين قبلنا مما ذكرهم الله في كتابه وقص قصصهم وما فرض إليهم من قدرته وسلطانه حتى خلقوا وأحيوا ورزقوا وأبرأوا الأكمه والأبرص ونبأوا الناس بما يأكلون ويشربون ويدخرون في بيوتهم ويعلمون ما كان وما يكون إلى يوم القيامة بإذن الله وسلموا إلى النبيين أفعالهم وما وصفهم الله وأقروا لهم بذلك، وجحدوا بغياً علينا وحسدوا لنا على ما جعله الله لنا وفينا وما أعطاه الله لسائر النبيين والمرسلين والصالحين وازدادنا من فضله ما

لم يعطهم إياه وقالوا ما أعطى النبيون هذه القدره التي أظهرها إنما صدقناها و أنزل بها لأن الله أنزلها بكتابه.

ولو علموا ويحهم أن الله ما أعطاه من فضله شيئاً إلا أنزله بسائر كتبه وصفنا به، ولكن أعداؤنا لا يعلموه وإذا سمعوا فضلنا أنكروه وصدوا عنه واستكبروا(١).

الروايه التاسعه: روى الصفار فى البصائر صحيحه على بن جعفر عن أبى الحسن عليه السلام أنه سمعه يقول:

لو أذن لنا لأخبرنا بفضلنا قال: قلت له: العلم منه؟ قال:

فقال لى:

العلم أيسر من ذلك»(٢).

وروى أيضاً بسند صحيح أعلاني عن محمد بن مسلم قال: «دخلت عليه بعد ما قتل أبو الخطاب قال: فذكرت له ما كان يروى من أحاديثه [ويرتكب] تلك العظام قبل أن يحدث ما أحدث، فقال:

بحسبك و الله يا محمد أن تقول فينا يعلمون الحلال والحرام و علم القرآن و فصلها بين الناس فلما أردت أن أقوم أخذ بثوبى فقال: يا محمد وأى شيء الحلال والحرام فى جنب العلم؟ إنما الحلال والحرام شيء يسير من القرآن»(٣).

و بمضمون هاتين الروايتين روايات عديده فى تلك الأبواب ويستفاد منها أن علم الفقه وأحكام الفروع شيء يسير فى جنب علم القرآن، مع أن علم القرآن كله شيء يسير فى جنب فضائلهم، مع أن علم القرآن لا يعزب عنه مثقال ذره فى السماوات والأرض وفيه خزائن الغيب وما من غائبه فى السماء والأرض إلا فيه، إلا أنه مع ذلك هو شيء يسير فى جنب مقاماتهم العلوية.

وقال المجلسى فى ذيل قوله تعالى: «إِنَّكَ لَنْ تَسِيْطِعَ مَعِيَ صَبْرًا وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا». قال: وفى هذه القصيه تنبيه لمن عقل وتفكر للتسليم فى كل ما روى من أقوال أهل البيت عليهم السلام وأفعالهم مما لا يوافق عقول عامه الخلق وتأباه

ص: ٦٨

١- (١). الهدايه الكبرى / ٤٢١ - ٤٢٢ .

٢- (٢). بحار الأنوار / ٢٥ / ٣٧٢ .

٣- (٣). بصائر الدرجات / ١ / ٢٨٧ ح ٧٣٠ .

أفهامهم وعدم المبادره إلى ردّها وإنكارها وقد مرّ في باب التسليم وفضل المسلمين ما فيه كفايه لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد(١).

الروايه العاشره: قال الرضا عليه السلام لجاثليق:

ما أنكرت أنّ عيسى كان يحيى الموتى بإذن الله عزوجل.

قال الجاثليق: أنكرت ذلك من قبل، إنّ من أحى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فهو ربّ مستحق لأن يعبد.

قال الرضا عليه السلام:

فإن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى عليه السلام مشى على الماء وأحى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فلم تتخذة أمته رباً ولم يعبده أحد من دون الله عزوجل؟ ولقد صنع حزقيال النبي مثل ما صنع عيسى بن مريم فأحى خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنه(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

لا تتجاوزوا بنا العبوديه ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا وإياكم والغلوّ كغلوّ النصارى فإنى برىء من الغالين(٣).

وقال عليه السلام:

إياكم والغلوّ فينا قولوا إنا عبيد مربوبون وقولوا فى فضلنا ما شئتم(٤).

وفى هذه الأحاديث تأكيد على أنّ الصفات والأفعال التى يتعاطمها الكثير هى صفات للمحدثين يتعالى الله عنها وأنّ الاتّصاف بهذه الصفات والأفعال لا يوجب استحقاق الربوبيه والألوهيه والغناء الذاتى وإن تعاطمتها واستكثرتها الأذهان القاصره.

كما أنّ تقييد الغلوّ بغلوّ النصارى هو تنويع وتقسيم لأنماط الغلوّ وأنّ نمط غلوّ النصارى ونوعه ليس فى إسناد الصفات والأفعال العظيمه، بل فى تسميه ذلك

ص: ٦٩

١- (١) . بحار الأنوار ٢٥ / ٣٦٢ .

٢- (٢) . الاحتجاج ٢ / ٤٠٧ .

٣- (٣) . المصدر نفسه / ٤٥٣ .

٤- (٤) . بحار الأنوار ١٠ / ٩٢ .

بالربوبيه والألوهيه.

ص: ٧٠

الأدلة على عظمه صفاتهم عليهم السلام مما أوجب مروق الغلاه وجحود المقصره

يجدر الإشاره ههنا إلى نبذه من الأدله على تعاظم صفاتهم عليهم السلام عن قدره إدراك البشر، فيوجب مروق الغلاه و جحود المقصره فتنكبّ الفريقان الجاده الوسطى.

الأول: قوله تعالى: «أُنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» ١.

وسياق الآيه وإن كان فى النظر الأولى هو ما ذكره المفسّرون أن انظر أمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف ضرب هؤلاء المشركين له مثل فجاروا بذلك عن طريق الحق. إلا أنّ النظره الممعنه للآيه تقضى بأنّ المشركين راموا أن يصلوا إلى حقيقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد ضربوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عدّه من الاحتمالات لمعرفة ماهيته نبوته.

فتاره وصفوه بالسحر وهو ما يرتبط بعالم الخيال وقوى الجنّ وتنزل الشياطين عليه وأخرى أنّ كلامه من الشعر وفنّ الأدب وهو أيضاً مما يرتبط بعالم الخيال وسيطره مخائل الجنّ والشياطين، وثالثه أنّه درس عند رجل رومى نصرانى أو مولى أعجمى لحويط بن العزى مع أنّ لسان القرآن لسان عربى مبين

يعجز الفصحاء عن المجيء بمثله. ورابعه أنه يستقى علمه من أساطير الأولين أى الأكاذيب المستوره فى كتبهم وأنه قد اكتتبها فما يذكره من القرآن بكره وأصيلاً من إملاءات تلك الكتب. وخامسه أن هذا كذب مخترع من عند نفس النبى ونسبه إلى الله أو أنه أعانه عليه قوم آخرون، أو أن الرسول من الله الآتى بالوحي من غيب الغيوب لا بد أن لا- يأكل الطعام ولا- يمشى فى الأسواق ولا تكون له حاجيات بشريه، أو أنه لا بد أن يكون معه ملك من الملائكه ينذر معه ويصدقّه ويؤازره، و أن الرسول لا بد أن يكون باذخ الثراء والقدره فى المال وغير ذلك من تصارييف الاحتمالات التى ذكروها.

مع أن هذه التصارييف ليست كلها فى صدد تبيانهم للأمور المغايره للنبوه بل إن جملة ممّا ذكروه هو لبيان حقيقه النبوه والوحي الغيبى من لدن الملكوت الإلهى، إلّا أنّ فى كل من سوره الفرقان وسوره الإسراء ينفى البارى قدرتهم على معرفه واقتناص حقيقه النبوه فلا استطاعه لهم على سبيل معرفه حقيقه النبوه، وهذا ممّا يفيد عجز البشر وانتفاء السبيل المقذور للبشر عن الإحاطه بحقيقه النبوه.

ولا يتوهم أن ذلك يستلزم التكليف بما لا- يطاق فإنّه إذا امتنعت معرفه النبوه فلا- تكليف بالإيمان بها، و ذلك لأنّ المراد بالامتناع المزبور ليس الامتناع مطلقاً بحيث لا يتسنّى المعرفه بوجه بل المراد الامتناع المحيط بكنهها. ومن أنواع المعرفه المزبوره معرفتها بالمثل والنظير مع أنّ المشركين أخطأوا فى المثل فضلاً عن المثل. وهاتان الآيتان الشريفتان تشيران إلى الدليل العقلى الدالّ على ذلك.

الثانى: قد أشار إلى ذلك البرهان العقلى الإمام الباقر عليه السلام فى ما رواه المفضل بن عمر عنه عليه السلام من

أنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف ورسوله لا يوصف فمن احتمل حديثهم فقد حدّهم ومن حدّهم فقد وصفهم ومن وصفهم بكمالهم فقد أحاط بهم وهو أعلم منهم ... وهو قول الله عزوجل: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ»

فأحسن الحديث حديثنا لا

يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتى يحده لأن من حد شيئاً فهو أكبر منه (١).

و هذا البيان إشاره إلى استدلال عقلي من أنّ إدراك الشيء بالكنه لا يتمّ إلّا بالإحاطه، والإحاطه تستلزم أكبريه المحيط من المحاط فكلّ شيء كان أكبر من آخر فلا- يمكن للثاني أن يدرك الأوّل بكنهه وإلّا لكان الثاني أكبر من الأوّل وهذا خلف الفرض. وبنفس هذا الاستدلال استدلال على استحاله إحاطه المعلول بكنه العله وإنما يحيط المعلول من العله بقدر قابليته وسعته إذ المعلول رقيقه مخفّفه وجلوه متنزّله من العله.

الثالث: ومما يشير إلى ذلك قول الرضا عليه السلام :

«الإمام كالشمس الطالعه المجلّله بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار ... ولا له مثل ولا نظير ... فمن ذا الذي يبلغ معرفه الإمام ... هيهات هيهات ضلت العقول وتاهت الحلوم وحاتت الأبواب وخسئت العيون وتصاغرت العظماء وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحسرت الخطباء وجهلت الألباء وكّلت الشعراء وعجزت الأدباء وعييت البلغاء عن وصف شأن من شؤونه أو فضيله من فضائله وأقرّت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكنهه أو ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه. لا- كيف وأنى وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين ... أين العقول عن هذا» (٢).

ومفاد بيانه عليه السلام يشير إلى البيان العقلي المتقدم فلاحظ. وإلّا لكان المأموم إماماً لو أدرك إمامه بكنهه.

الرابع: وأشير إلى ذلك أيضاً في الزيارة الجامعه الكبيره التي رواها الشيخ والصدوق بسند معتبر في الفقيه والتهذيب قوله عليه السلام :

«بلغ الله بكم أشرف محلّ المكرّمين وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع ... موالى لا أحصى ثناءكم ولا أبلغ من المدح كنهكم ومن الوصف

ص: ٧٣

١- (١) . بحار الأنوار ٢ / ١٩٤ عن البصائر.

٢- (٢) . الكافي ج ١ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته ح ١ .

قدركم وأنتم نور الأخيار وهداه الأبرار وحجج الجبار... بأبي أنتم وأمي ونفسي كيف أصف حسن ثنائكم وأحصى جميل بلائكم وبكم أخرجنا الله من الذلّ وفُرج عنا غمرات الكروب وأنقذنا من شفا جرف الهلكات ومن النار»(١).

أى كيف يصفهم وهم واسطه الفيض لغيرهم وفيض الهدايه والكمال وفيض النور وغيرها من الفيوضات إنما يجريها الله تعالى عبرهم وعلى يدهم فغيرهم الذى جرت عليه يد النعمه التكوينية لهم هو دونهم فكيف يدركهم ولكنه وهم أكبر منه.

الخامس: قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما روته الخاصه والعامه:

«يا على لو لا أن يقول طائفه من أمتى ما قالت النصارى فى عيسى ابن مريم لقلت فيك مقالاً لا تمرّ بملأ من المسلمين إلّا أخذوا التراب من تحت رجلك وفضل طهر ك يستسقون (يستشفون) علماً»(٢).

وفى هذا الحديث دلالة واضحه على أنّ هناك من صفات العباد المكرمين ما يتعاضمها البشر ويحسبون أنّها من صفات الخاصه بالله تعالى.

السادس: روى المجلسى عن كتاب الروضه والفضائل عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال: كنت عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى بعض غزواته فمررنا بواد مملوء نملاً فقلت: يا أمير المؤمنين ترى يكون أحد من خلق الله تعالى يعلم عدد هذا النمل؟ قال:

نعم يا عمار أنا أعرف رجلاً يعلم عدده وكم فيه ذكر وكم فيه أنثى؟ فقلت:

من ذلك الرجل يا مولاي؟ فقال:

يا عمار ما قرأت فى سوره يس: «وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ»؟ فقلت: بلى يا مولاي، فقال: أنا ذلك الإمام المبين(٣).

ورواه الطريحي فى المجمع وفيه: «فقال بعضهم سبحان من يعلم عدد هذا النمل فقال عليه السلام:

لا تقل كذا قل سبحان من خلق هذا النمل فقال: كأنك تعلمه يا أمير

ص: ٧٤

١- (١). الفقيه ٣ / ٦٠٩ / ح ٣٢١٦، والتهذيب ٦ / ٩٥ / ح ١.

٢- (٢). إحقاق الحق ١٥ / ٣٢٠ و ٥٦٢، وج ٢٢ / ٣٥٦ و ٣٥٨.

٣- (٣). بحار الأنوار ٤٠ / ١٧٦.

المؤمنين عليه السلام؟ قال:

نعم لأعلمه وأعلم الذكر منه من الأئمة»(١).

وتقريب الدلالة كما مرَّ أنّ إحصاء عدد النمل خارج عن قدره البشر من دون آليات وأدوات فضلاً عن تمييز الذكر من الأنثى، فلا محاله تعزى قدره إلى الغيب والمرتكز بنحو مبهم في الأذهان أنّ العلم بالمغيبات من الشؤون الخاصّة الإلهيّة، وهذا الإبهام بإجماله خاطيء فإنّ كل شيء وإن استند إليه تعالى إلّا أنّه لا يعنى عينيته مع الذات الإلهيّة، فإنّ الصفات الذاتيه هي التي يكون من شأنها العينيته مع الذات الإلهي. فالإسناد أعم من إسناد الصفات الذاتيه له تعالى أو إسناد الصفات ناشئه من إسناد الأفعال له تعالى.

والقاعدته كما مرَّ أنّ صفات الأفعال هي كالأفعال مخلوقه ومن شؤون الخلقه، وشؤون المخلوق قائمه حلولاً بالمخلوق وإن كان قيامها في أصل الصدور مستند إلى الباري تعالى وهذه القاعده بسبب غموضها ودقّه معناها ولطافه مفادها يصعب التنبه والالتفات إلى مراعاتها في الموارد والشؤون العديده الكثيره.

وحيث إنّ بعض الأفعال من أعظم شؤون الفعل الصادره من الحضرة الإلهيّة فيصعب على الفطنه إدراك كون الصفه الناشئه من ذلك الفعل من صفات المخلوق، وتلك الصفه وإن أسندت إلى الباري تعالى إلّا أنّه إسناد شؤون الفعل إليه تعالى لا كإسناد الصفات الذاتيه إليه، بخلاف إسناد تلك الصفه إلى المخلوق فإنّها إسناد إمّا كصفه ذاتيه لذلك المخلوق أو إسناد فعل له بنحو يكون الفعل قائماً به وهو يغير إسناد الفعل إلى الحضرة الإلهيه الذي هو استناد صدور ونشوء وجود منه تعالى بالذات.

السابع: ومن ثمّ نلاحظ أنّ واحداً من الصفات يسند إليه تعالى تاره وإلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخرى، كما في قوله تعالى: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» وكذلك

ص: ٧٥

فى قوله تعالى فى غزوه الأحزاب: «وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ» أى بعلى عندما قتل عمرو بن عبدود العامرى فدخل الوهن والرعب فى قلوب الأحزاب، فصدور إيجاد الفعل فى الأصل يكون منه تعالى، وإن كان للمخلوق إسناد توسط ووساطه ممر الفيض وهو الذى يشير إليه التقييد بالباء فى الإسناد من دون انقطاع النسبه عن العبد.

الثامن: ومن هذا القبيل ما رواه البرقى عن ابن سنان عن العلاء عن خالد الصيقل عن أبى جعفر عليه السلام قال:

إِنَّ اللَّهَ فَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ فَخَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَسَبْعَ أَرْضِينَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْأَشْيَاءَ قَدْ انْقَادَتْ لَهُ قَالَ: مِنْ مِثْلِى فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ نَوِيرَهُ مِنَ النَّارِ. قُلْتُ: وَمَا النُّوِيرُ؟ قَالَ: نَارٌ مِثْلُ الْأَنْمَلَةِ فَاسْتَقْبَلَهَا بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ فَتَخَيَّلَ [فَتَبَخَّلَ، فَتَخَلَّتْ] لِذَلِكَ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى نَفْسِهِ لَمَّا أَنْ دَخَلَهُ الْعَجَبُ (١).

فهذا الملك رغم عظم ما قام به من فعل إلا أنه لم يعن ذلك استغنائه بذاته ولا إطلاق قدرته عن الحدود الحاصره له بلا تناه تنحصر قدرته عندها.

التاسع: ومما يعزّز إسناد جملة من الصفات العظيمة التى يتعاضدها العقل البشرى عن كونها صفات المخلوقين قوله تعالى: «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكُنَّ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» ٢.

فلاحظ أنّ صدور بعض الأفعال الباهره القاهره للعقول من أحد الأنبياء أو بعض المخلوقات كالملائكة، أوهم جماعه من البشر إلى القول بأنّ ذلك المخلوق هو من جنس الله وأنه تولّد من الذات الإلهى - العياذ بالله - لتعاضدهم صفات وأفعال ذلك المخلوق عن أن يكون مخلوقاً. ونلاحظ رغم ذلك لم ينف الله

ص: ٧٦

١- (١). بحار الأنوار ٦٨ / ٢٢٩، وسائل الشيعة ١ / ١٠٢.

عز وجل صدور تلك الأفعال وثبوت تلك الصفات عن ذلك المخلوق وإنما نفى إيجابها الألوهية وأنهم رغم ما لهم من أفعال وصفات تتعاضد في عقول البشر إلا أنهم لا يخرجون بذلك عن العبودية.

أما تقريره تعالى لثبوت تلك الصفات والأفعال فلقوله تعالى: «مُكْرَمُونَ» أي إنّ الباري تعالى حباهم وجبهم بالكرامات التكوينية فلم ينف تلك الصفات والأفعال وعظمتها عن أولئك المخلوقين في حين أثبت لهم العبودية أيضاً فقال «عِبَادٌ مُكْرَمُونَ» وأكد بعد ذلك أنّ عظمه تلك الصفات والأفعال لا تستوجب الألوهية حيث قال: «وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ...» .

العاشر: ما ورد في المستفيض من لزوم الإيمان بباطن الأئمة عليهم السلام كلزوم الإيمان بظواهرهم ولزوم الإيمان بسرهم كلزوم الإيمان بعلانيتهم. فقد ورد في الزيارات المأثورة المستفيضة قولهم عليهم السلام:

«إني بسرکم مؤمن و لقولکم مسلم» (١)، وقولهم:

«مؤمن بسرکم و علانيتکم»، في الزيارة الجامعة (٢) وفي زیاره أبی الحسن موسى بن جعفر علیه السلام (٣).

وفي روايه عيسى بن المستفاد عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال:

ولما كانت الليلة التي أصيب حمزه في يومها دعا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا حمزه يا عم رسول الله يوشك أن تغيب غيبه بعيدة فما تقول لو وردت على الله تبارك وتعالى وسألك عن شرايع الإسلام وشروط الإيمان، فبكى حمزه وقال: بأبي أنت وأمي أرشدني وفهمني فقال: يا حمزه تشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً وأنت رسول الله تعالى ... وأنّ علياً أمير المؤمنين... الأئمة من ذريته الحسن والحسين، وفي ذريته... فاطمة سيدة نساء العالمين ... وأنّ محمداً وآله خير

ص: ٧٧

١- (١). مصباح المتعجد / ٨٢١.

٢- (٢). من لا يحضره الفقيه ٢ / ٦٠٨، والتهذيب ٦ / ٩٩.

٣- (٣). الكافي ٤ / ٥٧٩، كامل الزيارات / ٥٠٤ و ٥٢٣، عيون أخبار الرضا ١ / ٣٠٤، التهذيب ٦ / ١٠٣.

البرية تؤمن يا حمزه بسرهم وعلاانيتهم وظاهرهم وباطنهم تحيي على ذلك وتموت (١).

وروى في الكافي عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام قال:

تقول إذا أصبحت:

أصبحت بالله مؤمناً على دين محمد وسنته ودين علي وسنته ودين الأوصياء وسنتهم آمنت بسرهم وعلاانيتهم وشاهدتهم وغائبهم
... (٢).

وفي التهذيب أيضاً:

آمنت بسرهم وعلاانيتهم (٣).

وغيرها من الموارد العديدة التي يجدها المتتبع المتضمنه للتأكيد الشديد على أنّ من شروط الإيمان هو الإيمان بسرهم على حذو لزوم الإيمان بعلاانيتهم، وكذا لزوم الإيمان بباطنهم على درجه لزوم الإيمان بظاهرهم. فلا يكفي الإيمان بأنّ محمداً رسول الله بل من الإيمان أيضاً باطن ذلك وسره وما يتضمّنه ذلك من الأعماق والأغوار التي لا تدركها عقول البشر؛ وكذلك الحال في أنّ علياً أمير المؤمنين وإمامه الأئمة الاثني عشر وكون فاطمه سيّده النساء، فإنّ لحقيقه ذلك باطناً وعمقاً لا بد من الإيمان به إجمالاً؛ بل باطنه وسره على درجات كجبل ممدود من عند الله إلى ما هو ظاهر بين أيدي الناس.

ومن ثم ورد توصيفهم صلوات الله عليهم بجبل الله المتين أي ذو درجات ومقامات تتصاعد إلى قرب العندين للحضرة الإلهية.

ففي مصحح جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إنّ أمرنا سر في سر وسر مستسر وسر لا يفيد]

[لا نعيد]

إلّاسر وسر على سر وسر مقنّع بسر (٤).

وروى ابن محبوب عن مرازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

إنّ أمرنا هو الحق وحق

ص: ٧٨

١- (١). بحار الأنوار ٢٢ / ٢٧٨ عن كتاب اللهوف للسيد ابن طاووس نقلاً من كتاب الوصية لعيسى بن المستفاد.

٢- (٢). الكافي ٢ / ٥٢٣.

٣-٣) . التهذيب ٣ / ١٤ .

٣-٤) . بصائر الدرجات / ٤٨ ومختصر البصائر / ١٢٦ .

الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسر السر وسر المستسر وسر مقنع بسر (١).

ص: ٧٩

١- (١) . مختصر البصائر / ١٢٧ ، وبصائر الدرجات / ٤٩ .

النقطة الأولى:

كيف يوفق بين حيويته الاختيار ومسؤولية التكليف والتي تقوم على العمل وإمكان التغيير، وبين حتمية القضاء والقدر وما فى اللوح المحفوظ إذا اطلع عليه المعصوم عليه السلام سواء على الصعيد الفردى أو على صعيد المسؤولية السياسى والاجتماعى والإصلاح.

والجواب أن حتميتهما على وفق صدور الأفعال عن اختيار وقدره وعلم لا إلهاء وإرغام؛ هذا مضافاً إلى عموم البداء الأعظم وهيمته على لوح القضاء والقدر.

النقطة الثانية:

أن القول باطلاعهم على التدبير الغيبى والقضاء والقدر يعنى اشتراط هذه الأوصاف فى الحاكم وبالتالي تجميد وسد الطريق أمام إقامة الحكومه والحكم الإسلامى لتصوير أن الحكومه الإلهيه العادله ممتنعه على غير المعصوم عليه السلام .

والجواب أن الدوله الإلهيه ممتنعه إدارتها على غير خليفه الله فى الأرض لكن ذلك لا يستلزم القيام بأدوار مقطعيه فى بقاع من المسؤوليه مناصره لمنهاج الهدى ومؤازره للأئمه المعصومين عليهم السلام .

النقطة الثالثة:

أنَّ الغلام يرهنون ويعلّقون التسليم والطاعة للمعصومين عليهم السلام باتّصاف المعصومين عليهم السلام وواجديتهم للصفات العليا الملكوتية، وهذا استكبار على أمر الله وولايته بطاعه المعصومين عليهم السلام نظير إباء أقوام الأنبياء الذين جحدوا نبوتهم وعلّقوا الطاعة والتسليم على كون الأنبياء ملائكة أو على وجود صفات غيبية لا بدّ أن يطّلع أولئك الأقوام على وجودها فيهم كما حصل من استكبار إبليس على آدم وقد بيّنها الإمام عليه السلام في الخطبة القاصعه.

وبعبارة أخرى هناك جدليه: هل المعرفة التفصيلية توجب تسليماً وإيماناً أكبر، أم أنّ التسليم الحاصل من المعرفة الإجمالية والإقرار بالعجز هو أعظم إيماناً وكمالاً- أو الجمع بينهما «قولوا فينا ما شئتم و لن تبلغوا»، والضابطه أن التسليم الإجمالى المبنى على المعرفة الإجمالية لا بد أن تستمر على الدوام إقراراً بالعجز عن الإحاطه بالكنه ولكن ازدياد العلم التفصيلي يؤكد متانه المعرفة الإجمالية.

النقطة الرابعة :

إنّ هناك إثارة حول أنّ الغلو والتركيز على الجانب الغيبي للمعصومين يسلب كونهم قدوه.

وفيه أنّ كونهم عليهم السلام ذوى جنبتين بشريه عاديه وغيبيه ملكوتيه يجعل منهم نموذجاً ونبراساً فى كيفية ترقى الجانب البشرى إلى درجات ومقامات عليا وما هو المسير إلى ذلك فيظل الجانب العلوى منهم جذاباً والجانب الدانى منهم يفتح الأمل بإمكان الترقى والتكامل.

كما أنّ قوله تعالى: «وَلَا يَمَلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» ١ دال على أنه لاتنال المقامات العاليه إلّا بالتسليم بالحق عن معرفه و علم.

٣ - مدارس الرواه و تنوعهم فى فقه المعارف (١٠٦-٨٣)

اشاره

ص: ٨٣

مشيخه القميين ورؤساء محدثيهم فريقان

فقد اشتهر أنّ القميين من أصحابنا كانوا متشدّدين في رفض روايات المعارف الغامضه ذات الطابع الدقيق في الأسرار كأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي ومحمد بن الحسن بن الوليد؛ وقد قال الشيخ المفيد في شرح اعتقادات الصدوق:

«فأما نصّ أبي جعفر رحمه الله بالغلو على من نسب مشايخ القميين وعلمائهم إلى التقصير فليس نسبه هؤلاء القوم إلى التقصير علامه على غلوّ الناس إذ في جملة المشار إليهم بالشيخوخه والعلم من كان مقصّيراً وإنّما يجب الحكم بالغلو على من نسب إلى التقصير سواء كانوا من أهل قم أم غيرها من البلاد وسائر الناس.

وقد سمعنا حكاية ظاهره عن أبي جعفر محمد بن الحسن بن الوليد رحمه الله لم نجد لها دافعاً في التقصير وهي ما حكى عنه أنّه قال: أوّل درجه في الغلوّ نفى السهو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام ، فإن صحّت هذه الحكايه عنه فهو مقصّر مع أنّه من علماء القميين ومشيختهم.

وقد وجدنا جماعه وردوا إلينا من قم يقصّرون تقصيراً ظاهراً في الدين وينزلون الأئمه عليهم السلام عن مراتبهم ويزعمون أنّهم كانوا لا يعرفون كثيراً من الأحكام الدينيه حتّى ينكت في قلوبهم ورأيت من يقول إنّهم كانوا يلجأون في حكم

الشريعة إلى الرأى والظنون ويدعون مع ذلك أنهم من العلماء و هذا هو التقصير الذى لا شبهه فيه»(١).

إلّا أنّ الذى نجده بالتتبع أنّ هناك فريق آخر من كبار القميين وأعاضهم قد حرصوا على جمع روايات المعارف الغامضة ذات الأسرار الدقيقة، نظير سعد بن عبد الله الأشعري فى كتاب بصائر الدرجات والذى اختصره حسن بن يحيى الحلّى فى مختصر بصائر الدرجات، وكذلك محمد بن الحسن بن الفروخ الصّفّار فى كتاب بصائر الدرجات، وأحمد بن إسحاق القمى حيث روى كتاب الحسن بن العباس بن الحريش فى شأن «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ...» ومحمد بن عبد الله الجعفرى.

وكذلك على بن محمد بن على الخزاز القمى صاحب كتاب كفايه الأثر فى النص على الأئمة الاثنى عشر، وكذلك جعفر بن محمد بن قولويه صاحب كتاب كامل الزيارات والذى ضمّنه لطائف عاليه من المعارف والبصائر، وعلى بن إبراهيم بن هاشم صاحب التفسير وكذا محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمى صاحب كتاب النوادر وأحمد بن محمد بن خالد البرقى صاحب كتاب المحاسن، وغيرهم؛ فإنّهم قد رووا فى الفضائل من أسرار المعارف وغوامضها الدقيقة وكذا رووا كتباً لكثير من الرواه ممن يتمخض فى هذا المجال.

ولولا روايه هذا التيار القمى من الرواه لها لضاعت عن الوصول إلينا، وملاحظه هذه الظاهره فى المدرسه القميه ضروره فى إعطاء صوره واضحه عن معالم مذهب أهل البيت عليهم السلام فى زمن الأئمه عليهم السلام وعصر الرواه المعاصرين لهم، وتبين وتوضيح لما هو مرتكز من ثوابت المذهب والمنهاج لهم عليهم السلام، وأنّ التيار الآخر القمى وتيار المدرسه الكلاميه أو التيار الفقهي للرواه المتمخض فى فقه الفروع لا يستحوذ على التمثيل المطلق لسيره أتباع وأصحاب أهل البيت عليهم السلام كما

ص: ٨٤

أن موقف هؤلاء لا يشكل تسالماً قاطباً شمولياً لعلماء المذهب، وأنه لابد من دراسه أطراف مدارس الرواه وتياراتهم المتنوعه كى تتضح الأبعاد المختلفه للشخصيه العلميه لأئمه أهل البيت عليهم السلام و أنهم ذووا زوايا عديده من العلوم وأنواع المعرفه. وكم دراسه دونت من باحثين شطّ بهم البحث للعكوف على مدرسه معينه من الرواه وتصوير أنهم يمثلون تمام معالم أهل البيت عليهم السلام آنذاك. وعلى هذا يتم التقييم لكثير من المباني التى بنى عليها النجاشى والكشى فى التضعيف والجرح.

نضج المعارف بنحو العمق العالى عند ثلّه من

الرواه من أصحاب الأئمه فى القرون الثلاثه الأولى

قد عُرف عند غير واحد من الأكابر أنّ المعارف فى مقامات النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام فى هذه القرون قد تبلورت واتّضحت بنحو تفصيلي، وقد تبدّدت كثير من الحقائق مما كانت خفيّه على الرواه وأصحاب الأئمه عليهم السلام وطبقات الشيعة فى الصدر الأول. وقد توهم من هذه المقوله جمله من الخصوم أو ممّن هم من المقصّره فى معارف أهل البيت عليهم السلام أنّ مثل هذه الحقائق الاعتقاديّه فى شأن أهل البيت عليهم السلام وليده هذه القرون المتأخّره، وأنّ معالم نظام هذه المعارف لم يكن بهذا الشكل فى الأزمان الأولى.

ولكنّ هذه مقاله إن صحّت على تقدير فهى خاطئه من تقدير آخر، أى أنّها تصحّ بلحاظ أكثر الرواه والجمله الوافره من أتباع أهل البيت عليهم السلام ولا تصحّ عند ثلّه الرواه الأخرى ممّن عرفوا بروايات المعارف وقد طعن عليهم الفريق الأول بالغلوّ والارتفاع والطياره، بل ربما وصفهم بفساد المذهب ورموهم بضعف الحديث وأنهم يأتون بالمناكير أو المخلطون إلى غير ذلك من التعابير التى يشاهدها المتتبع مشحونه فى كتب الرجال والحديث من الفريق الأول من الرواه أو الرجاليين تجاه الفريق الثانى، مع أنّ الذى يرويه الفريق الثانى هو من أسرار المعارف. فوجود هذه القائمه الكبيره جداً من تعداد الرواه المطعون عليهم بالغلوّ والارتفاع والطياره

وعبر طبقات متقدمه فى الرواه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أو الحسنين عليهما السلام فضلاً عن عهد زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام فضلاً عن الأئمة اللاحقين عليهم السلام ، شاهد على انتشار البحث المعرفى حول دقائق الأسرار ولطائف البصائر منذ ذلك الزمن.

فوجود ظاهره الغلاه والغلو ولو كالطعن الصادر من المخالفين ومن وسط الرواه ذوى الطابع الكلامى الفقهى - منذ تلك الأزمنه - شاهد على أن مستوى البحث المعرفى العقائدى لم يكن سطحياً كما يتصور، و أن العمق حادث فى القرن الثالث أو الرابع والخامس.

كما أنّ وجود ثله من الحوارى لأمير المؤمنين عليه السلام ممن أعطوا علم المنايا والبلايا وغيرها من علوم غرائب القدره كميثم التمار ورشيد الهجرى وأمثالهم كجابر بن يزيد الجعفى والمفضل بن عمر الجعفى ومحمد بن سنان وكثير من غيرهم فى تلك الطبقات هو الشاهد الثالث على علو مستوى البحث المعرفى والعقائدى فى زمن أئمه أهل البيت عليهم السلام .

والشاهد الرابع: أنا قد ذكرنا فى طابع المدرسه القيمه أنّ هناك تيار كبير أصيل، من أصحاب الجواد عليه السلام والعسكريين قد كانوا يدمنون روايه المعارف العاليه ودقائقها ورعايه نقل كتبها.

والشاهد الخامس: ما يلاحظ ممّا رواه الفريقان من ظواهر تعامل المسلمين والمؤمنين مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام مما تعكس عمق فى المعرفه فى الجمله بمقاماتهم الملكوتيه؛ نظير ازدحام الناس على التبرك بفضله وضوء رسول الله، حتى الشافعى حكم بطهاره بول ودم النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما حكاه العلامة فى التذكره، لأنّ بعض المسلمين ممّن عاصروا رسول الله أقدموا على شربهما(١) فقد روى الحاكم

ص: ٨٩

١- (١). تذكره الفقهاء ١ / ٤٩ و ٥٧، وراجع: فتح العزيز ١ / ١٧٨ - ١٧٩، والوجيز ١ / ٧.

النيسابورى فى مستدركه أن أم أيمن شربته(١) و أن أبا ظيبه الحجام شرب دم النبى(٢).

وليتبته القارىء أنا لسنا فى صدد بيان حكم هذه الأشياء؛ وإنما فى صدد بيان مدى الإرهاصات التى كان يشاهدها من يتعايش مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام بحيث كانت تدفعهم إلى مثل هذه الأفعال.

وكذا ما رواه ابن شهر آشوب والكشى وغيرهما من أن جماعه عندما شاهدوا بعض الآيات التى جرت على يد على عليه السلام قالوا بتأليهه(٣).

وقد حكى عن بعض أصحاب الحسين حينما رأى منه استماته فى الفداء وعدم الاكتراث بأهوال فى واقعه كربلاء قيل له أجننت؟(٤).

وكذا ما روى من انفراج المسلمين عند الكعبه سماطين فى أوج ازدحام الحج للإمام على بن الحسين عليه السلام ولم يفرجوا لهشام بن عبد الملك رغم مجيئه مع جلاوزته وأزلامه فظل ينتظر، فسألوه عن هذا الرجل الذى أفرج له الناس فانبرى الفرزدق بقصيدته العسماء المعروفه والتى تضمنت مثل قوله:

هذا ابن فاطمه الغراء نسبه فى جنه الخلد يجرى باسمه قلم

من معشر حبههم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم فى كل بدء ومختوم به الكلم

من يعرف الله يعرف أوليه ذا فالدين من بيت هذا ناله الأمم(٥)

ص: ٩٠

١- (١) . مستدرك الحاكم ٤ / ٦٣ .

٢- (٢) . تلخيص التحرير ١ / ١٧٩ .

٣- (٣) . الكشى / رقم ١٣٨ و ٥٥٦، مناقب آل أبى طالب ١ / ٢٢٧ .

٤- (٤) . بحار الأنوار ٤٥ / ٣٥٨ .

٥- (٥) . الاختصاص / ١٩١، مناقب ابن شهر آشوب ٣ / ٣٠٧ .

إلى غير ذلك من عشرات بل مئات الموارد التي يقف عليها المتتبع من أحوال وسيره الناس معهم، مما تعكس وجود إرهاصات غيبية وآيات إعجازية تتم وتعاكس عن مقامات غيبية للنبي وأهل بيته عليهم السلام استشفها الناس وعابونها ولمسوها، وإن أدت بعض الحالات إلى الغلو والانحراف، إلا أن ذلك لم يكن من فراغ بل لما شاهدوه من أشعه الملكوت المنيره من النبي وأهل بيته عليهم السلام، كما هو الحال في غلو النصارى في عيسى، فإن الغلو وإن كان انحرافاً إلا أن منشأه ما شاهدوه من ولاده النبي عيسى من غير أب وإحيائه الموتى وشفائه للأعمى والأكمه والأبرص ومن كونه مباركاً أينما كان.

و هذا يفند ما يدعى ويقال إن هذه المعارف العميقه فى مقامات أهل البيت عليهم السلام إنما تبلورت فى القرون اللاحقه المتأخره من الغيبه الكبرى ولم تكن فى مذهب أهل البيت فى زمن المعصومين عليهم السلام . فإن المتتبع كما ذكرنا لو توسع فى البحث والاستقصاء لشاهد العجائب والغرائب مما يفوق ما عليه الآن من المعرفه والنظره تجاه مقامات أهل البيت عليهم السلام . فلاحظ ما كتبه المزي - وهو من علماء أهل السنه وكان صديقاً حميماً لابن تيميه ومعاصراً للذهبي - فى تهذيب الكمال فى ترجمه الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام من إرهاصات ومعجزات وكمالات تفوق البشر بأسانيد متصله عنده. وكذا ما رواه ابن عساكر فى ترجمه أمير المؤمنين عليه السلام والحسنين وبقية الأئمه بأسانيد متصله وكذا غيرهم من أرباب التراجم من علماء أهل السنه.

١ - روى الكليني عن علي بن إبراهيم عن السري بن الربيع قال: لم يكن ابن أبي عمير يعدل بهشام بن الحكم شيئاً وكان لا يغب إتيانه ثم انقطع عنه وخالفه وكان سبب ذلك أن أبا مالك الحضرمي كان أحد رجال هشام ووقع بينه وبين ابن أبي عمير ملاحاه في شيء من الإمامه. قال ابن أبي عمير: الدنيا كلها للإمام عليه السلام على جهة الملك وأنه أولى بها من الذين هي في أيديهم، وقال أبو مالك: ليس كذلك، أملاك الناس لهم إلا ما حكم الله به للإمام من الفء والخمس والمغنم فذلك له. و ذلك أيضاً قد بين الله للإمام أين يضعه وكيف يصنع به فتراضيا بهشام بن الحكم وصار إليه، فحكم هشام لأبي مالك على ابن أبي عمير، فغضب ابن أبي عمير وهجر هشاماً بعد ذلك(١).

و هذا المشهد يشير إلى اختلاف المشرب الكلامي عند الرواه المتمثل في هشام بن الحكم والمشرب الحديثي الذوقي الإشاري المتمثل في ابن أبي عمير.

وفي هذه المشاده يتبين غموض لطائف المعاني على أصحاب المنهج الكلامي والمنهج الفقهي بخلاف ذوى المنهج الإشاري الحديثي فإنهم يصطادون اللطائف والدقائق ويقتدرون على التوفيق الفقهي لأدق وأصعب المسائل.

ص: ٩٢

١- (١). الكافي ١ / ٤١٠، باب أن الأرض كلها للإمام.

فإن ملكية الإمام للأرض هنا ليس على حذو الملكية الشخصية وأحكامها وآثارها، بل المراد ما هو أعظم وأشد ملكية وهو ملك التدبير والتصرف المعبر عنه بالولاية، ولا- ريب أن الأرض كلها تحت ولايه وتدبير وقياده الإمام، إذ هو خليفة الله في الأرض ومن ثم كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم وكذلك خلفاؤه وأوصياؤه من بعده فلا تقاطع الملكية الشخصية.

٢- وروى الكشي بسنده عن جعفر بن محمد بن حكيم الخنعمي قال:

اجتمع هشام بن سالم وهشام بن الحكم وجميل بن درّاج وعبد الرحمن بن الحجاج ومحمد بن حمران وسعيد بن غزوان ونحو من خمسة عشر رجلاً- من أصحابنا، فسألوا هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فيما اختلفوا فيه من التوحيد وصفه الله عزوجل وغير ذلك لينظروا أيهما أقوى حجة فرضى هشام بن سالم أن يتكلم عنه [عند] محمد بن أبي عمير ورضى هشام بن الحكم أن يتكلم عنه [عند] محمد بن هشام، فتكالما وساق ما جرى بينهما وقال قال عبد الرحمن بن الحجاج لهشام بن الحكم: كفرت والله بالله العظيم وألحدت فيه، ويحك ما قدرت أن تشبه بكلام ربك إلا العود يضرب به! قال جعفر بن محمد بن حكيم فكتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام يحكى له مخاطبتهم وكلامهم ويسأله أن يعلمه القول الذي ينبغي تدين الله به من صفه الجبار؟ فأجابه في عرض كتابه:

«فهمت رحمك الله، رحمك الله إن الله أجل وأعلى وأعظم من أن يبلغ كنه صفته، فصفوه بما وصف به نفسه وكفوا عما سوى ذلك» (١).

و هذا المجلس ونحوه من الندوات العلميّة تعكس مدى تنوع وتعدد مشارب المعرفة لدى الرواه بل تنوع المدارس الكلامية في نفسها فضلاً عن الفروق بينهما ورواه اللطائف والإشارات في العقائد والمعرفة.

ص: ٩٣

١- (١). الكشي / رقم ٥٠٠.

والجدير بالذكر أنّ هشام بن سالم والذي تلمذ عليه ابن أبي عمير أيضاً كان ذا مشرب يعتمد التحليل والتذوق لغوامض المعاني
يغايير مسلك هشام بن الحكم الذي كان ذا عارضه كلاميه قويّه وذا باع جدلي متمرس.

٣ - محمد بن الحسن البراني وعثمان قالا حدثنا محمد بن يزداد عن محمد بن الحسين عن الحجاج عن أبي مالك الحضرمي
عن أبي العباس بقباق، قال:

تدارء ابن أبي يعفور ومعلّى بن خنيس فقال ابن أبي يعفور: الأوصياء علماء أبرار أتقياء وقال ابن خنيس: الأوصياء أنبياء. قال:
فدخل على أبي عبد الله عليه السلام قال: فلما استقرّ مجلسهما، قال: فبدأهما أبو عبد الله عليه السلام ، فقال:

يا عبد الله ابرأ ممن قال أنا أنبياء(١).

والحديث يبين صعوبه فهم المسائل المعرفيه وغموضها حتى على الفضلاء من الرواه ممن لهم اهتمام فى روايه المعارف.

ص: ٩٤

١- (١). الكشي / ٣٢١ / ح ٤٥٦ .

١ - روى الصفار فى البصائر بسند صحيح أعلاى قطعى الصدور عن محمد بن مسلم قال: دخلت عليه بعدما قتل أبو الخطاب قال: فذكرت له ما كان يروى من أحاديثه (ويرتكب) تلك العظام قبل أن يحدث ما أحدث، فقال:

بحسبك و الله يا محمد أن تقول فىنا يعلمون الحرام والحلال وعلم القرآن وفصل ما بين الناس.

فلما أردت أن أقوم أخذ بثوبى فقال:

يا محمد وأى شىء الحلال والحرام فى جنب العلم؟ إنما الحلال والحرام فى شىء يسير من القرآن(١).

و هذا الحديث يبين مدى أهميه أبواب العقائد على أبواب فروع الفقه، وأنّ كلاً من العلمين وإن كان من أجزاء الدين الحنيفى العظيم كما جاء فى التوصيه النبويه:

«العلم ثلاثه: آيه محكمه وسنه قائمه وفريضه عادله، وما سواهن فضل» إلّا أنه صلى الله عليه وآله وسلم ابتدأ أولاً بتصدير العقائد وهى الآيه المحكمه، ثم السنه القائمه وهى علوم الأخلاق وتهذيب النفس والآداب، ثم الفريضه عادله وهى فقه الفروع وإن فشرت بمسائل الإرث، إلّا أنّ أهميه المعارف والعقائد أهميه لا يقاس بها فقه الفروع.

وقد استنبط غير واحد من المحققين من هذا الحديث النبوى أنّ الاستقامه

فى المعرفه الدينيه لا تستتمّ إلبهذه العلوم الثلاثه، فلو اقتصر على أحدها دون الآخرين لسبب إخفاقاً، وهو استظهار متين، إلبأن ذلك لا يعنى عدم المفاضله بين هذه العلوم وشده درجه علوم المعارف، كما أن المفاضله لا يعنى الاقتصار على ما هو أفضل وترك المفضول بعد ضروره كل منها ووجوبه، فلا إفراط ولا تفريط، إلبأن الكلام فى صدد بيان أهميه علوم العقائد والمعارف وأن رواه المعارف ذوى درجه عاليه من المكانه والمقام وإن كان ذلك لا يستلزم الحط من رواه الفقه والآداب والسنن. وأنه كما وردت مدايح عظيمه فى مثل زراره ومحمد بن مسلم وبريد وأبى بصير فقد وردت مدايح عظيمه فى مثل جابر بن يزيد وسلمان وأبى ذر والمقداد والمفضل ومحمد بن سنان.

والحاصل: أنه لا بد من إقعاد قواعد رصينه متينه فى مبانى الرجال مستنده إلى أصول المعارف غير مقتصره على ما عند أرباب الجرح والتعديل من الاقتصار على قواعد فقيهه فى الفروع فقط أو قواعد كلاميه جديده، وهذا ما يتبين بالبحاح ضروره مواصله الدراسات فى تراث المعارف من أبواب وزوايا عديده ومن أهم تلك الأبواب دراسه أبواب رواه المعارف ومدارسهم ومشاربهم.

ومع ذلك ترى النجاشى يقول فى مقام الطعن على جابر بن يزيد الجعفى:

«وكان فى نفسه مختلطاً... وقلما يورد عنه شيء فى الحلال والحرام».

قال الميرزا النورى تعليقاً على كلام النجاشى: «قد كان جملة من المسائل المتعلقه بالمعارف عند جماعه من أعظم هذا العصر من المناكير التى يضللون معتقدها وينسبوناه إلى الاختلاط، كوجود عالم الذرّ والأظله عند الشيخ المفيد، وطى الأرض عند علم الهدى، ووجود الجنّه والنار الآمن عند أخيه الرضى، وأمثال ذلك ممّا يتعلّق بمقاماتهم عليهم السلام وغيره، مع تواتر الأخبار وصيرورتها كالضروريات فى هذه الأعصار. وظاهر أنّ من يرى الذى يروى خلاف ما اعتقده ينسبه إلى الاختلاط بل الزندقه ومن سبر روايات جابر فى هذه الموارد وغيرها يعرف أنّ

نسبه الاختلاط إليه اعتراف له ببلوغه المقامات العاليه والذروه الساميه من المعارف».

وقال فى معرض ردّه أيضاً بعد ما بين كثره روايات جابر فى الحلال والحرام:

«ومع الغضّ نقول ليس هذا وهنأ فيه، فإنّ القائمين بجمع الأحكام فى عصره كان أكثر من أن يحصى، فلعلّه رأى أن جمع غيرها مما يتعلّق بالدين كالمعارف والفضائل والمعاجز والأخلاف والساعه الصغرى والكبرى أهمّ ونشرها ألزم، فكّلها من معالم الدين وشعب شريعته خاتم النبيين كما أنّ قلّه ما ورد من زرارته وأضرابه فى هذه المقامات لا- تورث وهنأ فيهم ولكلّ وجهه هو مولّها»(١).

٢- وميّا يشير إلى تنوع اختصاص الرواه وتخصّص بعضهم بأحكام الفروع بخلاف بعض آخر، ما ورد من الروايات فى مدح زرارته وأبى بصير ومحمد بن مسلم وبريد من تخصيص باعهم العلمى بالحلال والحرام فى صحيح سليمان بن خالد الأقطع قال: سمعت أبا عبد الله يقول:

ما أحد أحيى ذكرنا وأحاديث أبى إلّا زرارته وأبو بصير ليث المرادى ومحمد بن مسلم وبريد بن معاويه العجلي، ولولا هؤلاء ما استنبط أحد هذا. هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبى على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا فى الدنيا والسابقون إلينا فى الآخرة(٢).

وهذه الروايه دالّه بوضوح على أنّ التخليط فى المعارف والزيغ فيها لا يعالج إلّا بالاستقامه على وفق مقتضى ظاهر الشريعة، وهو الذى يؤمنه فقه الفروع. ومن ثمّ كان أصحاب أبى الخطاب أشدّ عداوه مع هؤلاء الأربعة من الرواه الآخريين من أصحاب المعارف.

٣- ويعكس هذه الظاهره أيضاً ما فى مصحّحه مفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يوماً ودخل عليه الفيض بن المختار فذكر له آيه من كتاب الله

ص: ٩٧

١- (١). خاتمه المستدرک ٤ / ٢١٨ - ٢١٩ .

٢- (٢). الكشى / ح ٢١٩ .

عزوجل تأولها أبو عبد الله عليه السلام فقال له الفيض: جعلني الله فداك، ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم قال:

وأى الاختلاف يا فيض؟ فقال له الفيض: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أن أشك في اختلافهم في حديثهم حتى أرجع إلى المفضل بن عمر فيوقفوني من ذلك على ما تستريح إليه نفسي ويطمئن إليه قلبي فقال أبو عبد الله عليه السلام:

أجل هو كما ذكرت يا فيض إن الناس أولعوا بالكذب علينا - إلى أن قال عليه السلام: - فإذا أردت بحديثنا فعليك بهذا الجالس وأوماً إلى رجل من أصحابه فسألت أصحابه عنه فقالوا: زراره بن أعين(١).

فإن هذا الحديث أيضاً يشير بوضوح إلى أن الراوى لما أشكل عليه اختلاف الحديث حتى أدى به ذلك إلى الشك - مما يدل على توسط بصيرته ومعرفته - لم يرجعه الإمام إلى المفضل بن عمر وإنما أرجعه إلى زراره حيث إنه بالتمسك بواضح الأحكام وظاهر الشريعة من الحلال والحرام يؤمن من التحير والوقوع في الزيغ والانحراف.

٤ - و مما يعكس أيضاً اختلاف رواه الفروع عن رواه المعارف ما رواه علي بن أسباط قال: أخبرني عبيد الله بن راشد، عن عبيده بن زراره قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده البقباق - يعنى أبا العباس - فقلت له: رجل أحبّ بنى أمية أهو معهم؟ فقال لى: نعم، قال: قلت: فرجل أحبكم أهو معكم؟ قال: فقال لى:

نعم، قال: قلت: وإن زنى وإن سرق؟ فالتفت إلى البقباق فوجد منه غفله، فقال برأسه:

نعم(٢).

ويلاحظ أن الفضل بن عبد الملك أبا العباس البقباق رغم جلالته ووثاقته - وقد عدّه الشيخ المفيد من الفقهاء الأعلام والمأخوذ منهم الحلال والحرام - إلّا أنه لم يتمرس في المعارف ولم يجمع بين الفقاهة وعلو المعارف العقائديّة كعبيد بن

ص: ٩٨

١- (١). الكشى / ح ٢١٦ .

٢- (٢). الأصول الستة عشر - كتاب نوادر على بن أسباط / ٣٤٤ / ح ٥٧٤ .

زراره الذى كان له حظّ من ذلك، فمن ثم كان الإمام يتحاشى اطلاعه على لطائف المسائل المعرفيه.

ولا يتوهم من هذا الحديث أنّ المؤمن إذا ارتكب المعاصى لا يبتلى بما يمحصه ويظهره من الذنوب من الابتلاءات والعقوبات. وقد أوضح ذلك فى مكاتبه الصادق للمفضل بن عمر التى ستأتى فى هذا الجزء ببسط وتفصيل فلاحظ.

رواه المعارف أقوى فى بحوثها من رواه الفروع

من الأمور التى يتميز بها رواه المعارف الذين يختصّون بروايه لطائف المعارف والإشارات فيها عن أهل البيت عليهم السلام أنّ تمّرسهم وغورهم فى أعماق المسائل العقائديه أكفأ بكثير من رواه الفروع ومن متكلمى الرواه، حيث إنّ نجوم متكلمى الرواه هم أنفسهم نجوم رواه الفقه من الحلال والحرام.

ومن الشواهد على ذلك ما يلاحظ من الحواريات والنقاشات الدائره بين تيار البترية (1) وكلّ من رواه المعارف ورواه الفروع، حيث يرى أنّ رواه المعارف بسبب تضلّعهم وتبحّرهم فى هذا المجال لا يقوى البترية على مجابتهم ومواجهتهم بل يضعفون ويتكسبون أمامهم، ومن ثم يستفزّ البترية مقالات وروايات أصحاب المعارف كما سنتعرّض إلى جملة من النماذج.

وعلى عكس ذلك يلاحظ فى النقاش الدائر بين تيار البترية ورواه الفقه والكلام فإنّه قد يلاحظ من رواه الفقه التوقّف والانقطاع أمام إثارات البترية وعدم القدره على الجواب حتى يلجئهم الحال إلى استعمال الجواب التفصيلى وتقديم السؤال على الأئمه عليهم السلام .

ص: ٩٩

١- (١). سيأتى فى هذا الجزء نبذه من أحوال البترية تلك الجماعه المخلّطه الذين خلطوا ولايه أهل البيت عليهم السلام مع ولايه الخلفاء الغاصبين، ولا يتحمّلون كثيراً من مقامات أهل البيت عليهم السلام .

فمن نماذج النمط الأول ما يظهر من موقف جابر الجعفي الذي هو من كبار رواة المعارف والمختصين بلطائف الأسرار - وقد مضت ترجمته في الجزء السابق - ومغيره بن سعيد وأبا الخطاب مع رواد البتريه، كأمثال سفيان الثوري وابن عيينه وكثير النوا.

نظير ما رواه الكشي عن الحميدى قال: سمعت ابن أكرم الخراساني قال لسفيان: رأيت يا أبا محمد الذين عابوا على جابر الجعفي قوله: حدثني وصي الأوصياء؟ فقال سفيان: هذا أهونه (١).

فإنه ظاهر بين من مفاد هذه الروايه أن مقالات جابر ورواياته تصعب على رواد البتريه سماعها أو الحديث عنها وأنها كانت تستفزهم.

وكذا ما رواه ابن عدى في الكامل بسنده عن شهاب قال: سمعت ابن عيينه يقول: تركت جابر الجعفي وما سمعت منه، قال: «دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً يعلمه ما يعلمه ثم دعا علي الحسن فعلمه ما يعلم حتى بلغ جعفر بن محمد» قال: فتركته لذلك ولم أسمع منه.

وروى أيضاً عن الحميدى يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: سمعت جابر الجعفي يقول: انتقل العلم الذي كان في النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي ثم انتقل من علي إلى الحسين بن علي ثم لم يزل حتى بلغ جعفر بن محمد قال: وقد رأيت جعفر بن محمد (٢).

ومن هاتين الروايتين يظهر أن مقاله رواه أسرار المعارف كانت هي الشغل الشاغل المثيره لدى البتريه وأن رواد الحاملين لرايه أهل البيت عليهم السلام في الرواه هم ذلك الفريق الذين يختصون بروايه لطائف المعارف وغورها.

وكذا ما رواه القطب الراوندى عن جابر قال: كنا عند الباقر عليه السلام نحواً من

ص: ١٠٠

١- (١). رجال الكشي رقم ٣١٦، والكافي ١ / ٣٩٦ .

٢- (٢). الكامل في ضعفاء الرجال ٢ / ١١٥، وقد رواه الذهبي في ميزان الاعتدال.

خمسين رجلاً. إذ دخل عليه كثير النّوّاء فسلمّ وجلس ثم قال: إنّ المغيره بن عمران عندنا بالكوفه يزعم أنّ معك ملكاً يعرّفك الكافر من المؤمن وشيعتك من أعدائك.

قال:

ما حرفتك؟ قال: أبيع الحنطه، قال:

كذبت، قال: وربما أبيع الشعر قال:

ليس كما قلت، بل تبيع النوى، قال: من أخبرك بهذا؟ قال:

الملك الذى يعرّفنى شيعتى من عدوّى، لست تموت إلّا تائهاً.

قال جابر الجعفى: فلما انصرفنا إلى الكوفه ذهبنا فى جماعه نسأل عن كثير فدللنا على عجوز فقالت: مات تائهاً منذ ثلاثه أيام (١).

وفى هذا الحديث دلالة على عدم تحمّل كثير النّوّاء الذى كان من البتريه مقاله وروايه المغيره فمن ثمّ كانت مقالته تهيج رواد البتريه ككثير النّوّاء.

كما يظهر من هذه الروايه أنّ نمط المعارف التى كان يرويها هى من تحف ونفائس بحوث ومسائل المعارف.

وكذا ما رواه ابن أبى الحديد عن كثير النّوّاء قال: قلت لأبى جعفر محمد بن علىّ عليه السلام: جعلنى الله فداك أرايت أبا بكر وعمر هل ظلماكم من حقكم شيئاً - أو قال: ذهباً من حقكم شىء - فقال:

لا والذى أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً ما ظللنا من حقنا مثقال حبه من خردل قلت: جعلت فداك أفأتولاهما؟ قال:

نعم ويحك تولّهما فى الدنيا والآخرة وما أصابك فى عنقى ثم قال:

فعل الله بالمغيره وبنان فإنّهما كذبا علينا أهل البيت (٢).

وكذا ما رواه فى الخرائج والجرائح عن داود بن كثير الرقى قال: كنت عند الصادق عليه السلام أنا وأبو الخطاب والمفضّل وأبو عبد الله البلخى إذ دخل علينا كثير النّوّاء فقال: إنّ أبا الخطاب هذا يشتم أبا بكر وعمر ويظهر البراءه منهما.

ص: ١٠١

فالتفت الصادق عليه السلام إلى أبي الخطاب وقال: يا محمد ما تقول؟ قال: كذب و الله ما سمع مني قط شتمهما، فقال الصادق:

قد حلف ولا يحلف كاذباً. فقال: صدق لم أسمع أنا منه ولكن حدثني الثقة به عنه، قال الصادق عليه السلام:

وإن الثقة لا يبلغ ذلك.

فلما خرج كثير قال الصادق عليه السلام:

أما و الله لئن كان أبو الخطاب ذكر ما قال كثير لقد علم من أمرهما ما لم يعلمه كثير و الله لقد جلسا مجلس أمير المؤمنين عليه السلام غضباً فلا غفر الله لهما ولا عفا عنهما... (١).

ويظهر من هاتين الروايتين أنّ البتريه كانوا يتحسّسون بشده من التبري عن الشيخين الذي كان يجاهر به جملة من رواه المعارف، ويتنارون بتلجلج في كيفية مواجهتهم.

ومن نماذج النمط الثاني ما رواه الكشي عن زراره قال: لقيت سالم بن أبي حفصه فقال لي: ويحك يا زراره إنّ أبا جعفر قال لي:

أخبرني عن النخل عندكم بالعراق ينبت قائماً أو معترضاً؟ قال: فأخبرته أنه ينبت قائماً، قال: فأخبرني عن ثمركم حلوه؟ وسألني عن حمل النخل كيف يحمل؟ فأخبرته.

وسألني عن السفن تسير في الماء أو في البر؟ قال: فوصفت له أنها تسير في البحر ويمدونها الرجال بصدورهم، فأتى يمام لا يعرف هذا. قال: فدخلت الطواف و أنا مغتم لما سمعت منه فلقيت أبا جعفر عليه السلام فأخبرته بما قال لي، فلما حاذينا الحجر الأسود قال:

أله عن ذكره و الله لا يؤل إلى خير أبداً.

قال الميرداماد: ولعمر الحبيب أنّ سالم بن أبي حفصه في البلاده و كلال الفطانه لعريض القفا، لم يحم حول سر كلام أبي جعفر عليه السلام ومعناه ولم يهتد لسبيله ومغراه.

«فالنخل عندكم بالعراق» تعبير عن أهل العراق لما بين الإنسان والنخل من

ص: ١٠٢

كمال المناسبه وشده المشابهه ومن هناك فى الحديث اكرموا عمّتكم النخله.

«ونباته قائماً أو معترضاً» كناية عن نشوء المرء مستقيماً فى الدين أو معوجاً فى الاعتقاد.

وثمركم عباره عن أبنائكم وأولادكم، كما قد ورد فى تفسير قوله عزّ من قائل:

«وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ» .

و «حلو» هو سؤال عن حلاوه المذهب والسلامه عن مراره فاكهه السيره وبشاعه طعم العقيده.

و «السفن» المراد الأئمه الحجج صلوات الله عليهم لقوله صلى الله عليه و آله و سلم : مثل أهل بيتى كمثل سفينه نوح.

والسؤال عن

«سيرها فى الماء أو فى البر» معناه أنهم عليهم السلام عندكم أهل العراق مطاعون فى الحكم أو معطلون عن الاتباع والإطاعه.

كان زراره رحمه الله تعالى أيضاً طفيف القسط من توقد الفطنه والتفطن لدخله الأسرار وإلا فما وجه الاغتمام لذلك(1).

أقول: وفى هذه الروايه إشاره إلى أنّ رواه الفقه يختلف تمرّسهم عن رواه المعارف ولم تكن لهم المهاره التى امتاز بها رواه المعارف.

وقد تحدث بين رواه الفقه والبتريه وهم التلفيقيون بين ولايه أهل البيت عليهم السلام وولايه أصحاب السقيفه والذين ينكرون المقامات الغيبية للأئمه عليهم السلام نزاعات ومشادات حول تلك المقامات لا سيّما وأنّ فريق رواه المعارف ينشرونها فينثاروا فى الساحه الفكرية بينهم لغط وتجادب فى التفسير العلمى لتلك المقامات المرويّه ولم يكن فارس هذا الميدان إلّارواه المعارف.

ومن نماذج هذا النمط أيضاً ما رواه الكشى عن أبى عبيده الحذاء قال: قلت

ص: ١٠٣

لأبى جعفر عليه السلام : إنَّ سالم بن أبى حفصه يقول لى: ما بلغك أنه من مات وليس له إمام كانت ميتته ميتة جاهليه؟ فأقول: بلى فيقول: من إمامك؟ فأقول: أئمتى آل محمد عليه وعليهم السلام، فيقول: ما أسمعك عرفت إماماً! قال أبو جعفر عليه السلام :

ويح سالم وما يدري سالم ما منزله الإمام منزله الإمام يا زياد أعظم ممّا يذهب إليه سالم والناس أجمعون(١).

وتبين هذه الروايه أنّ أبا عبيده مع كونه من فقهاء الرواه إلّا أنّه مع ذلك لم يدل لسالم بن أبى حفصه بجواب متقن بل أخذ عليه السلام يوقفه ويبين له أهمّ قواعد معرفه الإمام ولكن بنحو إجمالى وبيان ابتدائى أوّلى.

وكذا ما ذكره الكشى من أنّ عمر بن رباح البترى كان أوّلاً يقول بإمامه أبى جعفر عليه السلام ثم إنه فارق هذا القول وخالف أصحابه مع عدّه يسيره بايعوه على ضلالتة، فإنه زعم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن مسأله فأجابه فيها بجواب، ثم عاد إليه فى عام آخر وزعم أنّه سأل عن تلك المسأله بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأوّل، فقال لأبى جعفر عليه السلام : هذا خلاف ما أجبته فى هذه المسأله عامك الماضى فذكر أنّه قال له: إنّ جوابنا خرج على وجه التقية فشكّ فى أمره وإمامته، فلقى رجلاً من أصحاب أبى جعفر عليه السلام يقال له: محمد بن قيس فقال: إئنّى سألت أبا جعفر عليه السلام عن مسأله فأجابنى فيها بجواب ثم سألت عنها فى عام آخر فأجابنى فيها بخلاف الجواب الأوّل فقلت له: لم فعلت ذلك؟ قال: فعلته للتقيه، وقد علم الله أنّى ما سألته إلّا وأنا صحيح العزم على التدبّر بما يفتينى فيه وقبوله والعمل به ولا وجه لالتقائه إياى وهذه حاله.

فقال له محمد بن قيس: فلعلّه حضر ك من اتّقاه، فقال: ما حضر مجلسه فى واحده من الحالين غيرى، لا ولكن كان جوابه جميعاً على وجه التخيّب ولم

ص: ١٠٤

يحفظ ما أجاب به في العام الماضي فيجيب بمثله فرجع عن إمامته (١).

وفي هذه الرواية أيضاً يظهر بوضوح عدم خوض محمد بن قيس - مع كونه من فقهاء الرواه - في عمق الاستدلال على الإمامه وبراهين حججها ونظام التأويل في كلماتهم عليهم السلام وأحوالهم.

ص: ١٠٥

١- (١). رجال الكشي رقم ٤٣٠.

٤ - اذاعه اسرار المعارف (١٤٦-١٠٧)

اشاره

ص: ١٠٧

روى عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

ما قتلنا من أذاع حديثنا قتل خطأ ولكن قتلنا قتل عمد (١).

وروى الحلبي في مختصر البصائر عن المعلى بن خنيس، قال لى أبو عبد الله عليه السلام:

«يا معلى اكنم أمرنا ولا تدعه... إن الله يحب أن يعبد في السر كما يحب أن يعبد في العلانية، يا معلى المذيع أمرنا كالجاحد له» (٢).

روى الكليني عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن محمد بن سنان عن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله فأقرئهم السلام وقل لهم:

رحم الله عبداً اجترّ مودّه الناس إلى نفسه، حدّثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون ثم قال: والله ما الناصب لنا حرباً بأشد علينا مؤونه من الناطق علينا بما نكره، فإذا عرفتم من عبد إذاعه فامشوا إليه وردوه عنها فإن قبل منكم وإلا فتحملوا عليه بمن يثقل عليه ويسمع منه، فإن الرجل منكم يطلب الحاجة فيلطف فيها حتى تقضى له، فالطفوا في حاجتي كما تطفون في حوائجكم، فإن هو قبل منكم وإلا فادفنوا كلامه تحت أقدامكم ولا تقولوا: إنه

ص: ١٠٩

١- (١). وسائل / ج ١٦ / ٢٥٠ / أبواب الأمر والنهي / ب ٣٤.

٢- (٢). مختصر البصائر / ٢٨٥ / ح ٢٨٨.

يقول ويقول، فإن ذلك يحمل على وعليكم. أما والله لو كنتم تقولون ما أقول لأقررت أنكم أصحابي، هذا أبو حنيفة له أصحاب وهذا الحسن البصري له أصحاب، وأنا امرؤ من قريش قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلمت كتاب الله وفيه تبيان كل شيء بدء الخلق وأمر السماء وأمر الأرض وأمر الأولين وأمر الآخرين وأمر ما كان وأمر ما يكون كأني أنظر إلى ذلك نصب عيني(١).

أقول: يظهر من هذا الحديث أنه عليه السلام يقَرُّ الانتماء له بالصحة بشرط مراعاة حفظ العلوم والمعارف التي لا يطيقها عامّة الناس، فضلاً عن جمهور أهل السنه وسلطان بنى أميه وبنى العباس، لأنّ فيها تبيناً لفضائلهم ومقاماتهم التي نصبهم الله لها وبالتالي ففيها إيدان وتبيان لعدم شرعية بنى أميه وبنى عباس، وتخطئه لمنهاج خصوم أهل البيت. فيقرّر عليه السلام أنّ الانتماء إليه بالصحة هو بحفظ هذه التعاليم الأمانية حول علوم ومعارف أهل البيت عليهم السلام وأنه من يقوم بالإخلال بهذا البرنامج الأمنى ويفرط في حفظه فلا محاله يستحقّ القطيعه والهجران والبراءه منه. وهذا يفسّر تبرّهم عليهم السلام من رواه أسرار المعارف الذين فرطوا في كتمانها وإذاعتها وسببوا نشوء فرق منحرفه بسبب عدم وعى جملة من عموم الناس لحقائق معانى تلك المعارف بوجهتها الصحيحه المستقيمه، فانطبت لديهم أفهام خاطئه منحرفه عن حقيقتها.

وروى الكليني بسنده عن أبي خالد الكابلي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

إنّ الله عزوجل جعل الدين دولتين دولة آدم وهى دولة الله ودوله إبليس، فإذا أراد الله أن يعبد علانيه كانت دولة آدم وإذا أراد أن يعبد سراً كانت دولة إبليس والمذيع لما أراد الله ستره مارق من الدين(٢).

قد جعل عليه السلام ترك التحفّظ وترك الكتمان للمعارف الحقه الغامضه بمثابه

ص: ١١٠

١- (١). الكافي ٢ / ٢٢٣ .

٢- (٢). الكافي ٢ / ٣٧٢ .

المروق من الدين، فإذا عه تلك المعارف الثقيله الصعبه التي ينجم من نشرها انطباع خاطيء منحرف لدى الخواص فضلاً عن العوام يسبب المروق من الدين، فهو بمثابة المروق.

عن جابر قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام و أنا شابّ فقال:

من أنت؟ قلت: من أهل الكوفه، قال:

ممن؟ قلت: من جعفيّ، قال:

ما أقدمك إلى هاهنا؟ قلت: طلب العلم، قال:

ممن؟ قلت: منك، قال:

فإذا سألك أحد من أين أنت فقل من أهل المدينه قال: قلت:

أسألك قبل كل شيء عن هذا، أيحلّ لي أن أكذب؟ قال:

ليس هذا بكذب، من كان في مدينه فهو من أهلها حتى يخرج قال: ودفع إليّ كتاباً وقال لي:

إن أنت حدّثت به حتى تهلك بنو أميه فعليك لعنتي ولعنه آبائي وإذا أنت كتمت منه شيئاً بعد هلاك بنو أميه فعليك لعنتي ولعنه آبائي، ثم دفع إليّ كتاباً آخر، ثم قال:

وهاك هذا فإن حدّثت بشيء منه أبداً فعليك لعنتي ولعنه آبائي(1).

وهناك روايات أخرى ذكرناها في ترجمه جابر بهذا المضمون وفيها ذكر عدد الأحاديث التي أمر بكتمانها وأنها تصل إلى سبعين ألف حديث(2).

وهذه الأحاديث صريحه في استحقاق لعنه الإمام عليه السلام ولعنه آبائه لمن يفرّط في كتمان غوامض المعارف، وأن اللعنه منهم عليهم السلام لمثل هؤلاء المفرّطين إنّما هو بسبب نشر وكشف المعارف التي لا يطبق فهمها على الوجه الصحيح الخواص فضلاً عن العوام، ممّا يسبب نشوء انحرافات و فرق ضالّه بسبب الفهم الخاطيء لتلك المعارف الثقيله الغامضه الصعبه المستصعبه، وعدم وعى وجوه معانيها الصحيحه الصائبه الحقّه البعيده عن انحراف التأليه أو زعم النبوه ونحو ذلك.

وروى الصفار في البصائر عن زراره قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: «قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» قال:

تريد أن تروى

١- (١). الكشي ٢٦٥ / ح ٣٣٩ .

٢- (٢). الاختصاص / ٦٦، والكافي ٨ / ١٥٧ / ح ١٤٩، والكشي / ح ٣٢٩ و ٣٤٢ و ٣٤٣ .

عليّ؟ هو الذي في نفسك (١).

وروى أيضاً عن زراره عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» قال:

أما أنت لسامع ذلك منّي لتأتى العراق فتقول:

سمعت محمد بن علي عليه السلام يقول كذا وكذا، ولكنّه الذي في نفسك (٢).

والظاهر من الخبرين أنّ زراره رضوان الله تعالى عليه حيث كان دأبه الصدع بالحقّ بقوه كان الباقر عليه السلام يتحفّظ من التصريح له بمقتطفات من خفايا المعارف التي كان يصعب تقبّل الوسط العام لهضمها.

وروى الحلبي في مختصر البصائر عن حفص الأبيض قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام أيام قتل المعلّى بن خنيس وصلب فقال:

يا حفص إنّي نهيت المعلّى عن أمر فأذاعه فقوبل بما ترى قلت له: إنّ لنا حديثاً من حفظه حفظ الله عليه دينه وديناه ومن أذاعه علينا سلبه الله دينه.

يا معلّى لا تكونوا أسرى في أيدي الناس بحديثنا إن شاءوا منّوا وإن شاءوا قتلوكم، يا معلّى إنّ من كتم الصعب من حديثنا جعله الله نوراً بين عينيه وورقه العزّ في الناس، يا معلّى من أذاع الصعب من حديثنا لم يمت حتى يعضّه السلاح أو يموت بحبل.

إنى رأيته يوماً حزيناً فقلت: مالك أذكرت أهلك وعيالك؟ فقال: نعم، فمسحت وجهه فقلت: أنى تراك؟ فقال: أرانى في بيتي مع زوجتي وعيالي فتركته في تلك الحال مليّاً ثم مسحت وجهه فقلت: أنى تراك؟ فقال: أرانى معك في المدينة فقلت له: احفظ ما رأيت ولا تدعه فقال لأهل المدينة: إنّ الأرض تطوى لى فأصابه ما قد رأيت (٣).

وفى الرواية إشارة إلى أنّ أسرار المعارف وغوامضها هي جملة من مقاماتهم عليهم السلام التي أعطاها الله إياهم مما لا يتحمّله عموم العامّة ويحسبون أنّه

ص: ١١٢

١- (١). بحار الأنوار / ٢٤ / ٣٤٧ / ٤٩ .

٢- (٢). بحار الأنوار / ٢٤ / ٣٤٧ / ٥٠ .

٣- (٣). مختصر البصائر / ٢٧٩ / ح ٢٧٩ .

خرق للناموس الإلهي وغلّو في أئمه أهل البيت عليهم السلام عن مقام البشريه، أو أنّ ذلك قول باستقلالهم في القدره الغيبيه من دون مشيّه الله عزوجل. و هذا ما يؤكّد أنّ طعن العامه على جمله من الرواه بادعاء الألوهيّه والنبوّه منشأه مثل هذه الأمور التي لا يستوعبها تصوّراتهم الاعتقاديّه ومبانيهم في المسائل الكلاميّه.

هذا مضافاً إلى حميتهم وعصبيّتهم وردّه الفعل التي لديهم تجاه تبرّي أولئك الرواه من أبي بكر وعمر، بل إنّ في نشر المعارف العاليه دلالة على بطلان وزيف من تقلّد الخلافه بغير نصّ إلهي.

وروى سعد بن عبد الله الأشعري بسند مصحّح عن أبي أسامه زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال

أمر الناس بخصلتين فضيّعوهما فصاروا منها على غير شيء:

الصبر والكتمان(١).

وهاتان الخصلتان - كما سيأتي - هما اللتان أخفق فيها عبد الله بن سبأ والمغيّره وأبو الخطاب وأمثالهما، فقاموا وانطلقوا بثورات سياسيّه بنحو عفوى اندفاعي غير مدروس كما بثوا أسرار وغوامض المعرفه مما أوقعهم في الانزلاق في شطط وشدوذ وسبب انحراف اتباعهم اللاحقه فيما بعد.

الجدليه بين حرمة الإذاعه وحرمة الكتمان

نشر معارفهم عليهم السلام - والتي هي المعارف الدينيه - وقعت بين جدليّه ثنائيّه تتجاذبها بين قاعده حرمة إذاعه أسرارهم، وبين قاعده «أذع إلى سبيل ربك بالحكمه والموعظه الحسنه» التي هي بلسان

لأن يهدى الله بك رجلاً خيراً لك ممّا طلعت عليه الشمس.

ربما يتداعى إلى ذهن البعض ما استفاض عنهم عليهم السلام من حرمة إذاعه أسرارهم، أنّها توصيه من قبلهم عليهم السلام لإخفاء وكتمان المعارف الحقّه بكلّ ما أوتينا

ص: ١١٣

من القدره، وربما يتمادى بالبعض فهم معنى هذه القاعده إلى لزوم تناسى هذه المعارف وجعلها فى بوتقه النسيان. ومن ثمّ يسجّلون المؤاخذه على أنّ تعاطى المعارف العميقه والغامضه هو مخالفه لهذه التوصيه منهم عليهم السلام، فضلاً عن محاوله نشرها وبثها والقيام بانتشارها، فإنّ هذا أضّرّ عليهم من جيش يزيد وابن سعد.

مع أنّ المشاهد لدى أهل البيت عليهم السلام أنّهم لم يفتأوا يبتّون المعارف والعلوم جيلاً بعد جيل، حتى تبدّدت كثير من الحقائق التى كانت نظريه فى الجيل الأوّل من المسلمين بل ربما كانت مستنكره وأمثله ذلك كثيره.

منها: إبطال التجسيم والتشبيه، فقد كان فى الرعيل الأوّل فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كثير ممّن يتوهم التجسيم والتشبيه إلّا أنّهم عليهم السلام استطاعوا أن يبدّوها بطلان التجسيم.

وكذلك الحال فى إبطال الجبر والتفويض، فإنّ شبهه الجبر كانت عالقه فى أذهان المسلمين فى أجيال الأولى إلّا أنّهم عليهم السلام فيما بذلوه من الجهود فى تعليم الأمه استطاعوا أن يبدّوها بطلان الجبر والتفويض.

إلى غير ذلك من الحقائق التى بنوا معرفتها فى عقليته المسلمين.

هذا مضافاً إلى التوصيات العديده فى الآيات والروايات بدعوى ونشر معارف الحقّ كالآيه التى مرّت، وكقوله تعالى: «فَلَوْ لَا نَفَرَّ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ» وجمله من آيات حرمه الكتمان «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» .

وغيرها من الروايات والآيات الحاصّه على النشر.

مضافاً إلى ما استفيض

لا تمنعوا الحكمه أهلها فتظلموهم ولا تعطوها غير مستحقّها فتظلموها.

ومن المعلوم أنّ العلم يموت بموت أهله ويندرس وينطمس، وهذه العلوم

الإلهيه لم تنزل من السماء لترفع بل ليتكامل الإنسان بها، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فالتوفيق بين هاتين القاعدتين وبيان عدم تنافيهما فيما بينهما يبتنى على بيان أصول:

الأصل الأول: أنّ المراد هو الطريق الوسط، وهو اعتماد التدريج في التعليم والهدايه كما هي سنّه الله ورسوله، واعتماد محاسبه درجه قابليه الأفراد والأوساط التي يوجّه إليها الخطاب التعليمي، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم :

إنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم(١).

ومعنى هذا الحديث الشريف ليس أن لا يكلم الناس ولا يعلمهم بل أن يكلموا الناس بقدر قابليتهم فتتسع شيئاً فشيئاً.

الأصل الثاني: لا بدّ من مراعاة لغة التعليم ولغة الخطاب، فإنّها مؤثّره غايه التأثير في حصول قابليه الطرف الآخر فإنّ حقيقه ما ومعنى ما إذا ألقى في قالب لغة معيّنه فإنّه سيُقبل ويدرك حقيقته ويُهضم، بخلاف ما إذا ألقى بقالب آخر، فإنه يستوحش منه وينكر وينفر منه. وهذا أصل آخر في الموازنه بين هدايه الناس ودعوتهم إلى الرشاد وبين تجنّب إلقاءهم فيما لا يطيقون مما يسبب إثارتهم وحصول التشنّج لديهم وجحدهم وإنكارهم ما لا يفقهون.

وهذا أصل عظيم جدّاً فإنّ الكثير من المعارف الحقه إذا اعتمد في بيانها وتبيانها ما يحاذيها من لغات العلوم المعاصره فإنّ ذلك يوجب وضوح فهمها وبلاغه البيان لتوضيحها، فاعتماد الترجمة العلميه لهذه المعارف أمر بالغ الأهميه، فإنّ الملاحظ أنّ هناك جملة من الثوابت الدينيه على صعيد الأحكام الفرعيه الشرعيه والقوانين العمليه فضلاً عن العقائد قد وقع فيها التشكيك والاضطراب نتيجة عدم فهم الجيل المعاصر لحقيقتها وفي الحقيقه أنه لا يفهم لغتها التقليديه،

ص: ١١٥

ولو بينت له بلغه معاصره لاستوضحها.

قال الصادق عليه السلام فى وصف المؤمنين الكاملين:

ألسنتهم مسجونة وصدورهم وعاء لسرّ الله، إن وجدوا له أهلاً نبدوه إليه نبذاً وإن لم يجدوا له أهلاً ألقوا على ألسنتهم أقفالاً غُتِبوا مفاتيحها وجعلوا على أفواههم أوكيه صلب صلاب أصلب من الجبال لا ينحت منهم شيء (١).

فتبين هذه الرواية أنّ الميزان هو الأهليه والقابليه ومن الواضح أنّها تدريجيه ونسبیه ومتفاوته بين الأفراد والأشخاص والبيئات ولا يعنى تفاوتها فى الدرجات انعدامها من رأس وعدم وجودها.

وفى صحيح حمران بن أعين قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: أسألك أصلحك الله؟ قال:

نعم، قال: كنت على حال و أنا اليوم على حال أخرى، كنت أدخل الأرض فأدعوا الرجل والاثنين والمرأه فينقذ الله من يشاء و أنا اليوم لا أدعو أحداً فقال:

وما عليك أن تخلّى بين الناس وبين ربّهم؟ فمن أراد الله أن يخرج من ظلمه إليه نور أخرجه ولا- عليك إن آنت من أحد خيراً أن تنبذ إليه الشىء نبذاً، قلت: فأخبرنى عن قول الله:

« وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً » قال:

من حرق أو غرق أو غدر ثم سكت، فقال:

تأويلها الأعظم أن دعاها فاستجابت له (٢).

فيظهر من الحديث أنّ نشر وإلقاء معارف أهل البيت ودعوه الناس إليهم من أعظم مصاديق الآيه الشريفه، لكن شريطه الأهليه والقابليه، فإن أنس من أحد خيراً وعلم منه أنه ليس بصدد العناد واللجاج فينبذ إليه نبذاً من علوم أهل البيت عليهم السلام أى يعطيه المعارف تدريجاً فيخرجه الله من الظلمات إلى النور شيئاً فشيئاً، فإذا علم من حال أحد خيراً لا يلقى إليه من العلوم إل شيئاً يسيراً بقدر فهمه واستعداده حتى يكمل شيئاً فشيئاً.

ص: ١١٤

١- (١). الأصول الستة عشر: ٧.

٢- (٢). محاسن البرقى ١ / ٢٣٢.

إنّ هناك شريحه يصفها أئمه أهل البيت عليهم السلام بالسفله وهم أتباع الأهواء والشهوات والنزعات الدينيه الدنيويه السفله الذين حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها وليس لهم همّ إلّا الوصول إلى أغراضهم السفله التي من أهمّها وأعظمها عندهم الرئاسه المعنويه والملكوتيه على الناس. فإنّ من الناس من كان همّه الدينار والدرهم، ومنهم من يهّمه السمععه والشهره، ومنهم من يهّمه الشهوات الدينيه والمنكره، ومن الناس من يفدى جميع ذلك للوصول إلى مقام الرئاسه فإنّ المعشار من حلاوتها لا يساوى عندهم جميع الشهوات والأهواء واللذات السفله الدنيويه. فهو يحلّ ما حرّم الله ويحرّم ما أحلّ الله ويترك لذّه الأموال والنعم المباحه المحلله طلباً للرئاسه.

وليعلم أنّ الرئاسه الملكوتيه أشدّ وأقوى وأعظم وأدوم من الرئاسه الملكيه وذلك:

أولاً: أنّ الرئاسه الملكيه وإن تحدثت بسرعه إلّا أنّه تزول كذلك، فيرى أنّ حاكماً من الحكّام وسلطاناً من السلاطين ما إن انقضت مدّه حكمه وسلطانه انقضت عزّته وسمعته، والذين يقبلون اليه ويتملقونه يدبرون عنه ويدمّونه؛ فهذه الرئاسه سريعه الزوال؛ بينما الرئاسه الملكوتيه والحكوميه على قلوب الناس لا

تنقضى بسهولة ولا- يمكن عزل ذلك الرئيس عبر مكتوبه أو ما شاكل ذلك، بل هو يظل يترأس ويحكم على قلوب العباد ولو وقع فى السجن تحت أشد العقوبات.

وثانياً: أنّ الرئاسه الملكوتيه حكمها أنفذ وأوقع فى القلوب، فإنك ترى أنّ بعض الناس يبذلون أنفسهم وأعراضهم فضلاً عن أموالهم وأولادهم وسمعتهم وأسرتهم فى سبيل من يحكم على قلوبهم ولا يرون فى ذلك غضاضه، بل يبذلونها على الرحب والسعه معترفين بالتقصير عن أداء واجبهم تجاه ذلك الحاكم الملكوتى، بينما الناس تراهم يحاولون الفرار بكل ما لديهم من القدرات عن العمل بالأحكام الصادره من السلاطين الملكيه لا سيما إذا تمسّهم تلك الأحكام بسوء.

وثالثاً: إنّ من يقبل حكومه الحاكم الملكى على نفسه ويطبّق أحكامه فى سلوكياته ويأتمر بأوامره وينتهى عن زواجه لا يفعل ذلك إلهاماً للخوف عن أذاه أو للطمع إلى دنياه، فأنت ترى أنّه لو رفعت العقوبه على مخالفه القوانين الحكوميه وكذا لو رفعت العطايا الدنيويه الدينيه لن يتحمّل أحد مشقّه العمل بأحكامه على عاتقه وليرفض ذلك تماماً.

فأتباع الحاكم الدنيوى إنّما يتبعونه لينالوا من دنياه أو ليصونوا من عقابه، بينما أتباع الحاكم الملكوتى يتبعونه لأجله حتّى لو لم ينالوا من دنياه شيئاً، بل لو تعرض دنياهم إلى الخطر وأنفسهم إلى الضرر فلا يرضون بأن يهملوا مراداته حتّى لو لم ينطقها بلسان.

فلأجل هذه الأمور وغيرها كانت الرئاسه الملكوتيه منذ أن أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض مطمح نظر طلاب الدنيا وأهل الأهواء والشهوات، ولأجل هذا ادعى بعضهم النبوه بغير حقّ أو الوصايه والخلافه والولايه فهؤلاء الجماعه يحاولون بكل ما لديهم من الاستطاعه والقدره أن يصلوا إلى ذلك المقام من الحكومه على قلوب العباد وقد يترك بعضهم لذات الدنيا بأجمعها ويعيش طوال عمره فى حاله

حرجه وضيّقه للوصول إلى ذلك المقام يوماً ما، نظير بعض رؤساء الصوفية والدرأويش.

فقد روى الطبرسى فى الاحتجاج عن أبى الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: قال على بن الحسين عليه السلام :

إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وتماوت فى منطقته وتخاضع فى حركاته فرويداً لا- يغزّنكم ما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانتته وجبن قلبه فنصب الدين فخاً له فهو لا يزال يحيل الناس بظاهره فإن تمكّن من الحرام اقتحمه.

وإذا رأيتموه (وجدتموه - خ) يعفّ عن المال الحرام فرويداً لا- يغزّنكم فإنّ شهوات الخلق مختلفه فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر ويحمل نفسه على شوهاء قبيحه، فيأتى منها (بها - خ) محرّماً.

فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك فرويداً لا يغزّنكم حتى تنظروا ما عقده عقله فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا- يغزّنكم حتى تنظروا أمع هواه يكون على عقله؟ أو يكون مع عقله على هواه؟ وكيف محبته للرياسات الباطله وزهده فيها؟ فإن فى الناس من خسر الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا ويرى أنّ لذّه الرياسه الباطله أفضل من لذه الأموال والنعم المباحه المحلله فيترك ذلك أجمع طلباً للرياسه حتى «إذا قيل له اتق الله أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد» فهو يخبط يخبط عشواء يقوده أول باطله إلى أبعد غايات الخساره ويمدّ ربه بعد طلبه لمال يقدر عليه فى حياته (طغيانه - خ) فهو يحلّ ما حرّم الله ويحرّم ما أحلّ الله. لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التى قد شقى (يتقى - خ) من أجلها «فأولئك الذين غضب الله عليهم و لعنهم و أعد لهم عذاباً مهيناً»(١).

فهذه الجماعه من الناس الذين ليس لهم همّ إلا الوصول إلى تلك الرئاسات

ص: ١١٩

١- (١). بحار الأنوار ٢ / ٨٤ والاحتجاج ٢ / ١٥٩ مطبعه أسوه.

الباطله يستخدمون أى وسيلة يمكنهم الاستفادة منها فى سبيل أغراضهم الدينيه وقد اصطلح أئمه أهل البيت عليهم السلام عنهم بالسفله.

فقد ورد فى الأخبار أنّ السفله هم الذين يقلّ فيهم النجابه والكرامه ويغلب فيهم الدناءه ولا يرجون ثواب الله ولا يخافون من عقابه.

روى الكشى عن إبراهيم بن على الكوفى قال: حدّثنا إبراهيم بن إسحاق الموصلى عن يونس بن عبد الرحمن عن العلاء بن رزين عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

إياك والسفله إنّما شيعه جعفر من عفّ بطنه وفرجه واشتدّ جهاده وعمل لخالفه ورجا ثوابه وخاف عقابه(١).

وروى الكلينى عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن منصور بن برزج، عن مفضّل قال:

إياك والسفله، فإنّما شيعه على من عفّ بطنه وفرجه واشتدّ جهاده وعمل لخالفه ورجا ثوابه وخاف عقابه فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعه جعفر(٢).

قال العلامة المجلسى: والحاصل أنّ السفله أراذل الناس وأدانيه وقد ورد النهى عن مخالطتهم ومعاملتهم وفسر بالحديث بمن لا يبالى ما قال ولا ما قيل له وهاهنا قوبل بالشيعة الموصوفين بالصفات المذكوره وحذّر عن مخالطتهم ورغب فى مصاحبه هؤلاء. انتهى(٣).

أقول: فمن لم يعفّ بطنه ولا فرجه وقلّت رياضته وكثرت لذاته وعمل للريا فهو من السفله. والسفله إنّما تقابل الشيعة.

وروى الصدوق بسنده عن أبى عبد الله عليه السلام: أنّه سئل عن السفله فقال:

من

ص: ١٢٠

١- (١). الكشى ٣٧٢ / ح ٥٥٢ .

٢- (٢). الكافى ٢ / ٢٣٣ .

٣- (٣). بحار الأنوار ٦٥ / ١٨٨ .

يشرب الخمر ويضرب بالطنبور ذنبان أحدهما أشد من الآخر (١).

وفى حديث الأربعمائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

احذروا السفله فإنّ السفله من لا يخاف الله عزوجل، فيهم قتله الأنبياء وفيهم أعداؤنا (٢).

وقال الصدوق فى الفقيه: جاءت الأخبار فى معنى السفله على وجوه فمنها أنّ السفله هو الذى لا يبالى ما قال وما قيل له، ومنها أنّ السفله من يضرب بالطنبور، ومنها أنّ السفله من لم يسره الإحسان ولا تسوؤه الإساءة، والسفله من ادّعى الإمامه وليس لها بأهل وهذه كلّها أوصاف السفله من اجتمع فيه بعضها أو جميعها وجب اجتناب مخالطته (٣).

وفى تحف العقول أنّه سئل عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام عن السفله فقال:

من كان له شيء يلهيه عن الله (٤).

وروى ابن إدريس فى مستطرفات السرائر نقلاً عن جامع البزنطى قال: سئل أبو الحسن عليه السلام عن السفله فقال:

الذى يأكل فى الأسواق (٥).

ونقل الشيخ فى الأمالى عن الفضيل بن عياض سئل ابن المبارك فمن السفله قال: الذى يأكل بدينه (٦).

وقد يعبر عنهم فى الروايات بالغوغاء - كما أشار إليه العلامة المجلسى فى البحار (٧) - وقال فى القاموس: سفله الناس بالكسر كفرحه أسافلهم وغوغاهم - فقد روى الشيخ بسنده عن على بن محمد الرضا عليه السلام بسرّ من رأى يقول:

الغوغاء

ص: ١٢١

١- (١) . الخصال / ٦٢ .

٢- (٢) . الخصال / ٦٣٥ .

٣- (٣) . الفقيه ٣ / ١٦٥ .

٤- (٤) . تحف العقول / ٤٤٢ .

٥- (٥) . وسائل الشيعة ٢٤ / ٣٩٥ .

٦- (٦) . الأمالى / ٣٩٧ .

٧- (٧) . بحار الأنوار ٥٠ / ١٧٥ .

قتله الأنبياء والعامه اسم مشتق من العمى ما رضى الله لهم أن شبههم بالأنعام حتى قال «بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا»^١.

وهذه الصفات والخصوصيات كلها نابغه عن الدناءه والرذاله والخلود إلى الدنيا السافله وعدم الخوف من الله وقله التقوى، فصاحبه لا يبالي ما يفعل إذا سلمت له دنياه ومتى ما رأى رواج الدين يجعله بضاعه يشتري بها دنياه وقد ألهاه حبّ الرياسات الباطله عن الله.

وقال العلامة النمازى فى بيان ذم السفله ولزوم الاحتراز عنهم بأنّه يمكن تأويل الأسفلين وأسفل السافلين فى الآيتين بأعداء آل محمد عليهم السلام . انتهى(١).

وعلى هذا الاحتمال يمكن أن يقال بأنّ وجه تسميتهم بالسفله لأجل كونهم فى الدرك الأسفل فى النار وبما أنّ هذه المرتبه من النار إنّما هى محلّ المنافقين كما قال تعالى: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»^٣ فيمكن أن يقال إنّ السفله أظهروا الإيمان وموالاه أهل البيت عليهم السلام وأبطنوا الكفر ومعاداتهم طلباً للدنيا وأنهما من أقسام النفاق الآتية ذكرها.

السفله وأسرار المعارف

ومن أهمّ ما يمكنهم استخدامه للوصول إلى مطامعهم هى المعارف الغامضه والأسرار الشاهقه من علوم أهل البيت عليهم السلام فإنّه بتوسّطها يترأسون على قلوب العباد لما فى هذه المعارف من طلاوه وطراوه وعمق وعلو، فنقل هذه المعارف العميقه وتذيعها يجعلون أنفسهم فى موقع المتعمّق الراسخ فى الأسرار والمعارف ويخدعون الناس فيها، ولأجل ذلك حذر أئمّه أهل البيت عليهم السلام عن

ص: ١٢٢

١- (٢) . مستدرک سفینه البحار ٥ / ٦٥ .

إعطاء المعارف لهم وتحديثهم بأحاديث فيها نكت وظرائف الأسرار، و ذلك لأنَّ وقوع هذه المعارف في أيديهم معناه امتلاكهم للثروه الفاخره التي يتمكنون بها من الوصول إلى أغراضهم الدينيه السافله.

ولأجل هذا حذّر أئمه أهل البيت عليهم السلام بشدّه وقوّه عن إعطائهم بغوامض المعارف وأسرارها فإنّهم يجعلونها بضاعه ووسيله للوصول إلى أغراضهم الدينيه السافله.

فمن ذلك ما روى الكشى عن جبريل بن أحمد، حدّثني محمد بن عيسى، عن عبد الله بن جبّله الكنانى عن ذريح المحاربى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن جابر الجعفى وما روى؟ فلم يجبنى وأظنه قال: سألته بجمع فلم يجبنى فسألته الثالثه؟ فقال لى:

يا ذريح! دع ذكر جابر فإنّ السفله إذا سمعوا بأحاديثه شنعوا أو قال أذاعوا(١).

وروى عن آدم بن محمد البلخى قال: حدّثنا على بن الحسن هارون الدقّان قال: حدّثنا على بن أحمد قال: حدّثني على بن سليمان قال: حدّثني الحسن بن على بن فضّال عن على بن حسان عن المفضّل بن عمر الجعفى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير جابر؟ فقال:

لا تحدّث به السفله فيذيعوه، أما تقرأ فى كتاب الله عزوجل: «فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ»

إِنَّ مَنَا إِمَامًا مُسْتَرًّا فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَ أَمْرِهِ نَكَتَ فِي قَلْبِهِ فَظَهَرَ فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ(٢).

وروى عن محمد بن سنان عن عبد الله بن جبّله الكنانى عن ذريح المحاربى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام بالمدينه: ما تقول فى أحاديث جابر؟ قال:

تلّقانى بمكه، قال: فلقيته بمكه فقال:

تلّقانى بالمدينه، قال: فلقيته بمنى فقال لى:

ما تصنع بأحاديث جابر؟ أله عن أحاديث جابر فإنّها إذا وقعت إلى السفله أذاعوها.

ص: ١٢٣

١- (١). الكشى ٢٦٦ / ح ٣٤٠.

٢- (٢). الكشى ٢٦٥ / ح ٣٣٨.

قال عبد الله بن جبلة: فأحسب ذريحاً سفله (١).

وعن محمد بن العباس عن الحسين بن أحمد عن محمد بن عيسى عن يونس عن جميل قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أحدّتهم بتفسير جابر؟ قال:

لا تحدّث به السفله فيؤبّخوه (٢).

فيستفاد من هذه الأحاديث شدّه حرص الأئمة عليهم السلام على عدم وصول هذه المعارف إلى السفله فإنّ جابر بن يزيد الجعفي هو من بحور معارف أهل البيت عليهم السلام وأسود هذا الميدان، وقد حمّله الإمام الباقر عليه السلام وقرأ من العلم ولقد قال: رويت خمسين ألف حديث ما سمعه أحد منّي (٣).

وقال حدثني أبو جعفر عليه السلام سبعين ألف حديث لم أحدّث بها أحداً قطّ، ولا أحدّث بها أحداً أبداً. قال جابر: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إنك قد حمّلتني وقرأ عظيمًا بها حدثتني من سرّكم الذي لا أحدّث به أحداً. فربما جاش في صدري حتّى يأخذني منه شبه الجنون. قال عليه السلام:

يا جابر فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجبان فاحفر حفيره ودل رأسك فيها ثم قل: حدّثني محمد بن علي بكذا وكذا (٤).

وقد مرّ ترجمته في الجزء السابق وبيّنا هناك أنّه أوحديّ في رواه المعارف الذين لم يزلزلهم عواصف الدهر وثبتوا على الصراط المستقيم.

ولأجل هذا نهى الإمام عليه السلام عن تحديث السفله بأحاديث جابر وتفسيره.

دور السفله في انحراف بعض رواه المعارف

يظهر من بعض الأخبار أنّ من جملة أسباب انحراف من انحرف من رواه المعارف نظير أبي الخطّاب، مخالطتهم ومعاشرتهم مع السفله، وهذه المعاشرة

ص: ١٢٤

١- (١). الكشي ٤٣٩ / ح ٦٩٩.

٢- (٢). بحار الأنوار ٨ / ٥٠.

٣- (٣). الكشي / ح ٣٤٢.

٤- (٤). الكشي / ح ٣٤٣.

والمصاحبه أثرت فى بزوغ بعض الانحرافات لديهم نظير إذاعه الأسرار الذى هو بدوره سبب مشاكل ومخاطر عظيمه مهوله.

فقد روى الكشى عن حمدويه قال: حدّثنا يعقوب بن يزيد عن العباس القصبانى ابن عامر الكوفى عن المفضّل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

أتق السفله واحذر السفله، فإنّى نهيت أبا الخطاب فلم يقبل منّى (١).

فإنّ تحذير الإمام الصادق عليه السلام المفضّل عمّا وقع فيه أبو الخطاب - حيث حدّره الإمام عليه السلام عن مصاحبه السفله - مما يدلّ على أنّ من وصل إلى مقامات علميه قد يجرحهم السفله لابتداعهم المذاهب المنحرفه. وهذا ما يشاهد فى انحرافات الصوفيه من دخول أصحاب الشهوات والأراذل فيهم كى يصل إلى أغراضهم الدنيه السافله خسائس الغرائض بتقمّص سلوكيات ومقالات المعرفه.

وقال الكشى: محمد بن مسعود قال: حدّثنى على بن محمد قال: حدّثنى محمد بن أحمد عن محمد بن عيسى عن الحسن بن ميثاق عن عيسى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

إياك ومخالطه السفله فإنّ السفله لا يؤل إلى خير (٢).

وروى الكشى عن محمد بن مسعود قال: حدّثنى على بن محمد القمى قال حدّثنى محمد بن أحمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن موسى بن سلام عن حبيب الخثعمى عن ابن أبى يعفور قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه رجل حسن الهيئه، فقال:

أتق السفله فما تقارّت فى الأرض حتّى خرجت، فسألت عنه فوجدته غالباً (٣).

وروى الكلينى عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن عمّار بن موسى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

يا عمّار إن كنت

ص: ١٢٥

١- (١). الكشى ٣٦٣ / ح ٥٢٠.

٢- (٢). الكشى ٣٦٦ / ح ٥٣٦.

٣- (٣). الكشى ٣٧٣ / ح ٥٥٣.

تحبّ أن تستتبّ لك النعمه وتكمل لك المروءه وتصلح لك المعيشه، فلا تشارك العبيد والسفله فى أمرك فإنك إن ائتمنتهم خانوك وإن حدّثوك كذبوك وإن نكبت خذلوك وإن وعدوك أخلفوك (١).

أقول: فمن لم تتوفّر فيه أصول الأدب والنجابه والكرامه ولم يكن كريم الطبع رجل سفلى لا سيما كانت رذالته باطنه غير ظاهره، ومن أجل هذا ينبغى التجنب عنهم وعن مخالطتهم ومعاشرتهم ومصاحبتهم، فإنّ مصاحبتهم يؤدّى إلى الوقوع فى الانحرافات الخطيره.

ص: ١٢٤

١- (١). الكافى ٢ / ٦٤٠ .

إشاره

إنّ كثيراً من رواه المعارف وأسرار المقامات قد رووا فى صفات النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته معانى لم يعقلها الكثير من الرواه الآخرين ممّن هم ذوى مشارب ومسالك أخرى واتّجاه خاص معيّن، كالاتّجاه الفقهي أو الكلامي أو فى السنن والآداب أو اتّجاه التنسك والمندوبات أو التفسير والقراءات، فوضعوا على غير حدودها وحرّفوها عن وجهتها فأنكروها وطعنوا على الرواه لها، واتّهموهم بما طبع لديهم من الخطأ فى تفسيرها وتأويلها. لا سيّما وأنّ جملة من هذه الروايات قد وصلت إلى مسامع رواه العامه ممّن ليس له أيّ معرفه بحقائق أصول مذهب أهل البيت عليهم السلام فشدد الطعن على مضامين تلك الروايات والرواه وقذف روايتها بالغلوّ والإفراط والقول بتأليه أهل البيت عليهم السلام أو القول بنبوّاتهم، وكلّ ذلك بسبب عدم المعرفة بحقائق أصول معارف أهل البيت عليهم السلام .

ولنذكر لذلك نماذجاً مع أنّ الحرى بنا فى المقام استقصاء تلك الموارد لكن لا يسقط الميسور بالمعسور:

النموذج الأول: الفرق بين النبى والمحدّث

إنّ الارتباط بالغيب عند العامه مطلقاً لا يفسّر إلّا بالنبوّه وأنه وحى نبوى، مع

أنه من أصول القرآن الكريم ومذهب أهل البيت عليهم السلام أنّ هناك قنوات مختلفه غير قناه النبوه للارتباط بالغيب لدى الأوصياء والمصطفين من الحجج، كما ضرب القرآن أمثالاََ لذلك كطالوت ومريم وذى القرنين والخضر وصاحب سليمان آصف بن برخيا وعزير وأم موسى ولقمان وغيرهم من الحجج والأوصياء والأولياء. ومن تلك القنوات العلم اللدنى وعلم الكتاب والبسط فى العلم والتمكين من الأسباب والحكمه والتوسم وغيرها ممّا استعرضه القرآن الكريم وممّا هو مستفيض ومتواتر فى أحاديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام .

بينما يرى ذلك العامه سواء محدّثهم أو متكلّمهم أو مفسريهم أو فقهاءهم - عدا من كان له مشرب صوفى - أنّ ذلك قول بالنبوه، فتراهم يطعنون على رواه تلك المعانى والصفات فى الأئمه عليهم السلام بأنهم قائلون بالنبوه. وما أن يتفشى ويتشر ذلك الطعن حتى يتلقاه جملة من رواه الأئمه عليهم السلام ممّن هم ذوى مشرب ومسلك مختلف مع أسرار المعارف، فيثير لديهم الحفيظه والتحصن تجاه رواه المعارف فيتفشى ويترسخ الطعن.

لا- سيما ويساعد هذا الأمر أنّ إذاعه وانتشار تلك الروايات يصل إلى ضعاف العقول فيتأولونه على غير حدّه وقيمون تلك الصفات فى غير مقامها، فيستفحل الخطب.

ولا سيما وأنّ هناك شريحه أخرى يصفها أئمه أهل البيت عليهم السلام بالسفله وقد مرّ أنّهم الذين تملكهم الشهوات وحبّ السمعه، ويقلّ فيهم صفه النجابه وكرامه الطبع، وتقوى فيهم الرذيله فيتوصلون إلى أغراضهم الدنيه السافله بتقمص سلوكيات ومقالات المعرفه، ويوغلون فى تحريف المعانى والابتداع فى تفسيرها ويتخذون من ذلك مدعاها لاستغفال بسطاء العقول ومصيده لهم كى يقيموا لأنفسهم الرئاسات الباطله، وجمع الأموال والمرده، والنيل من الأعراض ونواميس الناس، فيشتدّ الأمر صعوبه ويكثر العضال وتنوب الطامات. ولأجل ذلك حرّم

الأئمة عليهم السلام إذاعه ونشر وإفشاء تلك المعارف إلّاللخواصّ ممّن له قدره فى التحمل ووعى المعانى بالاتزان وطهاره فى الأخلاق بعيداً عن ذوى النزعات النفسيه وأصحاب الميول والأهواء.

وقد أكد أئمه أهل البيت عليهم السلام على بيان الفرق بين النبى والرسول والمحدث و أنهم محدّثون.

فمنها ما رواه الكلينى بسنده عن عبيد بن زراره قال: أرسل أبو جعفر عليه السلام إلى زراره

أن يعلم الحكم بن عتيبه أن أوصياء محمد عليه وعليهم السلام محدّثون(١).

أقول: يظهر من الحديث أنّ الحكم بن عتيبه - الذى كان من البتريه - يزعم أنّ الارتباط الغيبى لدى الأئمة عليهم السلام معناه وصولهم إلى درجه النبوه فأعلمه الإمام بأنهم محدّثون لا أنبياء.

وقد ورد

أنّ أبا الخطاب هلك لأنّه لم يدر ما تأويل المحدث والنبى(٢).

وروى الكلينى بسند صحيح عن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر عليه السلام :

إنّ علياً عليه السلام كان محدّثاً. فخرجت إلى أصحابى فقلت جئتكم بعجيبه فقالوا: ما هى؟ فقلت: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان على عليه السلام محدّثاً، فقالوا: ما صنعت شيئاً ألا سألته من كان يحدثه فرجعت إليه فقلت: إننى حدّثت أصحابى بما حدّثتنى فقالوا:

ما صنعت شيئاً ألا سألته من كان يحدثه؟ فقال لى:

يحدّثه ملك. قلت: تقول: إنّه نبى؟ قال: فحرّك يده هكذا:

أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذى القرنين أو ما بلغكم أنّه قال: وفيكم مثله(٣).

أقول: يظهر من الحديث أنّ المرتكز عند حمران وأصحابه هو أنّ الارتباط الغيبى إنّما يفسّر بالنبوه وقد تبّه الإمام عليه السلام على بطلان هذه المزعمه واستشهد

ص: ١٢٩

١- (١). الكافى ١ / ٢٧٠ باب أن الأئمة عليهم السلام محدثون مفهّمون / ح ١ .

٢- (٢). نفس المصدر / ح ٢ .

٣- (٣). الكافى ١ / ٢٧١ / ح ٥ .

بآيات من القرآن حيث إنه يصرح فيها بأن آصف بن برخيا والخضر وذى القرنين كانوا على ارتباط مستمر مع الساحه الربويه وعالم الغيب والملكوت مع أنهم ليسوا بأنبياء. ونظيرها ما ورد فى شأن مريم وأم موسى فلقد خاطبهما الملائكه وتحدّثوا مع جبرئيل، بل يظهر من بعض الآيات أنّ الله تبارك وتعالى كلم مريم من دون واسطه جبرئيل.

النموذج الثانى: حقيقه الإلهام

فإن من يقوم بالإلهام عند العامه ليس إلّا الله تعالى أى أنّ هذا الفعل يسند إليه تعالى لا لغيره، فالملهم هو البارى تعالى والذى يُلهّم لا- يكون إلّا نبيّاً، مع أنّ القرآن الكريم يسند فعل الإلهام إلى الملائكه أيضاً كما فى قوله تعالى: «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ» فأسند الإيحاء هاهنا إلى الرسول بإذن الله تعالى، فالموحى هو الرسول والموحى إليه هو البشر الذى يخصّه الله بالكلام من المصطفين الأطهار، فالملهم - بالكسر - هو غيره تعالى ولكن بإذنه، والملهم من يصطفيه الله.

و هذا الإلهام ليس من الضروره أن يكون من الوحي النبوى بل عن أقسام الارتباط بالغيب الأخرى كما فى شأن مريم وأم موسى وغيرهما من الأمثله المضروبه فى القرآن.

لكنّ العامه حيث خصّوا الفاعل للإلهام به تعالى والملهم - بالفتح - هو النبى ارتكز عندهم أنّ صفة فاعل الإلهام من الصفات الألوهيه وصف من يلقى إليه الإلهام هو من صفات النبوه، فإذا سمعوا بمقالات أو بمضامين روايات أنّ الأئمه عليهم السلام يلهمون نوابهم الخاصين ومن يتخذوه باباً لهم كما ورد فى شأن سلمان وجمله ممن كانوا أبواباً للأئمه عليهم السلام وكما فى النّوَاب الأربعة، حسبوا بأنّ هذه الصفة هى الصفة الألوهيه للأئمه عليهم السلام وأنّ أبوابهم أنبياء.

فأخذ العامه فى طعن أصحاب تلك المقالات واتهامهم بأنهم يدعون الألوهيه فى الأئمه عليهم السلام وأنّ هؤلاء الأبواب يدعون النبوه والرساله وأنّ الأئمه عليهم السلام

بعثوهم، وعندما يتفشى طعنهم يتلقفه بقيه رواه الإماميه ممن ليس لهم مشرب ومسلک روايات المعارف ويشتد الطعن حينئذٍ ويتريخ. ويزداد الأمر خطباً إذا سرى ذلك إلى السفله وضعاف العقول فإنهم يتخذون هذا التحريف دعوةً ومنهاجاً، ومن ثم كانت الإذاعه لهذا النمط من المعارف مدعاة للتحريف ولبروز ونشوء الفرق الضالّه ولتشنيع العامه بهتاتاً بما لا يفقهون.

ومن أمثله هذه الروايات:

ما رواه الكشى بسنده عن الصادق عليه السلام أنه قال فى الحديث الذى روى فيه أنّ سلمان كان محدثاً قال:

إنه كان محدثاً عن إمامه لا عن ربّه، لأنّه لا يحدث عن الله عزوجل إلّا الحجه (١).

مع أنه فى الروايات فسّر التحديث بالإلهام والنقره فى الأذن.

وما ورد فى زياره النواب الأربعة:

أشهد أنّ الله اختصك بنوره حتى عاينت الشخص فأديت عنه وأدّيت إليه (٢).

فإنّ المعايينه المذكوره هنا ليس من سنخ المعايينه الظاهريه التى تحصل للبرّ والفاجر بل هى سنخ آخر من العيان الذى لا يحصل إلّا لمن اختصّه الله بنوره، وهو بعد هذه المعايينه يؤدّى عن الإمام عليه السلام فالقناه التى تربط الباب والسفير إلى الإمام قناه غيبى إلهامى.

ومن ذلك يُعلم أنّ انحراف جملة من رواه أسرار المعارف هو فى إذاعتهم تلك المعارف التى لا- يحتملها الآخرون وتنطبع لديهم معانيها على غير وجهها، فيضعونها على غير حدودها ويحرّفونها ولا يعقلونها، فيدبّ الانحراف ويفشى وكل ذلك بسبب الإذاعه للمعاني الصعاب المعضلات التى لا يتحمّل وعى معانيها وحقائقها الآخرون، فيكون إذاعه أولئك الرواه هو السبب فى نشوء هذا الانحراف

ص: ١٣١

١- (١). الكشى / ح ٣٤ .

٢- (٢). التهذيب ١١٨ / ٦ .

وهو موجب لصدور اللعن من الأئمة عليهم السلام لهم على ما فعلوه.

ص: ١٣٢

إنّ هناك المستفيض من الروايات المتضمّنه لكون علم أهل البيت عليهم السلام ذو طبقات بل هذه الروايات متواتره مع اختلاف ألسنتها وصنوفها، وهي دالّه على وجود علم صعب مستصعب لا- يتحمّله نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا مؤمن ممتحن، فكيف يتحمّله أرباب الجرح في علم الرجال كالفضل بن شاذان وأتباعه من مدرسته والنجاشي وابن الغضائري أو التيار المتشدّد من القميين الذين كان ديدنهم الحدّه في تضعيف الرواه ومضامين الأحاديث في المعارف. وإن لم يكن ذلك التيار متفرداً بالساحه العلميه في مدرسه قم الروائيه فقد كانت التيارات على الطرف المعاكس له كما بيّناه سابقاً.

ووجود مثل هذه العلوم والمعارف في روايات أهل البيت عليهم السلام الذي هو على طبقات ودرجات - كما يظهر بوضوح لمن تصفّح هذه الروايات - لا- يمكن إنكاره فلا غرو في أن يتعرّض الرواه الراوين لأبواب وفصول من طبقات هذا العلم إلى أشدّ المواجهه والتكذيب والتفسيق بل إلى القتل كما أشار إليه هذه المرويات نظير ما ورد في معلّى بن خنيس

أنه أذاع السرّ فابتلى بالحدديد(١).

ص: ١٣٣

ومما يشهد على أنّ بعض التضعيفات والجروح الواردة في حق بعض الرواه كان بسبب عدم وعى وتحمل ما يرويه ذلك الراوى من أسرار المعارف، طوائف من الروايات بألسنه مختلفه:

الطائفة الأولى :

ما دلّ على أنّ بعض الأصحاب كانوا ينكرون بعض الأسرار من المعارف ولا يقفون عن رمى راويها والوقيعه فيه.

فمنها: ما رواه العبيدى عن أخيه جعفر قال: كُنّا عند أبى الحسن الرضا عليه السلام وعنده يونس بن عبد الرحمن إذ استأذن عليه قوم من أهل البصره فأوماً أبو الحسن عليه السلام إلى يونس:

ادخل البيت فإذا بيت مسبّل عليه ستر

وإياك أن تتحرك حتى تؤذن لك، فدخل البصريون وأكثروا من الوقيعه والقول فى يونس وأبو الحسن عليه السلام مطرق حتّى لما أكثروا وقاموا فودّعوا وخرجوا فأذن ليونس بالخروج فخرج باكياً فقال: جعلنى الله فداك إني أحامى عن هذه مقاله وهذه حالى عند أصحابى. فقال له أبو الحسن عليه السلام :

يا يونس وما عليك ممّا يقولون إذا كان إمامك عنك راضياً. يا يونس حدّث الناس بما يعرفون واتركهم ممّا لا يعرفون كأنك تريد أن تكذب على الله فى عرشه. يا يونس وما عليك أن لو كان فى يدك اليمنى درّه ثم قال الناس بعره أو بعره فقال الناس درّه هل ينفعك ذلك شيئاً؟ فقلت: لا. فقال: هكذا أنت يا يونس إن كنت على الصلوات وكان إمامك عنك راضياً، لم يضرك ما قال الناس (١).

ويظهر من هذا الحديث أنّ مقال يونس كان حقّاً صحيحاً وقد رضى عنه الإمام عليه السلام وكان يونس يحمى ويدود عنها بكلّ قوه، بينما كان ذلك المقال والمعتقد عند بعض أصحاب يونس ممّا يوجب القدح والوقيعه فى يونس.

ومنها: ما رواه الكشى عن حمدويه عن اليقطينى عن يونس قال: قال العبد

ص: ١٣٤

الصالح عليه السلام :

يا يونس ارفق بهم فإنّ كلامك يدقّ عليهم، قال: قلت: إنهم يقولون لى:

زنديق. قال لى:

ما يضرك أن تكون فى يدىك لؤلؤه فيقول لك الناس: هى حصاه، وما كان ينفحك إذا كان فى يدك حصاه فيقول الناس هى لؤلؤه (١).

ومنها: ما رواه الحلى فى مختصر البصائر عن معاوية بن عمار الدهنى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال لى:

يا معاوية أتريدون أن تكذبوا الله عزوجل فوق عرشه لا- تحدّثوا الناس إلابما يحتملون فإنّ الله تبارك وتعالى لم يزل يعبد سرّاً (٢).

ومنها: ما رواه الشيخ فى الأمالى عن المفيد عن أبى على محمد بن همام الأسكافى عن الحميرى عن ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن ابن حديد عن ابن عميره عن مدرك بن الهزهاز قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام :

يا مدرك إنّ أمرنا ليس بقبوله فقط ولكن بصيانتة وكتمانه عن غير أهله، اقرأ أصحابنا السلام ورحمه الله وبركاته وقل لهم: رحم الله امرأ اجتزّ مودّه الناس إلينا فحدّثهم بما يعرفون وترك ما ينكرون (٣).

ومنها: ما رواه العياشى فى تفسيره عن مسعده بن صدقه عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سئل عن الأمور العظام التى تكون ممّا لم تكن فقال:

لم يأن أوان كشفها بعد و ذلك قوله: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ».

ونظيره ما رواه العياشى أيضاً عن حمران عن أبى جعفر عليه السلام (٤).

ومنها: ما رواه الكشى بسنده عن داود بن كثير قال: قال لى أبو عبد الله عليه السلام :

إذا حدّثت عنّا بالحديث فاشتهرت به فأنكره (٥).

ص: ١٣٥

١- (١) . بحار الأنوار ٢ / ح ٦ .

٢- (٢) . مختصر البصائر / ٢٨٢ / ٢٨٤ .

٣- (٣) . بحار الأنوار ٢ / ٦٨ / ح ١٥ .

٤- (٤) . بحار الأنوار ٢ / ٧٠ / ح ٢٥ و ٢٦ .

ومنها: ما رواه الكشي بسنده عن جابر قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ...

ودفع إليّ كتاباً وقال لي:

إن أنت حدّثت به حتى تهلك بنو أميّه فعليك لعنتي ولعنه آبائي وإذا أنت كتمت منه شيئاً بعد هلاك بنو أميّه فعليك لعنتي ولعنه آبائي، ثم دفع إليّ كتاباً آخر ثم قال: وهاك هذا فإن حدثت بشيء منه أبداً فعليك لعنتي ولعنه آبائي (١).

والحديث دالّ على أنّه ليس لجابر أن يحدث ما أودع في الكتاب الثاني أحداً أبداً حتى لكبار الرواه وأجلّاء الطائفه كزاره ومحمد بن مسلم وغيرهما.

ومن هنا لما اشتكى إلى الإمام من ثقل ذلك في صدره أمره الإمام بأن يحفر حفيره ويدل رأسه فيها ثم يقول للأرض تلك الأسرار (٢) ولا يقولها لهؤلاء الأجلّاء من رواه الطائفه.

ومنها: ما رواه النعماني في الغيبه بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لحذيفه بن اليمان:

يا حذيفه لا تحدّث الناس بما لا يعلمون فيطغوا ويكفروا. إنّ من العلم صعباً شديداً محمله لو حملته الجبال عجزت عن حمله إنّ علمنا أهل البيت يستنكر ويبطل وتقتل رواته ويساء إلى من يتلوه بغياً وحسداً لما فضّل الله به عتره الوصي وصيّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٣).

قال الفيض في الأصول الأصيله:

وعن الصادق عليه السلام:

خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم مما ينكرون ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا أنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.

فقال في توضيح الحديث: وذلك لأنّ أسرار العلوم على ما عليها لا يطابق ما يفهمه الجمهور من ظواهر الشرع فلا بدّ أن يكون الإنسان أحد رجلين إمّا محققاً صاحب كشف ويقين أو مقلداً صاحب تصديق وتسليم وأما الثالث فهالك وهو

ص: ١٣٦

١- (١). رجال الكشي / رقم ٣٣٩.

٢- (٢). رجال الكشي / رقم ٣٦٣.

٣- (٣). بحار الأنوار ٢ / ٧٨ / ح ٦٥.

الذى يمزج الحق بالباطل ويحمل الكتاب والسنة على رأيه ويخلطهما بعقله الناقص كما ورد فى الأخبار الكثيره (١).

والحاصل من هذه الطائفة من الروايات أنّ جملة من معارف أهل البيت عليهم السلام فوق طاقه وتحمل البعض، ولأجل ذلك أمروا عليهم السلام بكتمانها عن غير أهلها، وبإنكارها إذا اشتهر بها وذلك لأنّ هذه الأحاديث والمعارف صعب لا يتحمله غير المتمحّض فيها فيحملهم ذلك على التكذيب والوقيعه فى الحديث وراويّه.

ومنه يظهر أنّ كثيراً من الجرح والوقيعه والتضعيف للرواه كان ناشئاً من هذا المنشأ كما قال تعالى:

«بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله»، فلا يستغرب الباحث من كثرة طعن الرجاليين كابن الغضائرى والنجاشى والكشى وغيرهم فى رواه المعارف الراوين لمسائل وفصول عديده لم يحصل لأولئك الرجاليين الخوض فيها أو القدره على البحث فيها، فلا محاله يكون موقفهم منها موقف مستنكر طاعن متحامل عليها بشده.

هذا فضلاً عن التأثير بطعون العامه فى أولئك الرواه وإرسالهم لتلك الطعون إرسال المسلمات إلى درجه يهاب الباحث الرجالى من الخدشه فيها أو التروى فى صحتها.

الطائفة الثانية:

ما ورد فى أنّ أبا ذرّ ومقداد لا يتحملان علم سلمان وكذا العكس.

منها: ما رواه الكشى عن طاهر بن عيسى الوراق رفعه إلى محمد بن سفيان عن محمد بن سليمان الديلمى عن على بن أبى حمزه عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا سلمان لو عرض علمك على مقدار لكفر، يا

ص: ١٣٧

مقداد لو عرض علمك على سلمان لكفر(١).

ونقله المفيد بسند آخر: ابن قولويه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسين عن محمد بن أسلم الجبلي عن علي بن أبي حمزة مع تفاوت في آخره

يا مقداد لو عرض صبرك على سلمان لكفر(٢).

ومنها: ما رواه الكشي: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

يا أبا ذر إنَّ سلمان لو حدّثك بما يعلم لقلت رحم الله قاتل سلمان، يا أبا ذر إنَّ سلمان باب الله في الأرض من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً وإنَّ سلمان من أهل البيت عليه السلام(٣).

ومنها: ما رواه أيضاً عن مسعده بن صدقه عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: ذكرت التقيه يوماً عند علي عليه السلام فقال:

إن علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فما ظنك بسائر الخلق(٤).

وروى الصّفّار قال: حدثنا عمران بن موسى ومحمد بن علي وغيره عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه مثله(٥).

ومنها: ما رواه الكشي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

خطب سلمان فقال: ... إلى أن قال:

ولو أخبرتكم بكل ما أعلم لقاتل طائفه مجنون، و قالت طائفه أخرى: اللهم اغفر لقاتل سلمان(٦).

وروى في الاحتجاج عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه قال:

خطب الناس سلمان الفارسي رحمه الله بعد أن دفن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثه أيام فقال: ألا أيها الناس اسمعوا عني

ص: ١٣٨

١- (١) . الكشي ٧٢ / ح ٢٣ .

٢- (٢) . الاختصاص: ١١ .

٣- (٣) . الكشي: ٧٧ / ح ٣٣ .

٤- (٤) . الكشي: ٧٩ / ح ٤٠ .

٥- (٥) . بصائر الدرجات: ١ / ٧١ ح ٢٠ باب في أئمة آل محمد صلى الله عليه وآله ، وأنّ حديثهم صعب مستصعب .

٦- (٦) . الكشي: ٨٣ / ح ٤٧ .

حديثي ثم اعقلوه عني ألاً- وإنى أوتيت علماً كثيراً فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضائل أمير المؤمنين لقال طائفه منكم هو مجنون وقال طائفه أخرى اللهم اغفر لقاتل سلمان.

قال العلامة المجلسي رحمه الله : قوله عليه السلام : في قلب سلمان - في ما رواه مسعده بن صدقه - أي من مراتب معرفه الله ومعرفه النبي والأئمه صلوات الله عليهم فلو كان أظهر سلمان له شيئاً من ذلك لكان لا يحتمله ويحمله على الكذب وينسبه إلى الارتداد أو العلوم الغريبه والآثار العجيبه التي لو أظهرها له لحملها على السحر فقتله، أو كان يفشيه ويظهره الناس فيصير سبباً لقتل سلمان على الوجهين. وقيل الضمير المرفوع راجع إلى العلم والمنصوب إلى أبي ذر أي لقتل وأهلك ذلك العلم أبا ذر أي كان لا يحتمله عقله فيكفر بذلك أو لما يطيق ستره وصيانتته فيظهره للناس فيقتلوه(١).

وقال الخاقاني: من مارس الأخبار وتصفح الآثار لا يشك في أنه قد كان لكل واحد من الأئمه عليهم السلام خواص من شيعته يطلعونهم على عجائب أمورهم وغرائب أخبارهم ولم يطلعوا سواهم عليها لعدم اتساع صدورهم لتحمل مثل تلك الأمور النادره، فإذا حدث أولئك الخواص بتلك الأحاديث التي لم يشاركونا في روايتها بادر طوائف من الشيعة إلى تكذيبهم والرد عليهم ونسبتهم إلى الغلو وارتفاع القول كما وقع في شأن سلمان وأبي ذر من قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله(٢).

والجامع في هذه الأحاديث عن سلمان أن ما يعلمه سلمان لو اطلع أبو ذر على مقالته لحسبها أنها من الكفر أي أن تلك مقاله والأمور التي يعتقدونها سلمان هي كفر بحسب الأفق العلمي والقناعات المعرفيه عند أبي ذر، وعلى هذا التقدير فلو صدر القول بالتكفير عن أبي ذر في حق سلمان لما كان له حقيقه لعدم إخلال

ص: ١٣٩

١- (١). بحار الأنوار ٢٢ / ٣٤٣ .

٢- (٢). رجال الخاقاني: ١٦٠ .

سلمان بحقيقه التوحيد وبقية اصول المعارف، وإنما يحسب أبو ذرّ أنّ تلك المقالات التي يتبناها سلمان هي تطرف وإفراط في القول وإسناد الشؤون الإلهية لغير الله.

فإذا كان هذا موقف أبي ذر وهو مّمن بلغ الدرجة التاسعة من الإيمان تجاه معارف سلمان الذي بلغ الدرجة العاشرة فكيف بسائر الخلق مّمن هو في الدرجات الدانية من الإيمان كما بين ذلك في موثقه مسعده بن صدقه، بل كيف يتوقع نظره غير المؤمن من سائر المسلمين تجاه تلك المعارف.

ومن ثمّ نخرج بنتيجة أنّ إسناد الكفر تجاه رواء المعارف والأسرار لآبَد من التثبيت فيها والتروى والوقوف على حقيقه مقال من أسند إليه الغلوّ أو التكفير.

ومن ثمّ مارس سلمان التقيه في تلك المعارف مع أبي ذرّ ولو أقدم على إذاعتها وإفشائها لرمى سلمان بالكفر كما رمى غيره.

وبعبارة أخرى: أنّ هناك معنى للغلو غير ما اشتهر من معناه - كما سيأتى في مبحث معانى الغلو - وهو التعويل على مقاله حقّ، فيها من المعرفة العظيمة بحيث يتعاضم العارف بها إلى ما يؤدّى إلى التفريط بالأعمال والحدود والأحكام الظاهره وبلغ من عظم المعرفة في تلك مقاله استنكارها من الخواصّ فضلاً عن عموم العامة وذلك لعدم وعيهم حقايقها وتأويلها، وهذا يؤكّد أنّ جملة من المقالات الحقّه لها مثل هذه التداعيات وردّ الفعل المنطبع على الآخرين بهذا النحو.

وبعبارة ثالثة: إنّ جملة من المعارف الحقّه لصعوبه فهمها ودركها على نخبة العقول فضلاً عن عموم الأذهان يستعصى فهمها بنحو موزون سديد لا يقع تأويلها وتفسيرها على معنى منحرف خاطيء، يحظر إفشائها ونشرها على السطح العامّ لأنّها تُحدث معنى خاطئاً انحرافياً لدى الكثير، فيكون الغلوّ في هذا النمط هو الإفراط في الإذاعه والنشر أو تسبب وقوع والتغريب بجرّ جماعه من السدّج إلى الالتزام بمقالات يفرض فيها القول. ومما يؤكّد وجود هذا المعنى من الغلوّ عده

الطائفة الثالثة :

ما ورد في أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام من مقامات لم يظهرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعدم تحمّل الناس.

قال علي عليه السلام :

قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح خيبر: لو لا أن يقول طوائف من أمّتي فيك ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك مقاله لا تمرّ بملاً من الناس إلّا أخذوا من تراب رجلك ومن فضل طهورك يستشفون به(١).

و هذا الحديث ممّا رواه الفريقان، ويظهر هذا الحديث أنّ هناك جملة من النعوت والصفات والمقامات لعلّى عليه السلام لم يظهرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أنّها معرفه حقّه لا تتنافى مع عبوديه على عليه السلام لله ومخلوقيته، إلّا أنّ طوائف من هذه الأمة حيث لا تعقل تلك الصفات ولا تعيها على حقائقها تدفع بها تلك الأحاديث النبويه - لو افشيت - إلى تخيل وتوهم الألوهيه في على عليه السلام كما قالت النصارى بالألوهيه في عيسى بن مريم عليه السلام . ولا يخفى أن مناسبة صدور هذا الحديث من النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو يوم فتح خيبر الذي قلع فيه أمير المؤمنين عليه السلام باب خيبر بمفرده ورمى به من أعلى الحصن إلى أسفل الوادي والذي ورد في بعض الروايات

و الله ما قلعت باب خيبر ورميت بها خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوه جسديّه ولا حرّكه غذائيّه لكنّي أئدت بقوه ملكوتيّه ونفس بنور ربها مضيئه(٢).

وكان فتح أمير المؤمنين عليه السلام لخيبر عندما عجز المسلمون حيث انتدب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر في أحد الحملات ثم عمر ثم عمرو بن العاص وكلّ منهم

ص: ١٤١

١- (١) . إحقاق الحق ٢٢ / ٢٥٦ عن توضيح الدلائل للشافعي الشيرازي، وإحقاق الحق ٢٢ / ٣٥٨ عن الوسيله للخضر الموصلي، وإحقاق الحق ١٥ / ٢١٩ عن مناقب ابن المغازلي الشافعي.

٢- (٢) . الأمالى للشيخ الصدوق / ٦٠٤. روضه الواعظين / ١٢٧، ونظيره نهج البلاغه / كلمات قصار ٦٢٦.

رجع يجبن الناس ويجبنونه.

فهو عليه السلام رغم كمائن الوادى التى لا يمكن اجتيازها، ثم أطواق بيوت اليهود حول الجبل والحصن التى هى بمثابة الدرع الثانى للقلعه، ثم الصعود إلى باب القلعه فوق الجبل مع تسلط اليهود من فوق القلعه والجبل على من يرومهم من الأسفل، فكل هذا الفتح كان إعجازاً فوق قدره البشر حيث ورد الوسام النبوى:

لأعطين الرايه غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كزار غير فزار ثم لا يرجع حتى يفتح الله على يديه(١).

فمناسبه صدور الحديث أن فى مقاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التى لم يظهرها صفات غيبية وملكوته لعل عليه السلام لا تحتملها الأذهان وتندفع فى تفسيرها وتأويلها إلى التأليه توهماً منهم أن تلك الصفات هى الصفات الألوهيه، مع أنها صفات المخلوق فالعقده والانحراف والبطلان ليس فى أصل تلك الصفات ومنشأ تلك المقولات بل هى فى تأويلها الخاطيء وتفسيرها المنحرف.

وقد مرّ أنّ عمّاراً لما مر مع أمير المؤمنين بواد النمل كان يستعظم أن يعلم عددها مخلوق فتبته عليه السلام أنه يعلمه وهو الإمام المبين الذى أحصاه الله فيه كل شىء(٢).

ومن ذلك ما نسب إلى الإمام زين العابدين من قوله:

إني لأكتم من علمى جواهرهكى لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

وقد تقدّم فى هذا أبو حسنا إلى الحسين وأوصى قبله الحسن

فربّ جوهر علم لو أبوح بهلقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال المسلمين دميرون أقبح ما يأتونه حسنا(٣).

ص: ١٤٢

١- (١). الاحتجاج ١ / ٤٠٦ .

٢- (٢). راجع بحار الأنوار ٤٠ / ١٧٦ .

٣- (٣). الغدير ٧ / ٥٢ نقلاً من تفسير آلوسى ٦ / ١٥٠ .

و البيت الأول دال بوضوح أنّ من نفائس المسائل العلميّه ما لو أظهر لعامّه الأذهان والعقول لسبب افتتانها أى ينطبع معنى خاطئها بدل ذلك المعنى الصحيح ولما قدرت تلك العقول على تصوّره بما هو عليه. ويشير البيت الثالث أن جواهر تلك العلوم هي مرتبطه بمقامات النبي وأهل البيت عليهم السلام وأنّه لو أظهرت للعقول القاصره لظنّت أنّ ذلك تأليه لهم ويشير البيت الرابع أنّ كثيراً من طعون التكفير لأصحاب المقالات المرميين بالغلو فيهم هي بسبب عدم تحمّل نسبه هذه الصفات لهم عليهم السلام مع أنّها ليست إلّا من باب عباد مكرمون بكرامات الله وتمكينه لهم.

الطائفة الرابعة:

ما ورد في أنّ حديثهم صعب مستصعب.

كما روى الصدوق في حديث الأربعمائه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام :

خاطبوا الناس بما يعرفون ودعوهم ممّا ينكرون ولا تحملوهم على أنفسكم وعلينا إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد قد امتحن الله قلبه للإيمان(١).

وروى الصّفّار عن ابن أبي الخطاب عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن المنخل عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

إنّ حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلوات الله عليهم فلانتم له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه وما اشمزت قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد عليهم السلام وإنما الهالك أن يحدث بشيء منه لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا شيء والإنكار هو الكفر(٢).

وروى أيضاً عن ابن عيسى عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن أبي

ص: ١٤٣

١- (١) . بحار الأنوار ٢ / ١٨٣ .

٢- (٢) . بحار الأنوار ٢ / ١٨٩ .

جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول:

إنَّ حديث آل محمد صعب مستصعب ثقيل مقنَّع أجرد ذكوان لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله للإيمان أو مدينه حصينه فإذا قام قائمنا نطق وصدقه القرآن (١).

وروى عن سلمه عن محمد بن المثنى عن إبراهيم بن هشام عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

حديثنا صعب مستصعب، قال: قلت:

فسر لي جعلت فداك، قال:

ذكوان ذكي أبدأ. قلت: أجرد؟ قال:

طري أبدأ، قلت: مقنَّع قال:

مستور.

قال العلامة المجلسي: الذكاء التوقد والالتهاب أن ينور الخلق دائماً والأجرد الذي لا شعر على بدنه و مثل هذا يكون طرياً حسناً فاستعير للطراوه والحسن (٢).

وروى عن محمد بن عبد الجبار عن الحسن بن الحسين اللؤلؤي عن محمد بن الهيثم عن أبيه عن أبي حمزه الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

إنَّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ثلاثة: ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، ثم قال:

يا أبا حمزه ألسنت تعلم أن في الملائكة مقربين وغير مقربين وفي النبيين مرسلين وغير مرسلين وفي المؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين قلت: بلى، قال:

ألا ترى إلى صفوه أمرنا أن الله اختار له من الملائكة مقربين ومن النبيين مرسلين ومن المؤمنين ممتحنين (٣).

وغير ذلك من الأخبار الكثيرة.

وفي هذه الأخبار إشاره واضحه إلى أن جملة من معارف أهل البيت عليهم السلام لا يحتملها عموم المسلمين من المذاهب الأخرى ومن ثم يندفعون إلى إنكارها أشد الإنكار بل يسبب ذلك تحاملهم على أهل البيت عليهم السلام وعلى أتباعهم بالنكير أي

-
- ١- (١) . بحار الأنوار ٢ / ١٩١ .
 - ٢- (٢) . بحار الأنوار ٢ / ١٩١ .
 - ٣- (٣) . بحار الأنوار ٢ / ١٩٦ .

التكفير والتضليل، فأمر أهل البيت عليهم السلام وشأنهم عليهم السلام ووجودهم وأرواحهم الأمر به صعب، فإنه قد وصف في بعض الروايات الصعب هو الذى لا يركب والمستصعب هو الذى يفرّ من أوّل مشاهدته له (١).

وقال العلامة المجلسي: الصعب هو الجمل الذى يأبى عن الركوب والحمل وظاهر أنّ المراد به هنا الامتناع عن الإدراك والفهم. بل قد ورد فى بعض الأخبار أنّ حديثهم وأمرهم لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد مؤمن قال الراوى: فمن يحتمله فقال الإمام عليه السلام:

نحن نحتمله (٢).

فهناك جملة من المعارف الغامضة التى اختص بها أهل البيت عليهم السلام ولا يعيه ولا يحتمله غيرهم مهما بلغ.

فمن ذلك ما رواه الحلبي فى مختصر البصائر بسنده عن ابن أبي عمير عن الباقر عليه السلام، قال:

لقد سألت موسى عليه السلام العالم مسأله لم يكن عنده جواب ولو كنت شاهدهما لأخبرت كل واحد منهما بجوابه ولسألتهما مسأله لم يكن عندهما فيها جواب (٣).

ويبين هذا الحديث والذى يطابق قاعده أنّ القرآن مهيمن على كتب الأنبياء السابقين وأنّ علم القرآن كله قد ورثه أهل البيت عليهم السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ النبي موسى عليه السلام ثقل عليه الصبر على علم الخضر فكيف يكون حال النبي موسى مع علم أهل البيت الذى هو فوق علم الخضر، بل إنّ الخضر حاله مع علم أهل البيت كما هو حال موسى معه فإذا كان الخضر والنبي موسى يصعب عليهم تحمل علم أهل البيت عليهم السلام فكيف الحال بمن دونهما؟

وجمله أخرى من معارفهم إنّما يحتمله من الملائكة المقربين منهم، ومن الأنبياء المرسلين منهم، ومن المؤمنين الممتحنين منهم، فهذه الطائفة من

ص: ١٤٥

١- (١). بحار الأنوار ٢ / ١٩٤.

٢- (٢). بحار الأنوار ٢ / ١٩٣ / ح ٣٦ و ٣٩.

٣- (٣). مختصر البصائر / ٣٠٢ / ح ٣١٧.

المعارف لو وصلت إلى الملائكة غير المقرين أو الأنبياء غير المرسلين أو المؤمنين غير الممتحنين لاشمأزوا منه وينكروه ولا يقرؤا به، وإذا كان هذا حال بعض الملائكة والأنبياء فما ظنك بغيرهم من الذين لم يخوضوا في المعارف بنحو العمق العالى كأمثال النجاشى وابن الغضائرى.

ص: ١٤٦

٥ - معاني الكذب و أنواع الغلو (١٨٢-١٤٧)

اشاره

ص: ١٤٧

إنّ الكثير يتوهم أنّ للكذب معنى واحداً وهو الكذب فى الإخبار، فإذا اتّصف راو معين بالكذب فمعناه أنه يجعل الخبر من عند نفسه وينسبه للإمام عليه السلام لا سيما إذا قيل إنه كذاب. وهذا غفله عن حقيقة الحال فإنّ للكذب معان وأقسام عديده، وقد استعملت الكلمه فى الروايات وأطلقت على الغلاه. وفى كثير من تلك المعانى ليس الكذب بمعنى الإخبار بخلاف الواقع من حيث مضمون الخبر، وإن كان مخالفاً للواقع أو للموازن المقرره من جهات أخرى، كما هو الحال فى نقيض الكذب وهو الصدق.

فإنّ للكذب فى اللغة معانى كثيره:

١ - ففى لسان العرب أنه استعمل فى مخالفه الوعد أو العهد.

٢ - وفيه أيضاً أنه استعمل أيضاً فى الرد ففيل فى قوله تعالى: «لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كاذِبَةٌ» أى ليس يردها شىء كما عن الزجاج، أو ليس لها مردود ولا ردّ كما عن الفراء.

٣ - وأيضاً استعمل فى الوهم كما قيل فى قوله تعالى: «ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رَأَى» أى ما أوهمه الفؤاد أنّه رأى ولم يرى بل صدقه الفؤاد رؤيته.

٤ - واستعمل أيضاً فى التمنى بغير الحق كما يقال: كذبتة نفسه أى منته بغير الحق، وفى مجمع البحرين: والكواذب النفوس الأثماره الخادعه للإنسان بالآمال

الكاذبه، أى الأمر بغير الحق والخداع به ومنه قول لبيد:

أكذب النفس إذا حدّثها غير أن لا تكذبّنها فى التقى

أى منّ نفسك العيش الطويل لتأمل الآمال البعيده فتجدّ فى الطلب لأنّك إذا صدّققتها فقلت لعلك تموتين اليوم أو غداً قصر أملها وضعف طلبها.

٥ - وفى المجمع أيضاً، والكذب هو الانصراف عن الحق وكذلك الإفك.

٦ - وفيه أيضاً: وكذب قد يكون بمعنى وجب ومنه الحديث «ثلاثه أسفار كذبت عليك» ومنه «كذب عليكم الحج».

أقول: هذا إذا لم يكن اشتباه من النساخ فى روايه الحديث وإن اللفظ بصوره «كتبت عليكم» أو «كتب عليكم».

٧ - وفى اللسان أيضاً: كذب عنه أى أحجم وحمل عليه، فما كذب أى ما انثنى فىكون بمعنى الإحجام والانتشاء، وقريب منه ما قيل إنه بمعنى الفتور كما فى تاج العروس.

٨ - واستعمل أيضاً بمعنى الخطأ من دون تعمد الخلاف.

٩ - ويستعمل أيضاً بمعنى الإغراء تقول للرجل إذا أمرته بشيء وأغريته:

كذب عليك كذا أى عليك به، فهو بمعنى حرّض وحرّش وأمكن منه.

١٠ - ومنه أيضاً كذب بالأمر أى أنكره.

ومن ثم يتبين أن إسناد الكذب فى الاستعمال الروائى لبعض الرواه ليس من الضرورى أن يكون بمعنى الإخبار بخلاف الواقع فإذا ورد كذب على فلان وأذاع سرى يحتمل فيها جمله هذه المعانى العشره الأخرى.

ولا نريد من تعدّد هذه المعانى تعدّدها بلحاظ أصل المعنى، بأن يكون للكذب عشره معان بنحو المشترك اللفظى، بل المراد أنّ المعانى المستعمل فيها الكذب ولو بلحاظ المناسبات الموجوده بينه وبين المعانى الأخرى هو بتعداد عشره معانى آخر كثيره الاستعمال، فالاستعمال المتقدّم يحتمل فيه أن يكون

بمعنى: كذب عليّ أى خالف عهدي، أو بمعنى ردّ عليّ ما قد أمرته به، أو بمعنى وهم فى بعض ما قال، أو بمعنى تمنّى عليّ الأمانى الباطله أى أراد منه ما ليس بحق.

ص: ١٥١

ظهر ممّا ذكرنا فى موارد استعمال الكذب فى اللغه أنّه ليس كلّ كذب بمعنى الإخبار بخلاف الواقع، بل قد يكون الخبر مطابقاً للواقع ومع ذلك يكون المخبر كاذباً فى إخباره. ولا يستغرب ذلك.

فقد ورد هذا الاستعمال فى القرآن المجيد حيث وصف من أخبر بما لا ينبغى الإخبار به - لعدم توفّر شرائط الإخبار وظروفه المناسبه - كاذباً، وذلك لما يسبّب هذا الإخبار الوقوع فى المهالك الموهله. فقد اشتهر أنّه لا يسوغ الإخبار بكلّ صدق أى أنّ بعض الإخبارات الصادقه من حيث مطابقتها للواقع ليس المصلحه فى إبرازها بل فيه مفسده فهو كذب من جهه أخرى.

فمن ذلك قوله تعالى فى الإفك: «لَوْ لَا جَاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ» ١.

فإنّه علل فى الآيه كونهم من الكاذبين عند الله عدم إتيانهم بالشهداء لا كون كلامهم خلاف الواقع. فإنّ من يشهد بأمر رآه بأمّ عينه كيف يكون كاذباً لأجل عدم إتيانه بالشهداء غيره، فالمعنى أنّه ما لم يتوفّر لديه أربعة شهداء فالإخبار بما رآه مخالف لموازين الستر والعفاف؛ فهو كاذب أى أنّه أخبر بما لا ينبغى الإخبار به

وإن كان الإخبار مطابقاً للواقع.

ومن لطائف الآيه أنه تعالى يعتبرهم كاذبين عند الله وليس عند الناس، أى بالمقاييسه والموازنه مع أحق الحقائق والواقعيات. و هذا دليل وبرهان على أن الكذب بهذا المعنى ليس معنى مجازياً غير الحقيقى، بل إن كذبهم هذا لأجل أداء الشهاده فى حين عدم توفر بقيه الشهود كذب فى مقياس الله الذى هو أحق الحقائق وليس فوقه حقيقه.

ونظير ذلك ما ورد فى آيه قذف المحصنات حيث قال تعالى: «وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُوْحَصِّنَاتِ تُمْ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعِهِ شُهَدَاءَ ... أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.» ١

فإنه تعالى علل كونه من الفاسقين لعدم إتيانهم بأربعة شهداء لا إخبارهم بما يخالف الواقع فلو كان الرامى رأى بعينه وسمع بأذنيه فلو أخبر بذلك من دون زياده ونقصان فهو فاسق ويجب جلده ولا تقبل شهادته أبداً، لأنه ليس له أن يخبر بذلك ما لم يتوفر لديه أربعة شهداء.

ونستخلص من الآيتين أن المخبر إذا لم يكن مرخصاً فى الإخبار فأخباره يكون كذباً وهو كاذب عند الله، حتى لو كان ما أخبر به عين متن الواقع.

وعلى ضوء ذلك يمكن أن يقال إن من أخبر بحديث سمعه من الإمام عليه السلام يكون كاذباً فيما إذا كان هذا الإخبار مخالفاً للموازن المقرّره عندهم عليهم السلام، ولذلك ورد فى من أذاع أسرار أهل البيت عليهم السلام أنه كذب عليهم لأجل أن فى هذا الإخبار مفسده من حيث عدم تحمّل السامعين ممّا يسبّب الوقوع فى المخاطر الاعتقاديّه لدى السامع، أو يسبّب تحريض الطغاه على إمحاء معالم أهل البيت عليهم السلام فىكون المذيع بذلك هو المسبّب لهذه المخاطر فهو كمن قاتلهم عمداً لا سهواً.

ونظير ذلك قوله تعالى: «آلله أذن لكم أم على الله تفترون» ١.

فإنه قد وقع التقابل بين الإذن والافتراء، وهذه الآية من الملاحم التي وقع المفسرون في حيص وبيص فإن الذي يقابل الافتراء هو الصدق، والذي يقابل الإذن هو التصرف في ما لا يملك الإنسان فيكون تقحماً في ملك الغير فكيف تتم هذه المقابلة. وعلى أى تقدير يظهر من الآية أن الإخبار عن الله أو عن دين الله يشترط فيه الإذن والترخيص لأن هذا الإخبار مهما تنزلت درجته فإنه يأخذ طابعاً ولائياً يحتاج إلى صلاحيه معطاه وذلك بسبب كونه إخباراً عن الله أو عن دينه وهو من الشؤون الراجعة إلى تعالى، فإفشاءه وكشفه أو إيصاله إلى الغير يحتاج إلى ترخيص وتولية من قبله تعالى.

ودرجات هذا الإخبار قد تكون في المرتبة العاليه كما في إبلاغ رساله الرسول والنبي وكما في الإبلاغ عن الرسول الأمور التي لم يتصدى صلى الله عليه وآله وسلم لإبلاغ الناس مباشرة وهو إبلاغ الإمام عن الرسول الذي يشير إليه قول الله في الحديث القدسي الذي أتى به جبرئيل في تبليغ سورة البراءة:

ولا يؤدى عنك إلأ أنت أو رجل منك.

وكما في الترخيص للفقهاء بشرط أن يكون نفرهم وتحصيلهم للعلوم من الرسول أو المعصوم ليتفهموا الدين عنهم ومن ثم يسوغ لهم الإنذار والإفتاء.

ومن ثم يعرف الناطق الرسمي باسم الدوله أو باسم الحكومه أو باسم المجلس النيابى أو باسم أى هياه عليا أو سلطه أنه لا يزاول عمليه إخبار محضه، بل يتقلمد نحو ولايه وصلاحيه مقام. ويتبين بذلك أن الإعلام والإظهار لأمر بطبيعتها مكتومه وبطبيعتها فى طى حراسه الخفاء يحتاج إلى صلاحيه وإذن، ومن

دونه يكون هذا المظهر والمذيع كاذباً لأنه يتقلد ويمارس صلاحيات لم يرخص له بها وبالتالي فإنه يتقمص مقام الناطق الرسمي باسم من يخبر عنه و هذا كذب وافتراء، فيؤول إلى ادعاء مقام الخاص من مقامات ذات الصلاحيه.

ومن ثم يكون تقحماً ويستحق اللعن بذلك، وليعلم أن التكذيب بهذا المعنى وفي هذا الباب يعنى تقحم الصلاحيات والمناصب لا سيما أن هذا المنصب ليس هو مقام الروايه أو الفقيه بل هو يعلوهما.

وأما الروايات فقد ورد فيها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام نسبة الكذب إلى بعض الرواه لا سيما المتهمين بالغلو وليس منها الكذب المصطلح بمعنى الإخبار بخلاف الواقع بل لهما معان أخر نذكرها تباعاً:

الأول: إذاعه الأسرار وإفشائها

هناك كذب اصطلاحى عندهم عليهم السلام وهو بمعنى إذاعه السرّ، وعقوبته ذوق حرّ الحديد كما بين في ترجمه المعلّى وغيره من الرواه أنه أذيق حرّ الحديد لإذاعه السرّ وإن لم يوصف بالكذب.

فقد روى الكشى عن أبى على أحمد بن على السلولى المعروف بشقران، قال: حدّثنا الحسين بن عبد الله القمى عن محمد بن أورمه عن يعقوب بن يزيد عن سيف بن عميره عن المفضّل بن عمر الجعفى قال: دخلت على أبى عبد الله عليه السلام يوم صلب فيه المعلّى، فقلت له: يابن رسول الله ألا ترى هذا الخطب الجليل الذى نزل بالشيعه فى هذا اليوم، قال:

وما هو؟ قلت: معلّى بن خنيس، قال:

رحم الله معلّى قد كنت أتوقّع ذلك لأنه أذاع سرّنا وليس الناصب لنا حرباً بأعظم مؤنه علينا من المذيع علينا سرّنا، فمن أذاع سرّنا إلى غير أهله لم يفارق الدنيا حتى يعضّه السلاح أو يموت بخبل.

وروى الكشى: حدّثنى محمد بن قولويه قال: حدّثنى سعد بن عبد الله قال:

حدّثنى أحمد بن محمد بن عيسى عن أبى يحيى زكريّا بن يحيى الواسطى؛

وحدّثنا محمد بن عيسى بن عبيد عن أخيه جعفر بن عيسى وأبي يحيى الواسطي قال أبو الحسن الرضا عليه السلام :

كان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد(١).

وروى أيضاً عن سعد قال: حدّثنا محمد بن الحسن والحسن بن موسى، قال:

حدّثنا صفوان بن يحيى عن ابن مسكان عمّن حدّثه من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:

لعن الله المغيرة بن سعيد أنه كان يكذب على أبي فأذاقه الله حرّ الحديد، لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآلنا ومعادنا وبيده نواصينا(٢).

أقول: ومما يشهد على أنّ الكذب هنا بمعنى إفشاء الأسرار ما ورد في حديث من المقابلة بين المغيرة وجابر، حيث إنّ جابر بن يزيد الجعفي - كما مر ترجمته في الجزء السابق - ممّن خاض في لباب معارف أهل البيت عليهم السلام وبلغ منها ذروته ومع ذلك لم ينزل في مزلقه كشف الأسرار وحافظ على كتمان ما أمر بكتمانه.

وقد اشتكى للإمام من ذلك فأمره عليه السلام بحفر حفرة في الأرض والحديث فيها ليخفف عنه؛ فإنّه يدلّ على كون مورد الشطط في المغيرة وأبي الخطاب هو كشف الأسرار المنهى عنه.

قال الكشي: حمدويه وإبراهيم، قال: حدّثنا محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن زياد بن أبي الحلال، قال: اختلف أصحابنا في أحاديث جابر الجعفي، فقلت لهم: أسأل أبا عبد الله عليه السلام فما دخلت ابتدأني، فقال:

رحم الله جابر الجعفي كان يصدق علينا، لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا(٣).

وروى الكشي عن سعد قال: حدّثني أحمد بن محمد بن عيسى عن أبي

ص: ١٥٦

١- (١). الكشي ٢٩٧ / ح ٣٩٩ .

٢- (٢). الكشي ٢٩٧ / ح ٤٠٠ .

٣- (٣). الكشي ٢٦٥ / ح ٣٣٦ .

يحيى سهل بن زياد الواسطي ومحمد بن عيسى بن عبيد عن أخيه جعفر وأبي يحيى الواسطي قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام:

كان بيان يكذب على بن الحسين عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان محمد بن بشير يكذب على أبي الحسن موسى عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبد الله عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، والذي يكذب على محمد بن فرات.

قال أبو يحيى: وكان محمد بن فرات من الكتاب فقتله إبراهيم بن شكله (١).

وروى الكشي عن حمدويه وإبراهيم ابني نصير، قالوا: حدّثنا الحسين بن موسى عن إبراهيم بن عبد الحميد عن عيسى بن أبي منصور، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول، وذكر أبا الخطاب فقال:

اللهم العن أبا الخطاب فإنه خوّفني قائماً وقاعداً وعلى فراشي اللهم أذقه حرّ الحديد (٢).

وروى عن الصادق عليه السلام في وصيته لمؤمن الطاق:

... يا بن النعمان إنّ العالم لا يقدر أن يخبرك بكل ما يعلم لأنه سرّ الله الذي أسره إلى جبرئيل عليه السلام وأسره جبرئيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأسره محمد إلى علي عليه السلام وأسره علي عليه السلام إلى الحسن عليه السلام وأسره الحسن عليه السلام إلى الحسين عليه السلام وأسره الحسين عليه السلام إلى علي عليه السلام وأسره علي عليه السلام إلى محمد عليه السلام وأسره محمد عليه السلام إلى من أسره، فلا تعجلوا فو الله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرات فأذعتموه فأخره الله والله ما لكم سرّ إلّا وعدوكم أعلم به منكم. يا بن النعمان ابق على نفسك فقد عصيتني لا تدع سرّي فإن المغيرة بن سعيد كذب على أبي وأذاع سرّه فأذاقه الله حرّ الحديد وإنّ أبا الخطاب كذب على وأذاع سرّي فأذاقه الله حرّ الحديد ومن كتم أمرنا زينه الله به في الدنيا والآخرة وأعطاه حظّه ووقاه حرّ الحديد (٣).

ص: ١٥٧

١- (١). الكشي ٣٦٩ / ح ٥٤٤.

٢- (٢). الكشي ٣٥٨ / ح ٥٠٩.

٣- (٣). بحار الأنوار ٧٥ / ٢٩٠.

وفى هذا المقطع من الوصية لمؤمن الطاق صرّح الإمام عليه السلام بأن المراد من الكذب هنا إذاعه الأسرار، وذلك لأنّ محطّ الكلام إنّما هو فى الأسرار التى أسرها الله إلى أهل البيت عليهم السلام والتحذير عن إفشائه وإذاعته وليس الكلام فى تعمّد الكذب عليهم، ثم بعد ذلك نهى عليه السلام مؤمن الطاق عن الإذاعه، ثم رتب على هذا النهى كيان الدليل والحكمه فى النهى عن الإذاعه بأنّ المغيره كذب على أبى جعفر عليه السلام وأذاع سرّه فأذاقه الله حرّ الحديد، والظاهر أنّ العطف هنا للتفسير أى تفسير الكذب بإذاعه السرّ وكذا قوله فى أبى الخطاب أنّه كذب علىّ وأذاع سرّى فأذاقه الله حرّ الحديد. فإنّ ابن النعمان ما كان ليكذب على الإمام عليه السلام وينسب إليه ما لم يسمعه منه وليست الوصيه فى تحذيره عن هذا.

ثمّ إنّّه عليه السلام بعد ذلك رغبه فى الكتمان وأنّه إذا كتم أمرهم وقاه الله حرّ الحديد، وبقرينه المقابله يعلم أنّ إذاقه حرّ الحديد إنّما هو عقوبه الإذاعه والوقايه من ذلك أجر الكتمان فكلام الإمام عليه السلام صدرأً وذيلأً إنّما هو فى النهى عن الإذاعه والتحريض على الكتمان فالكذب الذى ذكره عليه السلام إنّما هو بمعنى إذاعه الأسرار لا الكذب بمعنى الإخبار المخالف للواقع.

والكذب هنا يحتمل عدّه معان ولعلّ كلها مراده والجامع بينها أنّ أصل ما اتّخذ منهم الكلام وما هو المنشأ له ليس بكذب عليهم بل هو قول مسموع، فنسبه الكذب إلى أولئك الذين أذاعوا أسرار أهل البيت عليهم السلام يمكن أن يكون لبعض هذه الوجوه:

١ - أنّ المذيع والكاشف للأسرار والمعارف الغامضه عندما يحكيها عن المعصوم عليه السلام من دون إذن منه فإنّه يرتكب كذباً على المعصوم عليه السلام من جهه أنّ الإخبار يتضمّن الإنشاء وهو التزام المخبر وتعهدّه بصدق الخبر لدى المخاطب، والمعصوم عليه السلام لم يتعهد بحكايه ذلك المفاد إلى الجميع فيكون إخبار الراوى عنه كذباً من هذا الوجه.

فإنَّ التعريف الدارج للإخبار بالقول الحاكي والكاشف عن الواقع - فإذا كان مطابقاً للواقع صار صدقاً وإلّا فيكون كذباً - ليس وافياً بحقيقته الإخبار وبما ينطوى فيه من أمور. فإنَّ الحكايه هي بنفسها إنشاء وليست مجرد إراءه، فإنَّ المتكلّم إذا لم يتعهّد بالحكايه والقيام بالإراءه والكشف فإنّه لا يتحقق منه الإخبار ولا يعتدّ السامع بنفس الألفاظ ومجرد الكلمات، ولا يصدق على مجرد إلقاء صوت الألفاظ والتكلّم بها أنه إخبار، ومن ثمّ كان معنى الإخبار من المعانى والمدلولات التصديقيه ولا التصوريه المحضه.

والتصديق عمل سواء لوحظ من جانب السامع أو من جانب المتكلّم إلّا أنه من جانب السامع هو الإذعان ومن جانب المتكلّم هو الإنشاء والتعهّد. وبذلك يظهر أنّ التحام حقيقه الإنشاء بالإخبار هو فى منتهى العمق كما أنّ الحال فى العكس كذلك فإنّ الإنشاء والجملة الإنشائية فى الحقيقه تتضمّن جملة من الإخبارات والحكايات وليست متمخّضه فى الإنشاء الصرف. وعلى ضوء ذلك يتّضح أنّ الجملة الواحده الخبريه أو الإنشائية تفكّك إلى عدّه مداليل خبريه وإنشائية كثيره وعديده مدمجه ومنطويه ومتعالقه بالمضمون المطابقى ومن ثمّ يصحّ الصدق والكذب ويتعدّد ويتكثّر بلحاظها فقد يكون المتكلّم صادقاً فى بعضها وكاذباً فى بعض آخر.

٢ - أنّ الراوى عندما تلقّى وتحمل الروايه عن المعصوم عليه السلام ، أخذ منه المعصوم عليه السلام التعهد أن لا يفشيّه، فعندما ينكث هذا العهد فقد كذب بما التزم به؛ فهو كاذب الوعد فى مقابل صادق الوعد.

٣ - أنّ المعصيه ومطلق المعاصى كذب فى العمل بخلاف الطاعه والتقوى فإنها الصدق، ومن ذلك قيل للصدّيق صدّيق، والوجه فى هذا الكذب والصدق أنّ كل من يقترّ بالشهادتين والشهاده الثالثه فإنّه أقرّ على نفسه بالطاعه فإذا عصى فقد كذب بما التزم به إجمالاً، فالراوى حينما يذيع السر فقد ارتكب ذنباً فيصحّ وصفه

بالكذب لمخالفته وتكذيبه لما التزم به إجمالاً من إطاعه الله والرسول وأولى الأمر.

٤ - أنّ المعنى الخاطيء الذى ينطبع عند إفهام العامه أو المخالفين من الروايه التى يرويها راوى أسرار المعارف كذب؛ فإنّ الراوى يافشائه وإذاعته للأسرار لمن لا يتحمّلها سبّب فى انطباع المعنى الخاطيء لدى السامع. فهذا المعنى الخاطيء الذى تسبّب الراوى فى انطباعها لدى الإفهام يافشائه لتلك الروايات كاذب.

٥ - أنّ ما يقوله القائل أو يقَرّ به إن كان مطابقاً للحقّ فيكون صدقاً وإن كان مخالفاً للحقّ فيكون كذباً ومن ثمّ وصف أئمه أهل البيت عليهم السلام بأنهم موازين الصدق أى أنّ صدق الصادقين إنّما يوزن ويعيّر بهم عليهم السلام ، فالصدق هو الحقّ والكذب هو الباطل.

فحينما يعصى أولئك الرواه فى إفشاء الحقائق العلميه الغامضه وتؤدّى إذاعتهم إلى الإخلال بصراط الهدايه والرشاد إلى إيجاد الضلال والغوايه فيكون فعلهم ذلك باطلاً وكذباً، فالصدق ما كان على نهج الحقّ والكذب ما كان على نهج الغوايه والباطل.

الثانى: وضع حدود لأشياء سُمعت حقيقه

فإنّ الراوى إذا سمع حديثاً من الإمام عليه السلام ثم يضع لها حدوداً من عند نفسه يكون كاذباً فى جعل هذه الحدود. فهو يخبر بمعان سمعها حقيقه من الإمام إلّا أنه يوضع حدوداً لتلك المعانى والأشياء بالقياس والرأى، وبحدود ما يفهمه عقل السامع، فلا يضعها على حدود ما أمر بها - بسبب عدم تعقله حدّ ما سمع وعدم فهمه له - فيكون وضعه حدوداً لتلك الأمور والأشياء كذباً وافتراء كما جاء فى مكاتبه مفضل بن عمر المعروفه مع الإمام الصادق عليه السلام عند قوله عليه السلام :

إنّ هذا القول كان من قوم سمعوا ما لم يعقلوه عن أهله ... فوضعوا حدود تلك الأشياء مقايسه برأيهم ومنتهى عقولهم ولم يضعوها على حدود ما أمروا كذباً وافتراء على الله

ومن نماذج هذا القسم الخطأ في التأويل قصوراً أو تقصيراً.

الثالث: تطبيق المعنى على غير مصداقه

روى محمد بن الحسن الطوسي بإسناده عن سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن حماد، عن عاصم قال: حدثني مولى لسلمان عن عبيده السلماني قال: سمعت علياً عليه السلام يقول:

يا أيها الناس اتقوا الله ولا تفتوا الناس بما لا تعلمون فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال قولاً آله منه إلى غيره وقد قال قولاً من وضعه غير موضعه كذب عليه فقام عبيده وعلقمه والأسود وأناس معهم فقالوا: يا أمير المؤمنين فما نصنع بما قد خبرنا به في المصحف؟ فقال:

يسأل عن ذلك علماء آل محمد عليهم السلام (٢).

وهذا معنى آخر من التكذيب من تطبيق المعنى على غير مصداقه وهو نحو من التأويل الخاطيء والباطل وفي هذا المعنى لا يكون أصل المعنى العام باطلاً أو مكذوباً بل التطبيق والاستنتاج باطل.

الرابع: إسناد الاستنتاج والاحتجاج التفصيليه إليهم عليهم السلام مع كونها منطلقه من قواعدهم الكليه الإجماليه

فقد روى الكشي عن محمد بن مسعود عن علي بن محمد القمي، عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن فضيل بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - إنه ذكر مؤمن الطاق فقال:

بلغني أنه جدل وأنه يتكلم، قلت: أجل، قال:

أما لو شاء طريف من مخاصميه أن يخصمه فعل؟ قلت: كيف؟ قال: يقول:

أخبرني عن كلامك هذا من كلام إمامك؟ فإن قال: نعم، كذب علينا، وإن قال: لا، قال له: كيف تتكلم

ص: ١٤١

١- (١). بحار الأنوار ٢٤ / ٢٨٨ عن بصائر الدرجات.

٢- (٢). وسائل الشيعه / أبواب صفات القاضي / ب ٤ / ح ١٩.

بكلام لا يتكلم به إمامك (١).

وظاهر الحديث أنّ كلام مؤمن الطاق هو منطلق من قواعد وأصول منهم عليهم السلام ، غايه الأمر ترمى الاستنتاج إنما هو بفعل مؤمن الطاق فالتكذيب إنما يكون إذا أوحى من طريقه كلامه إسناده إليهم عليهم السلام .

الخامس: الكذب المخبري

أنّ كل إخبار يتضمّن حكايتين فأكثر:

١ - المفاد المطابقى لمضمون القول.

٢ - حكايته عن علمه بثبوت المضمون المطابقى.

ومن ثمّ فقد يكون الخبر صادقاً إلّا أنّ المخبر كاذباً فيقال حينئذٍ تحقّق الصدق الخبرى مع وقوع الكذب المخبرى أو الصدق فى الخبر كفعل ولكنّ الكذب فاعلى، و ذلك لكذب المخبر فى ادّعاء العلم فإنّه قد يكون ظانّاً ليس بجازم أو شاك مرتاب أو محتمل.

السادس: الصدق والكذب بلحاظ أبعاد الكلام وأجزائه أو انحلاله فى الأفراد

فإنّ الكلام قد يكون مشتملاً على الجمل المتعدّده فضلاً عن الفقرات المتكثّره، وحيث يطلق الكلام على مجموع ذلك كما يطلق على أبعاضه فيصحّ حينئذٍ وصفه بالصدق تارة وبالكذب بلحاظ تعدّد الجمل والفقرات، كما أنّ الجملة الواحده ذات المعنى العامّ الكلى يتعدّد ويتكثّر انطباقها على المصاديق والأفراد فيتولّد وينحلّ منها أحكام على كلّ فرد وفى كلّ مورد وبلحاظ هذا التكثّر فيصحّ تعدّد الصدق والكذب.

ص: ١٦٢

١- (١). المصدر نفسه / ب ٧ / ح ٢٨ .

إنه قد عُرِفَ الغلو بتعاريف عديده فتارةً بتأليه الأنبياء والرسل أو الأوصياء، وأخرى بالقول بنبوّه الأوصياء والأئمّه، وثالثه بالقول بوجود صفات ومقامات للمعصومين هى فوق درجتهم وحدّهم الوجودى وهى أشبه بالصفات الإلهيه، ورابعه بالقول فيهم وبنعتهم بما ليس فيهم.

ولكن هناك تعاريف أخرى نجدّها فى جملة من الروايات، والجامع بينها هو الإيمان بحقيقه الباطن مع الإفراط والتطرف فى جانب آخر. وبعبارة أخرى الجامع بينها أنّ ما يثبت الغلاه فى هذه الأقسام من صفات لولى الله ليس هو غلواً وإفراطاً من القول وإن تعاضمت تلك الصفات فى نظر تلك الغلاه أو نظر الطاعنين عليهم بل موضع الغلو والإفراط هو أمر آخر مسبّب عن الانبهار من عظمه تلك الصفات.

فقد روى المفضل أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام : يا مولاي أليس قد روينا عنكم أنكم قلتم الغالى نردّه إلينا والتالى نلحقه بنا.

قال:

يا مفضل ... وأما الغالى فليس قد اتخذنا أرباباً من دون الله وإنما اقتدى بقولنا اجعلونا عبيداً مربوبين مرزوقين فقولوا بفضلنا ما شئتم فلن تدر كوه.

قال المفضل: يا مولاي إنّ الغالى من ذكر أنكم أرباباً عند الشيعة من دون الله.

قال:

ويحك يا مفضل ما قال أحد فينا إلّا عبد الله بن سبأ وأصحابه العشره الذين حرقهم أمير المؤمنين بالكوفه وموضع إحراقهم يعرف بصحراء أخذود وكذا عدّ بهم أمير

المؤمنين بعذاب الدنيا وهو النار عاجلاً- وهي لهم آجلاً، ويحك يا مفضل إنَّ الغالى فى محبتنا نردّه إلينا ويثبت ويستجيب ولا يرجع والمقصره تدعوه إلى الإلحاق بنا والإقرار بما فضلنا الله به فلا يثبت ولا يستجيب ولا يلحق بنا(١).

وهذه الروايه صريحه فى أنّ الأصل فى معانى الغلو الذى ارتكبه الغلامه ليس هو ادعاء الربوبيه كما ادعى ذلك جمهور العامه وتفشى ذلك عند الخاصه حتى عند المفضل رغم أنه من كبار رواه المعارف، وإنما الشطط فى جهات أخرى والتطرّف إنما يكون فى جهات سنذكرها تباعاً.

وتشير الروايه إلى أنّ الغلاه لديهم شطط وانحراف خالفوا فيه تعاليم أهل البيت عليهم السلام وليس شططهم فى أصل المعرفه، كما أنّه يظهر من هذا الحديث أنّ المغيره بن سعيد وأبا الخطاب وبنان وأمثالهم لم يدعوا الربوبيه فى أهل البيت أو الألوهيه وإنما ارتكبوا شططاً آخرًا ممّا سنبينه مما استدعى انطباع معنى التأليه والربوبيه لدى تيار الخطايه والمغيريه فأوجب ضلالهم.

وروى فى الكافى بإسناده إلى سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

يا بنى الكفر على أربع دعائم الفسق والغلو والشك والشبهه ... والغلو على أربع شعب على التعمق بالرأى والتنازع فيه والزيغ والشقاق فمن تعمق لم ينسب إلى الحق ولم يزدد إلّا غرقاً فى الغمرات ولم تحتبس عنه فتنه إلّا غشيتة أخرى وانخرق ذنبه فهو يهوى فى أمر مريج(٢).

ويشير الحديث إلى أنّ شطط الغلو هو فى الانغمار فى معمه التفاصيل والحيره فى تكثيرها وكثرتها ممّا يضيع على النظر التركيز على أمّهات الحقائق والمسائل التى هى المحكمات فيتشبه بالمتشابهات الحادته له من الغور فى التفاصيل، فيعمى عن الأمّهات التى هى المحكمات المهيمنه على الحدود والأبواب فيزيغ عنه جادّه الطريق الأصلى ويكثر عليه الشقاق مع الآخرين.

ص: ١٦٤

١- (١). الهدايه الكبرى / ٤٣١ - ٤٣٢ .

٢- (٢) .

وقد استعمل الغلو في الروايات في معان عديدة، وليس ذلك من قبيل المشترك اللفظي بل هي في الحقيقة أنماط وأنواع التطرف والتجاوز عن الحد الذي ارتكبه الغلاة وهي أمور:

ص: ١٦٥

أى الكفر بظاهر الشريعة مع الإيمان بحقيقته الباطن، فهؤلاء الغلاة قد فرطوا فى عدم التزامهم بأحكام وفروع الدين، و ذلك مسبب عن تعاضل باطن الدين عندهم فلا يقيمون للظاهر وزناً وقيمه.

ومنه يعرف التقصير بأنه الإيمان بالظاهر والتقيّد بمراعاته مع التفريط والكفر بالباطن.

وقد أشير إلى ذلك فى روايات عديدة، كصحيحه هيثم التميمى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام :

يا هيثم التميمى إن قوماً آمنوا بالظاهر و كفروا بالباطن فلم ينفعهم شىء، وجاء قوم من بعدهم فأمنوا بالباطن و كفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً ولا إيمان بظاهر إلأى باطن ولا باطن إلأى باطن(١).

و هذا التعريف - كما سنشير - تعريف للغلو الذى يغير التعريفات المعهودة السابقه فى الأذهان، حيث يشير إلى أنّ ما تقول به جملة من فرق الغلاة ليس فى نفسه باطل بل هو فى نفسه أمر حقّ، وإنما التطرّف عند هؤلاء الغلاة ناشىء من

ص: ١٦٦

١- (١). بحار الأنوار ٢٤ / ٣٠٢ ح ١١، عن بصائر الدرجات ج ٢ الجزء ١٠ / ب ٢١ ح ٥ ص ٥١٨.

عدم التقيّد والالتزام بالشريعة الظاهره بسننها وفرائضها، كما أنّ المقصّرهم من اقتصر في حقائق هذا الدين.

ففي موثّق الحسن بن علي بن فضال عن حفص المؤدّن - ولم يطعن عليه بشيء واستظهر أنّه مؤدّن علي بن يقطين - قال: كتب أبو عبد الله عليه السلام: إلى أبي الخطاب:

بلغني أنّك تزعم أنّ الخمر رجل وأنّ الزنا رجل وأنّ الصلاه رجل وأنّ الصوم رجل وليس كما تقول، نحن أصل الخير وفروعه طاعه الله وعدونا أصل الشرّ وفروعه معصيه الله، ثم كتب كيف يطاع من لا يعرف وكيف يعرف من لا يطاع (١).

ورواه الكشي عن حمدويه عن محمد بن عيسى عن يونس بن عبد الرحمن عن بشير الدهان.

وهذه الروايه معتبره سنداً على الأقوى وموثوق صدورها، وبشير وإن لم يوثق إلّا أنه لم يطعن عليه بشيء، وهناك من القرائن ما يعتبر بها حاله، وقد عرفت أنّ للروايه طريقاً آخرًا.

ومفاد هذه الروايه يطابق مفاد صحيحه التميمي من أنّ المعرفه ولو كانت في أعلى درجاتها لا يمكن أن تنفك عن الطاعه والعمل، كما أنّ الطاعه لا يمكن أن تنفك عن المعرفه، والمعرفه محلّها القلب والروح وهي الباطن الخفيّ ومتعلّقه بغييب مستور والعمل ظاهر جليّ.

ص: ١٦٧

١- (١). نفس الباب / ح ٢.

وهو أيضاً يتضمن الإيمان بحقيقته الباطن المكنون مع الخطأ في التأويل.

فهؤلاء آمنوا بباطن الدين لكنهم أخطأوا في تأويله وتطبيقه.

ومما يشير إلى هذا المعنى من الغلو أيضاً ما في مكاتبه الصادق عليه السلام للمفضل المروي في بصائر الدرجات للصفار وبصائر الدرجات لسعد بن عبد الله الأشعري، كما أخرجها عنه صاحب الوسائل وأخرجها في مختصر البصائر أيضاً حسن بن سليمان.

وقد سأل فيها المفضل بن عمر عن عدّه من مقالات أبي الخطاب والخطّابي في المعرفة، وأنهم قالوا بكفايه العقيدة عن العمل، وأنّ للأمور ظهراً وبطناً وأنّ أصل الدين معرفه الرجال ومن عرف ذلك الرجل فقد اكتفى بعلمه به من غير عمل، وهذه مقاله استفظعها المفضل بن عمر حين بلغته، وأنه كتب يسأل عن تفسير ذلك، فأجابه عليه السلام بقوله:

و أنا أبتنه حتى لا تكون من ذلك في عمى ولا في شبهه وقد كتبت إليك في كتابي هذا تفسير ما سألت عنه فاحفظه كلّ كما قال الله في كتابه: «وَتَعَبَّهَا أُذُنٌ وَاعْيَتْهُ»

وأصفه لك بحلاله وأنفى عنك حرامه إن شاء الله، كما وصفت ومعرّفك حتى تعرفه إن شاء الله، فلا تنكره إن شاء الله ولا قوّه إلّابالله والقوّه لله جميعاً أخبرك أنه من كان يدين بهذه الصفه التي كتبت تسألني عنها فهو عندي مشرك بالله تبارك وتعالى بين الشرك لا شكّ فيه، وأخبرك

أن هذا القول كان من قوم سمعوا ما لم يعقلوه عن أهله ولم يعطوا فهم ذلك ولم يعرفوا حد ما سمعوا، فوضعوا حدود تلك الأشياء مقايسه برأيهم ومنتهى عقولهم، ولم يضعوها على حدود ما أمروا كذباً وافتراءً على الله ورسوله وجرأه على المعاصي، فكفى بهذا لهم جهلاً. ولو أنهم وضعوها على حدودها التي حدت لهم وقبلوها لم يكن به بأس، ولكنهم حرّفوها وتعّدوا الحق وكذبوا وتهاونوا بأمر الله وطاعته. ولكني أخبرك أن الله حدّها بحدودها لئلا يتعدى حدودها أحد، ولو كان الأمر كما ذكروا لعذّر الناس بجهلهم ما لم يعرفوا حد ما حد لهم، ولكن المقصّر والمتعدى حدود الله معذوراً ولكن جعلها حدوداً محدوده لا يتعداها إلا مشرك كافر، ثم قال: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» ١.

وفى كلامه عليه السلام عدّه من الشواهد على هذا المعنى من الغلو وسابقه الذى ابتلى به بعض تلك الفرق:

أولاً: عبّر عليه السلام عنهم بأنهم تعدّوا الحق والحدود فى مقابل المقصّرين، وأنّه كما أنّ هؤلاء غير معذورين فإنّ المقصّرين عن معرفه تلك المعارف أيضاً غير معذور.

ثانياً: أنّ مقاله هؤلاء أصلها أحاديث سمعوا منهم عليهم السلام إلّا أنهم لم يعقلوا معانيها.

ثالثاً: أنّ مقالاتهم لأنّها فى الأصل هى معان حرّفت عن الأحاديث المسموعه، فلها أصل وتفسير صحيح. ومن ثم عبر فى صدر كلامه عليه السلام بأنّ ما يذكره تفسير ما هو الأصل الصحيح لهذه المعانى المحرّفه من مقالاتهم، وأنّ ما هو الأصل التى اتّخذت منه معانى مقالاتهم له وصف حلال يفترق عن الوصف الحرام الذى تعدّوه إليه ولذا قال عليه السلام :

وأصفه لك بحلاله وأنفى عنك حرامه. فهم قد أخطأوا فى تأويل ما هو الحق الثابت الصادر عنهم عليهم السلام ، وهذا غلوهم وإفراطهم.

رابعاً: أنه لا بد من التمييز بين ما هو الأصل الذى اتخذت منه تلك المعانى المنحرفه وبين تلك المعانى التى حصل بها التعدى، فالأصل لا بد من التعرّف عليه وعدم إنكاره كما فى قوله عليه السلام :

ومعرّفك حتى تعرفه إن شاء الله فلا تنكره ومن ثم قال عليه السلام أيضاً:

ولو أنّهم وضعوها على حدودها التى حدّت لهم وقبلوها لم يكن به بأس.

وفىها قوله عليه السلام أيضاً:

كذلك جرى بأنّ معرفه الرجال دين الله، والمعرفه على وجهين: معرفه ثابتة على بصيره يعرف بها دين الله ويوصل بها إلى معرفه الله، فهذه المعرفه الباطنه الثابته بعينها الموجهه حقّها المستوجب أهلها عليها الشكر لله التى منّ عليهم بها منّ من الله يمنّ به على من يشاء، مع المعرفه الظاهره ومعرفه فى الظاهر، فأهل المعرفه فى الظاهر الذين علموا أمرنا بالحق على غير علم لا تلحق بأهل المعرفه فى الباطن على بصيرتهم، ولا يصلون بتلك المعرفه المقصيره إلى حق معرفه الله كما قال فى كتابه: «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ»

فمن شهد شهادته الحق لا يعقد عليه قلبه ولا يبصر ما يتكلم به، لا يثاب عليه مثل ثواب من عقد عليه قلبه على بصيره فيه؛ كذلك من تكلم بجور لا يعقد عليه قلبه لا يعاقب عليه عقوبه من عقد عليه قلبه وثبت على بصيره.

فقد عرفت كيف كان حال رجال أهل المعرفه فى الظاهر والإقرار بالحق على غير علم فى قديم الدهر وحديثه، إلى أن انتهى الأمر إلى نبيّ الله وبعده إلى من صاروا إلى من انتهت إليه معرفتهم، وإنما عرفوا بمعرفه أعمالهم ودينهم الذى دان الله به المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وقد يقال: إنه من دخل فى هذا الأمر بغير يقين ولا بصيره خرج منه كما دخل فيه رزقنا الله وإياك معرفه ثابتة على بصيره(1).

وها هنا يشير عليه السلام بوضوح أنّ الآيه الكريمة تؤكد على لزوم معرفه الحق والشهاده به معرفه مستنده إلى العلم بالبصيره النافذه إلى أعماق الحقيقه دون

ص: ١٧٠

وفى قوله عليه السلام أيضاً:

وأنه من عرف أطاع ومن أطاع حرّم الحرام ظاهره وباطنه، ولا يكون تحريم الباطن واستحلال الظاهر، وإنما حرّم الظاهر بالباطن والباطن بالظاهر معاً جميعاً، ولا يكون الأصل والفروع وباطن الحرام حرام وظاهره حلال، ولا يحرم الباطن ويستحلّ الظاهر. وكذلك لا يستقيم أن يعرف صلاه الباطن ولا يعرف صلاه الظاهر، ولا الزكاه ولا الصوم ولا الحجّ ولا العمرة ولا المسجد الحرام ولا جميع حرّات الله وشعائره، وأن يترك معرفه الباطن، لأنّ باطنه ظهره ولا يستقيم ان ترك واحده منها إذا كان الباطن حراماً خبيثاً فالظاهر منه إنّما يشبه الباطن، فمن زعم أنّ ذلك إنّما هي المعرفه وأنه إذا عرف اكتفى بغير طاعه فقد كذب وأشرك ذاك لم يعرف ولم يطع وإنّما قيل: «اعرف واعمل ما شئت من الخير» فإنه لا يقبل ذلك منك بغير معرفه فإذا عرفت فاعمل لنفسك ما شئت من الطاعه قلّ أو كثر فإنّه مقبول منك(1).

وفى هذه الفقرات يشاهد تركيز واضح منه عليه السلام على لزوم التقيّد فى العمل بأحكام الفروع مما هو ظاهر التشريع، كلزوم التقيّد بنافذ البصيره فى المعرفه وأنه لا تنفك الطاعه فى الفروع عن المعرفه فى الأصول، ولا يكتفى بالمعرفه عن الطاعه، كما لا يكتفى بالطاعه عن المعرفه. وهذا كلّه تأكيد على أنّ نمط الانحراف السائل فى هذه الفرق هو فى التفكيك بين الجانبين والجهتين لا فى أصل ما يتعمّقون فيه من مقالات معرفيه، بل إنّ تلك المقالات لها أصل سمعوه وحديث رووه إلّا أنّهم لم يعقلوا حدود معناه ولم يقفوا على مفهومه وأخطأوا فى تأويله.

ص: ١٧١

وهو الإفراط في إظهار وإفشاء البراءة من الشيخين وإظهار القول بكفرهما، رغم خطوره الجوّ الأمني من قبل السلطات الأمويّة والعباسية، إذ إفشاء وانتشار هذه المقالة يعنى إثارة السؤال حول مصدر مشروعية الحكم والحاكم، وهذا مما يفتجر الوضع السياسي من رأس كيوم السقيفة ويثير السؤال حول مبدأ الحاكمية ومنطلقها.

ثم إنّ المخالفين يدينون من يذهب إلى القول بكفرهما ويقولون إنّ ذلك بسبب الإفراط في موالاه على عليه السلام وتقديسه، وهو على حدّ القول بألوهيته وإلّا لما استلزم تولّى على عليه السلام التكفير لهما. وهذا المعنى صرّح به كثير من أهل التراجم عند العامّة وعليه شواهد تاريخيه عديده هي التي دعت إلى الطعن بتهمه الغلو على أصحاب مثل هذه المقالة.

وقد اتّخذ العامّة والتبريّة أسلوب الطعن بالغلوّ على كلّ من لاحظوه يتشدّد في البراءة من الشيخين وأعداء أهل البيت عليهم السلام، أو يروى مثالبهم فطعنوا عليه بذلك بغية إسقاط ما يرويه من المثالب في مناوئهم وشيدوا هذا المعنى للغلوّ.

وقد يسرى مثل هذا المعنى عند بعض أرباب الجرح والتعديل من الإماميه إمّا غفله عن واقع الحال أو بسبب اختلاطهم بجمله من مشائخ العامّة فتشبعوا بمثل هذا المذاق وقد أشرنا إلى ذلك في الجزء السابق.

ومما يشهد على ذلك:

١ - ما رواه ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال عن عبد الأعلى بن أبى المسوار قال: سمعت المغيرة بن سعيد الكذاب يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» على بن أبى طالب «وَالْإِحْسَانَ» فاطمه «وَأِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى» الحسن والحسين «وَأَيُّهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ» كان أبو بكر من أفحش الناس والمنكر عمر بن الخطاب.

كذب عليه لعنه الله (١).

٢ - وقال العقيلي: وكان (المغيرة) من ألحن الناس فخرج يقول: كيف الطريق إلى بنو حرام (٢).

و مراده من بنى حرام «بنو أمية».

٣ - روى العقيلي عن الأعمش قال: أول من سمعت ينتقص أبا بكر وعمر المغيرة بن سعيد المصلوب.

وفى روايه أخرى عن الأعمش أنه قال: أول من سمعت يسبّ أبا بكر وعمر المغيرة بن سعيد (٣).

٤ - وروى العقيلي عن إبراهيم بن الحسن قال: دخل على المغيرة بن سعيد وأنا شاب وكنت أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر من قرابتي وشبهى وأمله فى. قال: ثم ذكر أبا بكر وعمر فلعنهما وبرىء منهما. قال: قلت: يا عدو الله أعندى قال: فخنقته خنقاً قال: فقلت له: أرايت قولك للمغيرة «فخنقته خنقاً» أخنقته بالكلام أم بغيره قال: بل خنقته حتى أدلع لسانه (٤).

٥ - روى العقيلي عن نصر بن عبد الله قال: كنت جالساً عند الشعبى وإلى

ص: ١٧٣

١- (١). الكامل ٣٥٢ / ٦ - الضعفاء للعقيلي ١٧٨ / ٤ - ميزان الاعتدال ١٦٠ / ٤ .

٢- (٢). الضعفاء للعقيلي ١٧٩ / ٤ - ميزان الاعتدال ١٦١ / ٤ .

٣- (٣). الضعفاء للعقيلي ١٨٠ / ٤ .

٤- (٤). الضعفاء للعقيلي ١٨٠ / ٤ - سير أعلام النبلاء ٤٨٦ / ٤ .

جنبه المغيره بن سعيد. قال الشعبي: افترق الناس على أربع فرق محب لعليّ مبغض لعثمان ومحب لعثمان مبغض لعليّ ومحبّ لهما جميعاً ومبغض لهما جميعاً قال: قلت: يا أبا عمرو ومن أيهم أنت فضرب عليّ فخذ المغيره بن سعيد فقال: أما إنّى مخالف لهذا قال: قلت: قد علمت (١).

أقول: وهذا النصّ يعطى أنّ المغيره بن سعيد كان مشتهراً ببغضه للخلفاء والغاصبين آنذاك وكان يسبهم جهاراً وسيأتى بعض الشواهد الأخرى أنّ تيار البترية كانوا يجتنبون عنهم ويتبرّون منهم لشده إظهارهم البراءة من الغاصبين للخلافه الإلهيه عليهم لعنه الله ولعنه الملائكة والناس أجمعين.

ص: ١٧٤

١- (١). الضعفاء للعقيلي ٤ / ١٨١ - تاريخ مدينه دمشق ٢٥ / ٣٧١ .

فإنّ ظاهر مستفيض الروايات أنّ جلّ الغلاة ارتكبوا هذا النمط من الغلو، وهم لم يخطأوا في إسناد الصفات والأفعال إلى أولياء الله المقرّبين وحججه المعصومين، وإنما أخطأوا في تسميه صاحب هذه الصفات والأفعال باسم الربوبيه والألوهيه، فليس إفراطهم في إسناد الصفات ولم يتجاوزوا الحدّ في ذلك وإنما تجاوزوا الحدّ في التسميه.

والمقصّيره حيث رأوا هذا الانزلاق من الغلاة ولم يتفطنوا ولم يعلموا موضع الخطأ عندهم، وتعاضم لديهم تلك الصفات أيضاً قاموا بإنكار ثبوت تلك الصفات لأولياء الله المقرّبين.

فالإفراط في تعاضم الصفات واستكثارها وإكبارها، وكذا الأفعال المتضمّنه للقدرة والقوّه والكمال، عن أن تكون صفه لمخلوق أى أكبر أن تكون تلك الصفات صفه لمخلوق، هو المنشأ لوقوع كلال-الفريقين في الخطأ فالغلاة جعلوا صاحبها إلهاً وربّاً لا مخلوقاً ومربوباً وعبداً، فهم بما قاموا به من إكبار قدر هذه الصفات وإعظام درجتها وحدّها أعظموا هذه الصفه عن أن يكون صاحبها مخلوقاً، أى عن أن يكون فوقه خالقاً وربّاً. وهم بذلك وإن لم يقوموا بالكذب والافتراء في نفس الصفه أو في نسبتها إلى المقرّبين من أولياء الله والحجج المصطفين إلّا أنّهم صغّروا الخالق، أى أحالوا ومنعوا - بسبب قصور إدراكهم

وهبوط حدّ معرفتهم واستبدادهم برأيهم وعدم اخبائهم إلى هداية الوحي - أن يكون الخالق فوق هذه الصفات وفوق هذه المكانة، ومن ثمّ أكبروا هذا العبد المخلوق المقرب الذي حباه الله بهذه الصفات عن أن يكون فوقه خالق وربّ وعن أن يكون مربوباً.

فالزيغ والانحراف والغلو الذي ارتكبه ليس في حقيقه هذه الصفات ولا في نسبتها لولى الله المصطفى، بل في تصغير مقام الله تعالى بسبب انبهارهم بعظمه هذه الصفات فلم يفظنوا أنّ صفات الله فوق تلك الصفات، وإكبارهم لولى الله عن أن يكون عبداً مربوباً وقد تقدّم بيان ذلك في الفصل الثاني من هذا الجزء.

وقد تكرر التأكيد في الروايات على وقوع هذا القسم والمعنى من الغلوّ حيث أكدوا على أنّ الغلاء صغروا قدر الله وأكبروا وأعظموا مقام ولى الله. وهذا النوع من الغلوّ هو الذى وقع فيه النصارى فإنهم لما رأوا صدور إحياء الموتى من النبى عيسى وشفاء المريض وخلق الطير أعظموا تلك الصفات وانبهروا بها فقالوا: إنّ تلك الصفات لا يمكن أن تكون لمخلوق ولا يمكن أن يكون فوق صاحبها خالق وربّ، فصغروا مقام الله إذ لم يثبتوا لله مقاماً و صفاتاً فوق تلك الصفات، كما أنهم أكبروا المخلوق حيث نعتوه بالألوهية. فهذه الصفات والأفعال رغم أنّها ثابتة لعيسى وقد أكد عليها القرآن الكريم فهي كانت حقيقه ومنسوبة إلى ولى الله، إلّا أنهم أفرطوا في قدر تلك الصفات، فظنّوا أنّها صفات إلهية مع أنّها حيث لم تكن للمخلوق بذاته بل بإقدار من الله كانت تلك الصفات بالغير وصفات خلقه، فتعاطمهم لتلك الصفات أى انبهارهم لعظمتها جعلهم لا يثبتون لله صفاتاً فوقها فصغروا قدر الله.

وهذا المحذور لم يقع فيه الغلاء فقط، بل وقع فيه من طعن عليهم أيضاً، حيث إنّ جماعه الطاعنه سواء من العامه - وهم الأكثر - أو من غيرهم، حسب أنّ موضع الغلو والإفراط هو القول بثبوت تلك الصفات لولى الله فأنكر ثبوتها. فهم

أيضاً تعاضموا تلك الصفات أى انبهروا بعظمتها وعدّوها من الصفات الإلهية ولم يثبتوا لله صفاتاً فوقها. فهم بالتالى أيضاً وقعوا فى تصغير قدر الله، وزعموا أنّ صاحب تلك الصفات لابد أن يكون إلهاً، فلم يتعدوا عن محذور ما وقع فيه الغلاة بل قد يكونوا زادوا عليهم، حيث تعاضموا تلك الصفات، أن أنكروا ثبوت تلك الصفات لولى الله.

فيصحّ أن يقال: إنّ الفريقين - المطعون عليهم والطاعن - جهل مقام وقدر البارى تعالى وأنه فوق ذلك، إلّا أنّ الفريق الأول وهو المطعون عليه أجاد معرفه ولى الله من جانب ثبوت تلك الصفات وإن جهله من جانب آخر بأنه مخلوق وعبد مربوب.

والفريق الثانى وهو الطاعن جهل معرفه ولى الله بتلك الصفات من جانب وإن عرفه من جانب آخر من كونه عبد مخلوق مربوب. وتقدّم ذكر الروايات الداله على هذا النمط من الغلوّ، والمهم فى هذا المعنى أن ثبوت تلك الصفات لولى الله ليس غلوّاً ولا إفراطاً فى القول وإنّما تعاضم تلك الصفات وعدم التفطن لوجود صفات أعلى منها إلهيه هو موضوع الخطأ والزيغ.

إنّ ظاهره الحدّه في إرادته التغيير السياسي ومقارعه نظام بنى أميه وبنى العباس كانت من الملامح البيئه لدى الفرق الشيعيه المطعون عليهم بالغلو. وكان منشأ هذا التطرف السياسي لديهم هو ما التزموا به من مقالات في أوصاف أئمه أهل البيت عليهم السلام وشؤونهم، فقد تبدّدت لدى هذه الفرق كثيراً من مقامات أهل البيت عليهم السلام وتمييزهم عن بقية الأئمه وكفائتهم في تدبير الأمور. ومن أجل ذلك كان استحقاق الأئمه للحكم السياسي والحاكميه العامه من الواضحات، و هذا سبب ملح لدى تلك الفرق في القيام بنهضه سياسيه مناوئه لنبي أميه وبنى العباس.

وكان النظام الأموي والعباسي يجد في مقالات تلك الفرق حول مقامات أئمه أهل البيت رساله سياسيه واضحه معبأه لجمهور الناس ضدّ النظام، لا أنّها ذو طابع عقيدى بحت.

فكانت روايات هذه الفرق تنطوي على تخطئه منهج السقيفه في كيفية انتخاب الحاكم السياسي، وعلى تأكيد ودعم لخصريّه صلاحيه قياده الأئمه والإمامه السياسيه بأهل البيت عليهم السلام وبالإمام الذي يتمنّع بمقامات غيبية لا تتوفّر في الرجل المنتخب من الأئمه.

ولك أن تلاحظ أنّ المواجهه العسكريه السريعه من النظام الأموي والعباسي ضد هذه الفرق والجماعات تبين درجه التحسيس والتخوف لدى الأنظمه الحاكمه

من ناحيه أمنيه وعسكريه وسياسيه. لا سيّما وأنّ المؤرخين قد ذكروا لرؤساء هذه الجماعات - كالمغيره بن سعيد وبيان وأبي الخطّاب ونحوهم - خروجاً على النظام الأموي والعباسي، والخروج مصطلح في الثورة السياسيّه، والملفت أنّ المغيره بن سعيد وبيان وجماعه من تيار المغيره ورؤادهم قد قاموا بالخروج على النظام الأموي في سنه ١١٩ أى قبل خروج زيد بن علي في سنه ١٢١ كما سيأتي كلام المؤرخين في ذلك.

لا سيّما وأنّ شعار الخروج والثوره السياسيّه التي قام بها المغيره بن سعيد وحلفاء تياره هو تحكيم إمامه الصادقين عليهما السلام بالاسم، وهذا الشعار كما سيأتي أخصّ وألصق بأهل البيت من شعار زيد بن علي.

وكان خروج ونهوض المغيره بن سعيد بمثابة فتح الباب وشرع الطريق أمام خروج وثوره زيد بن علي.

والحاصل: أنّ الباحث في هذه الفرق الشيعيه المطعون عليها بالغلو العقائدي يقف على شواهد عديده على أنّ تلك الظواهر لم تكن مسائل عقائديه جدليّه بحثه، بل كانت ذات تداعيات سياسيّه شديده جداً مما يستوقف المتتبع عن حقيقه الطعون العقائديه التي روجها النظام الأموي والعباسي ضدّ مقالات هؤلاء، وأنّ طعن السلطات الحاكمه عليهم بتأليه الأئمه أو القول بنبوّه الأئمه كانت دعايه قامت بها السلطات بكلّ قوّه للحيلولة دون انتشار وتوسّع هذه التيارات وصوريتها جبهه محدّده لبقاء حياه النظام.

وكان ذلك أحد أسباب تخطئه أئمه أهل البيت عليهم السلام لهذه الفرق والجماعه، حيث كانت تجنّد هذه المعارف للتبعئه السياسيّه والشحن الجماهيري باندفاع وتهوّر، فكان التموّج الذي يحدثوه بنحو مربك فوضوي يفتح الطريق أمام ذوى الأطماع السياسيّه بالاندساس في صفوفهم وركوب هذا التيار للوصول إلى مكاسب ومناصب سياسيّه، وقد عبّر واصطلاح في الروايات - كما مرّ - عنهم

بالسفله أى الذى يجير الحقائق الدينيه لمكاسب سياسيه مصلحيه دينيه لنفسه.

ونذكر جمله من الشواهد على تطرفهم السياسى فى الفصل السادس.

ص: ١٨٠

السادس: الاستئكال بمحبّتهم وإظهارها لأجل الوصول إلى الأطماع الدنيويّه

فقد روى المفضّل عن الصادق عليه السلام :

وأما المرتفعه هم الذين يرتفعون بمحبّتنا وولايتنا أهل البيت وأظهروه بغير حقيقه وليس هم منا ولا نحن منهم ولا أئمتهم أولئك يعذبون بعذاب الأمم الطاغيه حتى لا يبقى نوع من العذاب إلّا وقد عدّبوا به (١).

والظاهر من هذه الروايه أنّ هؤلاء حرصوا على إظهار محبّه وولايه أهل البيت بإصرار وترائى شديد طمعاً في الوجاهه بين المؤمنين والوصول إلى مواقع رئاسيه في جماعات أهل الإيمان فمناسبه تسميتهم بالمرتفعه أنّهم تصاعدوا في تقمّص الولاء رياءً وتلبساً.

ص: ١٨١

السابع: إسناد الأفعال الخطيره فى الخلقه إلى المقرين من دون تقيدها بإذن الله

نظير إحياء الموتى وإماتة الأحياء وإبراء ذوى العاهات والعلم بالمغيبات ونحو ذلك؛ فهذه الأمور ليس فى القول بصدورها عنهم عليهم السلام - كما صدرت عن أنبياء الله - أى محذور، إنما المحذور فى عدم تقييد ذلك بأنه بإذن الله كما قيد ذلك فى قوله تعالى: «أَنى أخلُقُ لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله» ١ والتسامح فى إسناد هذه الصفات والأفعال إليهم من دون التقييد يوجب إيهام الآخرين بألوهيتهم عليهم السلام .

ومن ثم قد وردت روايات كثيره فى النهى عن إسناد هذه الأفعال لهم عليهم السلام والمقصود أن إسناده ولو مع التقييد بإذن الله يغرى عامه الناس إلى إسنادها بنحو مطلق من دون تقييد مما يتضمّن شبهه الاستقلال والإيهام بالربوبية ومن ثم عبّر عنه بالغلو.

٦ - ءارسه تطبيقيه في سلوك المطفون عليهم بالفلو (٣٣٨-١٨٣)

اشاره

ص: ١٨٣

إنّ هناك قواعد مهمّه يجب التدقيق فيها و دراستها للمعرفه على أحوال الفرق المختلفه:

القاعده الأولى: المفارقة بين رواد الفرق وطبقات الأتباع

إنّ من الضرورى - فى تقييم عقائد الفرق ودراستها - التدقيق والتفكيك بين حقيقه مقال الرواد والزعماء لتلك الفرق عن مقالات تلك الفرق التى نشأت لاحقاً فى الأجيال المتعاقبه عنهم، وليس من السديد توحيد ما يذهب إليه المتأخرون من أتباع تلك الفرق مع صوره المفاهيم المعتمده لدى زعيم تلك الفرقة. فإنّ الانحراف وإن بدأ قليلاً إلّا أنه يزداد سعه كلما أوغل فيه حتى يكون فى الحلقات المتعاقبه لاحقاً فلاحقاً كبيراً جداً ثم يتفاقم أكثر فأكثر، فيحسب الباحثون فى علم الملل و النحل والفرق والأديان أنّ زعيم ومبدأ تلك الفرقة والجماعه تحمل فى طياتها كل انحرافات الأجيال المتأخره منه. وهذا ما يبهم حقيقه الحال فى مبدأ الفرق وروادها.

بل يصعب على الحاذق الدقيق الفطن التمييز بين حقه وأخرى فى الفرقة الواحده، فخذ مثلاً على ذلك: أنّ البايه التى أصبحت بهائيه كفرقه منتشره مارقه من الإسلام كان فى بدء أمرها تدعى النيايه الخاصه، بل ربّما يكون قد انبثقت من

رائد سابق لا يدعى النيايه الخاصه ولكن يدعى ويتوهم التشرف أو الإلهامات الروحيه أو التسديد والتوفيق بعنايه خاصه وامتياز فائق ونحو ذلك من الجهالات والغفلات الناشئه من السذاجه أو العجب أو الغرور أو التأويلات الخاطئه للمعارف غير المستنده إلى موازين وقواعد صحيحه وسديده وثابته.

و هذا ما يجب أن يدقق فيه الباحثون في الفرق وتياراتها وحلقاتها المتعاقبه لئلا يختلط الحابل بالنابل والغث بالسمين فيضيع من تراث الحديث في المعارف الكمّ الجمّ تحت طائله الخلط في الجرح والتضعيف بلا تمييز دقيق.

ثم إنّه لا يتوهم من هذه القاعده التشطّيب على قاعده أخرى في الملل و النحل وهي أنّ مذهب رؤساء الجماعات إنّما يعرف من خاصّته والمؤتمّين به، و ذلك لأنّ هذه القاعده يراد بها الدوائر التي تحيط بشخصيه المركز واتباعه الذين عاصروه وقرب عهدهم منه بينما كلامنا في المقام هو بلحاظ الدوائر البعيده.

كما أنه لا- يتوهم من هذه القاعده أنّ مفادها كون الأصل في مقالات الطبقات المتأخّره من الأتباع هو المغايره مع الرواد فليس الأصل الغالب يبني فيه على التغاير، بل إنّ حقيقه المقصود من هذه القاعده أنّ كلاً من الحكم بالتغاير أو التوحيد لابدّ و أن يبني على شواهد ومستندات نزيهه عن التحريف تثبت الاتّحاد أو تثبت التغاير، وأنّ تقصّي مقالات زعيم أيّ فرقه يجب أن يتوصّل إليها بالقصاصات والمستندات على حده خاصّه بذلك الزعيم لا- من خلال ما يقوله عنه مناوئوه وخصومه. و هذا التفكيك والتدقيق لم نشاهده لدى أرباب التراجم وأصحاب كتب الملل والنحل.

القاعده الثانيه: تفكيك الأصول الصحيحه لغوامض المعارف عمّا لفق بها من تأويلات خاطئه

إنّ من الأمور البالغه الأهميه في دراسه تراث أهل البيت عليهم السلام وما ينسب إلى الغلايه من الرواه من مقالات والتي على ضوئها يتمّ تقييم مضامين الروايات، هو المداقّه

فى معرفه مبدأ نشوء المقالات والأصل الذى كانت عليه وما طرأ على ذلك الأساس من تغييرات وتفكيك ذلك الأساس عمّا قد يضم إليه ويخلط به من انطباعات خاطئه حدثت إمّا لدى متأخرى الأتباع أو حدثت لدى الخصوم والمنائين.

فإنّ الدمج والخلط بين ذلك يضيع ويقضى على ذلك الأصل والأساس الذى ربما كان معنى صحيحاً سديداً وإن كان غامضاً يصعب رفع إبهامه على عامه الأذهان.

وعملية التفكيك والتدقيق تتطلب تضرعاً ونظراً ثاقباً يقتدر على تجريد بعضها عن البعض بقدره تحليليه عقليه وحس ذوقى قوى يصل بإدراك سريع وقاد إلى المقدمات الاستدلاليه، بجانب باع كبير فى التتبع والاستقصاء ومراس وإدمان فى البحث فى الأبواب، كى يتسنى له بذلك معرفه أصل مقاله المرويّه عنهم عليهم السلام عن الهيئات الأخرى للمقاله المغيره لها عن وجهتها وحدّها الأصلي.

وسياتى فى مكاتبته عليه السلام للمفضل بن عمر مثال لذلك من مقال نسب إلى الخطّابيه من أن الدين هو معرفه الرجال وأنه إذا عرفت فاعمل ما شئت وأن الصلاه والزكاه والصوم وأبواب الدين وكل الطاعات أصلها معرفه أئمه الهدى وكذلك كل أبواب الحرام والفواحش أصلها أئمه الكفر وكيف أن هذه المقالات حرّفت عما كانت عليه من أصل صحيح وكم ترى عليها من تغيير. وغيرها من موارد عديده كثيره جداً.

ومن ذلك ما قاله السيد المرتضى فى الشافى: «فأما ما حكاه عن بعضهم من أنه لولا الإمام لما قامت السماوات والأرض ولا صحّ من العبد فعل فليس نعرفه قولاً لأحد من الإماميه ولا تأخر اللهم إلّا أن يريد ما تقدّم حكايته من قول الغلاه، فإن أراد ذلك فقد قال: إن الكلام مع أولئك ليس بكلام فى الإمامه وأحال به على ما مضى فى كتابه من أنّ الإله لا يكون جسماً، على أنّ من قال بذلك من الغلاه - إن

كان قاله - فلم يوجه من حيث كان إماماً وإنما أوجه من حيث كان إلهاً وصاحب الكتاب إنما شرع في حكاية تعلييل من أوجب الإمامه وذكر أقوال المختلفين فيها وفي وجوبها وما احتيج له إلى الإمام» (١).

وهذه المقوله حرّفت عمّا هي عليه في الأصل وأصلها ما هو مروى عند الفريقين كما رواه في الكافي

ولو بقيت الأرض بغير إمام لساخت،

ولو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعه لماجت بأهلها كما يموج البحر باهله (٢).

وروى الحاكم في مستدرکه على الصحيحين قول الله تعالى لآدم وللنبي عيسى:

لولا محمد لما خلقتك ولا خلقت أرضاً ولا سماءً ولا جنّه ولا نوراً.

وهذه الروايات تبين أنّ غايه الخلقه هو المخلوق الأكمل، نظير قوله تعالى:

«ما خلقت الجنّ و الإنس إلا ليعبّدون» وبعد فرض انتفاء الغايه لا يكون للمعنى بقاء.

فحرّف هذا المعنى وأول على غير وجهه الصحيح.

القاعده الثالثه: عدم اعتماد مصادر السنّه في حقيقه مقالات فرق الشيعه

إنّ من الأخطاء المنهجية لدى جملة من الباحثين وأرباب الجرح والتعديل من أصحابنا وبعض من كتب في الملل و النحل والتراجم أو تاريخ الفرق أنّهم يستندون في تعريف وشرح فرق الشيعه وطوائف الرواه عن أهل البيت، إلى ما قاله العامه في كتب التاريخ والرجال والملل و النحل لديهم، وكذا الحال في المطعون عليهم بالغلوّ والمرميين بالتكفير. وفي هذه المراجعة إليهم عدّه ملاحظات:

الأولى: أنّ العامه لا يحتمل فيهم الحياد والإنصاف في بيان الحقائق في هذا المقام فكيف يعوّل عليهم؟

ص: ١٨٨

١- (١). الشافى ١ / ٤٢ .

٢- (٢). الكافي ١ / باب أن الأرض لا تخلو من حجّه / ح ١٠ و ١٢ .

الثانية: أن آراء العامّة حول مقالات الشيعة ناشئة عن عدم الفهم لحقيقه معارف الشيعة في جملة من مسائل وأبواب المعارف. فمثلاً مقاله الشيعة ولا سيّما الإماميه في أن أئمة أهل البيت عليهم السلام لهم علم لدنّي وحبل ونافذه ينفثون بها على الملكوت والسماء - كما هو الحال في طالوت وذى القرنين والخضر ومريم، مع أن هذه القناه ليست بنبوّه ولكنها ارتباط لدنّي - تنطبع عند العامه أنه قول بالنبوّه والوحى النبوى ويطعنون بذلك عليهم. مع أن السور القرآنيه غير واضحه لديهم في نماذج الحجج التي استعرضها القرآن الكريم وأنواع المناصب الإلهيه التي يّنها وأنها لا تنحصر في النبوّه والرساله، بل تشمل الإمامه والاصطفاء والحجّيه وغيرها من المقامات.

مثال آخر: وراثه روح القدس التي اوحاه الله إلى نبيّه كما في قوله تعالى:

«وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ» ١.

مع أن هذا الروح الأمرى والذي هو روح القدس هو الذى أيد الله به عيسى ويصرّح القرآن الكريم بتوريثه وانتقاله إلى من يشاء من عباده كما في قوله تعالى:

«يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» ٢ وكذا أشير إليه في ذيل آيه الشورى السابقه: «وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا».

و هذا الروح الذى هو من عالم الأمر والذي هو الكتاب قد ورّثه الله الذين اصطفاهم من هذه الأمه وهم أهل البيت عليهم السلام كما قال تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» ٣.

و هذا الانتقال حيث إنه ليس انتقال ذات شخص من أنبياء الله إلى نبي آخر ولم ينتقل ذات النبي إلى نبي آخر، وإنما هي قوه من القوى الغيبيه الملكوتيه زود

بها وأيد بها نبي، يرثها نبي من بعده أو وصي نبي من الأوصياء والأئمة.

و هذا يغاير مقاله التناسخيه، إلّا أنّ عدم فطنه العامه بهذه المباحث الدقيقه القرآنيه أوقعتهم فى الأوهام أنّ هذه مقاله مؤدّاه تناسخ أرواح الأنبياء والأوصياء، لا- سيما وأنّ جملة من أتباع بعض الفرق ممّن لا يتقن حقيقه هذه مقاله القرآنيه شبّهت له بتناسخ الأرواح وانتقال النفوس من بدن إلى بدن، وهذا ممّا يزيد فى تشويش حقيقه الصوره ويختبط معترك الكلام لدى العامه.

ففى البدء والتاريخ: «أما السبائيه فإنهم يقال لهم الطياره ... ومن الطياره قوم يزعمون أنّ روح القدس كانت فى النبي كما كانت فى عيسى ثم انتقلت إلى على ثم إلى الحسين ثم كذلك فى الأئمه وعامه هؤلاء يقولون بالتناسخ والرجعه ومنهم من يزعم أنّ الأئمه من نور الله تعالى وأبعض من أبعضه و هذا مذهب الحلاجيه»(1).

ولا يخفى أنه ليس غرضنا الاهتمام بأشخاص الرواه بقدر ما هو الاهتمام فى حقيقه المعارف ومضامين الروايات وواقع المقالات.

ومن نماذج تأثر عدّه من الأصحاب بما يروج عند العامه من الطعون على فرق الشيعه ما سيأتى من كلام النوبختى حول الخطأبيه وحول إيمان أبى طالب عليه السلام ، وما ذكره على بن إبراهيم القمى فى تفسيره فى عديد من موارد أسباب النزول من دون أن يسنده إلى روايه أهل البيت عليهم السلام تأثراً بما عند العامه حتى فى قصه ما لفقوه من سبب نزول الآيه فى عدم إيمان أبى طالب عليه السلام .

وكذلك ما ذكره الكشى فى عديد من الموارد فيما ذكره عن فرق الشيعه أو فى تراجم مفردات الشخصيه للرواه.

ص: ١٩٠

إن ظاهره رموز ورواد الغلو والطياره تسترعى توقف الباحث ملئاً عندها، ولا- يمكن لمن أراد الوصول إلى الحقيقه السماع والإنصات إلى الطرف الطاعن من دون تقصى أحوال المطعون الذى هو طرف آخر فى الخصومه والنزاع.

والبحث وإن لم يكن غايته الانتصاف لمن طعن عليهم بالغلؤ ووصف الطياره بقدر ما هو عزم على الوصول للحقيقه، كى لا تتكرر مثل هذه الظاهره ولا تعمم على الأبرياء من سائر الرواه، وليتم التعرف على خلفيات والأسباب الخفيه التى تقف وراء مثل هذه الظاهره.

فإنه لا يمكن استبعاد منهج القراءه السياسيه للحدث وإن لم يصح الاقتصار على هذا المنهج بل لابد من إعمال المناهج المختلفه الحديثى والكلامى والتاريخى المحض والرجالى والفقهى وغيرها كل فى مجاله وبحسب زاويته، كى تتضح الصوره كامله ولا تقتصر الشواهد على جوانب دون أخرى ولا يتم استبعاد العوامل المتعدده الموثره.

فمن جمله العوامل التى لا يمكن إغفالها فى بحث ظاهره الغلاه ورميهم بالغلؤ هو الصراع السياسى الذى كان بين الفرق الشيعيه وبين السلطات الأمويه والعباسيه، إذ لا- ريب أن بث الثقافه الداعيه إلى تسليط الضوء على أهل البيت عليهم السلام كقيادات منقطعه النظير، عديمه الشبيه متميزه النعوت، يمتنع مشاركتها فى المقامات، وذكر ما لهم من الصفات المرتبطه مئياً تعكس ارتباطهم بالملكوت، كل ذلك يقطع السبيل على غيرهم فى منافستهم على الشرعيه ويفقد الشرعيه عن الأميين والعباسيين فى تسلطهم على مقام الخلافه والحكم فى بلاد المسلمين.

ومن الواضح أن هذا يمثل ثوره سياسيه على بنى أميه وبنى العباس ويربك الأرضيه فى عموم قاعده المسلمين على بنيانهم، فلا محاله أن التيار الذى يقوم بعبأ نشر معارف مقامات أهل البيت عليهم السلام يعتبر فى الحقيقه نشاطاً سياسياً معارضاً

للسلطات ولا محاله ينجز بعد ذلك إلى تحرك السلطه الأمويه والعباسيه ضدّ هذا التيار ولمواجهه هذه الثقافه التي تخلق أزمه الشرعيه عنهم. ولا- محاله مواجهه هذا الفكر لابدّ أن يكون بأدوات فكريه قبل أن يكون بأدوات سياسيه وأمتيه وإن كانت السلطات الأمويه والعباسيه قد استخدمت كل الأدوات، ولكن في البدء استعملت في مواجهه أدوات من النمط الأوّل وهو الطعن بالغلوّ والانحراف والتكفير والتفسيق نظير الحكم بالرّدّه على الكثير من مانعي الزكاه للخليفه الأوّل والمصريين على لزوم توليه مقام الخلافه لعلي بن أبي طالب عليه السلام .

فإنّ عصا التكفير والرمى بالبدع والغلوّ لم يكن أمراً مستبعداً من المستولين على الخلافه الإسلاميه في مواجهه القواعد العديده من جماهير المسلمين الداعيه إلى مناصره أهل البيت عليهم السلام ، لا سيّما ذلك التيار الفكري الذي يدعو إلى تبيان البراهين والدلائل والبيّنات على حصر الشرعيه في الإمامه والخلافه لأهل البيت عليهم السلام و ذلك عبر بيان نعتهم وتفسير مقاماتهم بحسب نصوص القرآن ومتواتر السنّه النبويه وتأويلها بعمق يبيّن الحكمه والعله في كون الإمامه والخلافه ضروره بالنصّ الإلهي والجعل الربّاني وأنها كمقام النبوه والرساله من جهه أنّها منصب إلهي وإن اختلفت عنها في السنخ والنوع، وهذا ممّا يصعد القدره الفكريه على مواجهه بنى أميه وبنى العباس بصوره أكفأ وأقوى من البنيه الفكريه من أصحاب التيار الكلامي الجدلي البحت.

فإنّ أصحاب التيار الكلامي وإن كانت لهم إسهامات مهمه في مواجهه السلطه الأمويه والعباسيه والدفاع عن مناج أهل البيت عليهم السلام ، إلّا أنّ هذه مواجهه لم تخل من إرباك بسبب تجنيد السلطه الأمويه والعباسيه تياراً كلامياً مضاداً قام بتخويه المعاني وتسييب حدود المعاني وتمطيط الموازين الفكريه وإيجاد الكثير من اللغظ الجدلي الذي يعتّم على كثير من الأذهان رؤيه الحقيقه، وهذا بخلاف التيار لرواه المعارف والمقامات الغيبيه لأهل البيت عليهم السلام والذي يقوم بانتزاع هذه

المعارف من حقائق المعانى القرآنيه أو درايه النصوص النبويه، فإنّ هذا الطرح المعرفى يصعب مواجهته ولا يمكن ادّعائه فى شأن غير أهل البيت عليهم السلام من مناوئهم وخصومهم وبنى أمّيه وبنى العباس.

فإنّ هذا النمط من البيان والخطاب والدلائل لحقّ أهل البيت عليهم السلام يسعّر قوّه المواجهه ويعزّى عن حقيقه الطرف الآخر وظلمه واستبداده واستثاره بدرجه تضيّع عليه الفرصه فى القدره على المواجهه، وهذا مما كان يتطلّب تحرّكاً سريعاً من السلطات الأمويه والعباسيه لمحاصره تولّد تلك التيارات والإجهاز عليها فى مهد بيناتها.

ومن ثمّ لم يكتفوا بالتكفير والظعن عليهم بالغلوّ بل بادروا بعد تشهيرهم بهذا الظعن إلى المواجهه الأمّيه والعسكريه، كما حصل مع المغيره بن سعيد وزملائه ومع أبى الخطّاب وجماعته وغيرهم من هذه الجماعات. بل استطاع مدّ السلطه أن يشيع الساحه ضدّ هؤلاء فكرياً بتوسّط هذا الظعن بأنه تأليه والقول بالربوبيه لأهل البيت عليهم السلام. وهذا النمط من أسلوب المواجهه لم يكن جديداً بل قد رُفِع شعاره من قبل المستولين على الخلافه والحكم منذ أوّل يوم وفاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم حيث رفع شعار «من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت»^(١) فيتضمّن هذا الشعار أنّ هذا الولاء لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم إفراط وعبوديه وغلوّ فى شخصيته صلى الله عليه وآله وسلم وتأليه له. وكذا قالها الثانى مخاطباً سلمان:

«أليس قد أزالها الله عن أهل البيت الذين اتّخذتموهم أرباباً من دون الله»^(٢).

والملاحظ أنّ جملة الأبحاث الرجاليه التى خاضت فى تحليل هذه الظاهره لم تستوف العامل السياسى ودوره، مع أنّ حدثاً بمثل هذه الضخامه فى عمق البيئه

ص: ١٩٣

١- (١). شرح نهج البلاغه ابن أبى الحديد ١: ١٧٧ و ٢ / ٤٠ و ١٣ / ٣٥، وبحار الأنوار ٣٠ / ٥٩٠.

٢- (٢). بحار الأنوار ٢٨ / ٢٧٨.

الاجتماعيه والسياسيه وتداعياتها فإنه يتفاعل بقوة مع الخطط السياسيه وتنازع القدره، لا سيما وأن مثل المغيره وأبى الخطاب وأمثالهما لم يكونوا أصحاب دعوه فكرية فقط بل كانوا يحملوا توجهاً إلى مشروع سياسى كبير، حتى أن المصادر التاريخيه لم تستطع إخفاء ذلك كما سيأتى التعرض إلى جملة من القصاصات الشاهده على ذلك، بل أن عبد الله بن سبأ لم تستطع المصادر التاريخيه إخفاء طابع تحرّكه السياسى المناهض للخط الحاكم السياسى و هذا يفتح الباب لقراءه خلفيه الطعون التى رُمى بها هؤلاء من الغلو والمروق العقائدى.

كما يسترعى الباحث للبحث فى الفارق والمائز بين جملة من ثورات العلويين ضدّ بنى أميه وبنى العباس التى أيضاً كانت ثورات سياسيه مناهضه لسلطه الحكم السياسى، إلّا أنه رغم ذلك لم يطعن عليها بمثل هذه الطعون مما يكشف عن أنّ الشعاع العقائدى الذى رفعه مثل هؤلاء كمنطلق للتحرّك السياسى يختلف عن طابع ثورات العلويين، فإنّ هؤلاء كانوا يركّزون على إمامه ووصايه الأئمه الاثنى عشر من أهل البيت عليهم السلام دون من سواهم، وينطلقون فى تبيان نظام الشرعيه السياسيه من منطلقات معرفيه حول مقامات أهل البيت عليهم السلام، ممّا يسدّ الباب على بقيه وجوه بنى هاشم من العلويين والفاطميين ومن الحسينيين والحسينيين فضلاً عن الأمويين والعباسيين، وينطلقون فى الحقّ الحصرى للأئمه الاثنى عشر عليهم السلام فى القيادة السياسيه للأئمه والقياده الدينيه من أسس معرفيه عقديّه وهى علوّ مقامات أهل البيت عليهم السلام من المواهب اللدنيه الإلهيه. و هذا بمثابة ترويج ثقافى وعقائدى يهيبىء الأرضيه لتبرير وتفسير الدعوى السياسيه والعسكريه لأهل البيت عليهم السلام .

إلّا أنّ هؤلاء أخفقوا فى دراسه الظروف وتقييمها كما أنّهم أخفقوا فى اعتماد البرامج السديده الصائبه والخطط المرحليه. فكان ما اعتمدوا من تدبير وتخطيط وأساليب مضرّ غايه الإضرار بمسيره أهل البيت عليهم السلام، بل وسبب تداعيات سلبيه

شديده من إرباك الوضع الأمني، وفتح الباب للسلطات الحاكمه للقيام بالمزيد من الضغط والحصار على مسارهم عليهم السلام ، فضلاً عن استقلال جماعات أخرى انتهزته تتحين الفرصه في ظلّ الالتباسات في المفاهيم الدينيه لكي تقوم بتحشيد الاتباع، وتسويغ دعايات رئاساتها الباطله، ولو كلف ذلك المتاجره والتلاعب بكلّ مقدسات الدين وتحريف الحقائق. إذ أنّ أيّ تحرّك اجتماعي سواء كان طابعه عقائدياً أو سياسياً أو علمياً محضاً فإنه يتفاعل مع الشرائح الاجتماعيه على اختلاف ألوانها ومآربها.

هذا مضافاً إلى إخفاق هؤلاء في فهم وتنظير جملة من المعارف الغامضه وتغييرها بالصوره السديده، وكذلك ضبط جملة من الأحكام الشرعيه كي لا- يحصل منها انطباع خاطيء، ولا يستغل أصحاب الأغراض والميول والأهواء استثمارها في مآربهم الخسيسه.

ففي ظلّ جملة هذه الإخفاقات والتمرد على وصايا أئمه أهل البيت عليهم السلام وتأكيداتهم في المنهج والمنهاج، وفي ظلّ معترك التجاذبات والتصارع السياسي والاجتماعي تموج مثل هذه الظاهره الغامضه التي لا يمكن تفسيرها وتحليلها والوقوف على حقائق الأحداث إلاّ بتفكيك القصاصات والشواهد والعوامل والأسباب ودوافع الأطراف بمنهج متبث وتروى وتدبر مليء بالنظر الثاقب.

و هذا المنهج من المواجهه هو الذي نشاهده من الأنظمه السياسيه التي تتخذ من السلفيه ذراعاً لمحاربه أتباع أهل البيت عليهم السلام ، فإنّهم يقومون برفع سيف التكفير كذريعه لجحد واستئصال جملة من أركان الدين كالتوسل وبناء المشاهد المشرفه ومعالم الآثار التاريخيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام في مكّه المكرّمه والمدينه المنوره وسائر أرجاء المعموره. فإذا كان هذا التيّار الحاكم على رقاب المسلمين - منذ الصدر الأوّل إلى أن تطالت القرون وإلى يومنا هذا - لا يتحمّل وجوده في السلطه وتقمّصه لمشروعيه الحكم ظاهر بعض مقامات وصلاحيات أهل

البيت عليهم السلام فكيف بتلك الصلاحيات الأعلى النابعة من صفات ونعوت وفضائل لا يكاد مثل هؤلاء العتاه من الحكام أن يتصوّروا جانباً مخفّفاً منها فضلاً عن أن يحتملوا إمكانها.

القاعده الخامسه: إيهام حال جمله من الرواه لانتحال الطياره والغاليه لهم

إنّ جمله من الفرق المنحرفه قد سعت لتقويه دعوتها وشوكتها وتجليه وجهها إلى إصاق جمله من الرواه الكبار والشخصيات اللامعه إليها، و ذلك بجعل جمله من الأسانيد تنتهى إلى أولئك الرواه ونسبه متون من الروايات الموضوعه كقول ومقاله يتبّوها أو كمتن روايه ينسبونها إلى المعصوم على لسان أولئك الرواه.

كما تقوم الطياره الغاليه بوضع روايات كثيره على لسان أولئك الرواه فى كتبها، وكما تقوم الواقفه بإسناد روايات الوقف إلى جمله من الرواه الذين هم ليسوا منهم.

وهذا مما يسبّب تولّد التهمه والشبهه لدى عدّه من الرجالين حول أولئك الرواه، بل فتح باب الطعن من أولئك الرجالين على أولئك الرواه. وقد وقع ذلك للكشى والنجاشى وابن الغضائرى فى جمله من الموارد، بل ما يزيد على الشبهه والتهمه افتراء العامه على أولئك الرواه جمله من المفتريات وقد يطابق مفتريات الطياره والغاليه وغيرهم فتستحكم الشبهه والتهمه حينئذ.

فمثلاً قال المحقق التستري فى قاموسه فى المفضل بن عمر: «والظاهر أنّ منشأ طعن ابن الغضائرى فيه حمل الغلاه فى حديثه حملاً عظيماً كما اعترف به نفسه وكما عرفت من الكشى من قوله: «وذكرت الطياره الغاليه فى بعض كتبها عن المفضل... الخ» وزاد الشبهه فيه والتهمه له افتراء العامه عليه، شأنهم مع أجله

الشيعة كما عرفت من قول الكشى «قال يحيى بن عبد الحميد ... الخ»^(١) بل الواقعه أيضاً افتروا عليه أنه روى الوقف فنقل الغيبة عن كتاب علي بن أحمد الموسوى فى نصره الواقعه: أنه ذكر إسناداً عن المفضل عن الصادق عليه السلام قال: إن بنى العباس سيعثون بابنى هذا ولن يصلوا إليه»^(٢).

وقال المامقانى فى تنقيح المقال فى ترجمه مفضل فى ردّ قول الكشى واعتماده فى الطعن على المفضل على الكتب الطياره الغاليه قال: «إنه بعد اعتراف الكشى بأنّ الناسب إلى المفضل هذه الكلمات التى لا تصدر إلّامن أهل الهذيان الشاربيين للبنج أو الخمر أو المجانين، هم الطياره الغالين فما معنى جعله قادحاً فى المفضل، بعدما أشرنا إليه آنفاً من جريان عاده أهل المذاهب الفاسده على الاهتمام بإدخال اسم جليل فى جماعتهم ليقوى به مذهبهم الفاسد، كنسبه المتصوّفه التصوّف إلى أمير المؤمنين عليه السلام ... فكما أنّ ذلك منهم لا ينقص أمير المؤمنين عليه السلام فكذا هذه النسبه من الغلاه لا تنتقص المفضل الذى هو بمقتضى الأخبار المزبوره معدن الفضل».

وقال: «لما جرت عليه العاده من اهتمام أهل المذاهب الفاسده إلى نسبه مذهبهم الفاسد إلى جليل من أهل الحق لتقويه مذهبهم والتعميه على الجهّال ...

فعلى فرض عدّ الغلاه المفضل منهم لا يكون حجّه على غلوّ المفضل فإنّ الإنسان يملك لسان نفسه ولا يملك لسان غيره»^(٣).

ومما يشهد على ذلك أيضاً أنّ النجاشى قد ضعّف داود بن كثير الرقى وعرض بأنه من الغلاه بمجرد روايه الغلاه عنه، مع أنّ الكشى قال فى شأنه إنه لم

ص: ١٩٧

١- (١). نقل كلام قاضى العامه شريك بن عامر فى المطاعن على المفضل بن عمر مع أنّ جملة من تلك المطاعن هى فضائل ومعارف يحسبها العامه مطاعن.

٢- (٢). قاموس الرجال ١٠ / ٢١٤ .

٣- (٣). تنقيح المقال ٣ / ٢٤٠ - ٢٤١ .

يسمع أحداً من مشايخ العصابه يطعن فيه ولا عثرت من الروايه على شىء غير ما أثبتته فى هذا الباب، قاله ردّاً على الغلاه حيث زعموا أنّ داود من أركانهم(١).

القاعده السادسه: فرق الصوفيه من الفرق الشيعيه

إنّ من الأمور الهامه التى تستدعى وقفه مليه عندها هو تحديد انتماء فرق الصوفيه وهى بالعشرات لا سيّما وأنها تشكّل المساحه الضاربه فى العالم الإسلامى سواء العربى أو غيره.

ولتنقيح ذلك نبيّن جملة من الأمور:

الأول: أنّ الصوفيه والتصوّف منهج عقائدى وليس بمنهج فقهى، ومن ثم وقع الخطأ الشائع عند أصحاب التراجم وأرباب الجرح والتعديل فى كتب الملل و النحل حيث عدّوا فرق الصوفيه من فرق أهل السنه باعتبار انتمائهم فى الفروع لأحد المذاهب الأربعة، بينما غفلوا عن انتمائهم العقائدى إلى أئمه أهل البيت عليهم السلام فإنّ جلّ الفرق الصوفيه ينسبون أنفسهم إلى أئمه أهل البيت عليهم السلام(٢) مع أنّ المدار فى علم الملل و النحل و الفرق وعلم الدرايه والرجال والتاريخ هو الانتساب العقائدى لا الفقهى.

الثانى: أنهم يعتقدون بأنّ الأئمه الاثنى عشر أئمه الملكوت و أنهم وسطاء الفيوضات الربانيه و أنهم شهداء لله على خلقه يوم الحساب وهداه الخلق إلى الله، وأنّ الخلفاء الثلاثة إنّما هم أئمه الظاهر أئمه سياسه دنيويه دون الولايه الأخرويه والغيبيه.

وهذه الدرجه من التبرّي من أئمه الظاهر - حيث لا يثبتون لهم الولايه الغيبيه

ص: ١٩٨

١- (١). رجال النجاشى ص ٤٧١، والكشى ذيل ح ٧٦٦.

٢- (٢). عدا فرقه النقشبنديه حيث تنسب نفسها إلى أبى بكر مع أنها تعتقد بإمامه أهل البيت عليهم السلام فى الملكوت.

والأخرويّه - لا نجدها في فرق الزيديه مع أنها معدوده من فرق الشيعه.

الثالث: أنه من الجهه السابقه يتبين أنّ فرق الصوفيه أخصّ بالإماميه من الزيديه، وكذا هم أخصّ بها من الإسماعيليه والواقفيه والناووسيه وغيرهم من الفرق الشيعيه التي لا- تدين بولايه الأئمه الاثني عشر، بينما هؤلاء يدينون بولايه الأئمه الاثني عشر بأسمائهم ونسبهم وبولاده الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وبأنه سيظهر، فهم أخصّ بالإماميه من بقية الفرق من هذه الجهه. ومن ثم فهم عقائدياً لا صلّه بينهم وبين الأشاعره ولا السلفيه ولا أهل سنه الخلافه وجماعه السلطان ولا المعتزله ولا الكراميه والماتريديه والجهميه وغيرهم من فرق أهل السنه، بل حيث قدّم علياً وولده في إمامه الملكوت والعلوم اللدنيه وأقرّوا بقطبيه الاثني عشر فهم من فرق الشيعه عقائدياً.

الرابع: أن تبنيهم في الفروع لأحد المذاهب الأربعة السنّيه لا يقطع نسبتهم العقائديه إلى فرق الشيعه لأنّ النسبه في الفرق قائمه في الأساس على الانتماء العقائدي لا- الانتماء الفقهي، وإلّا فإنّ فرق الزيديه في فقه الفروع أقرب إلى المذاهب الأربعة منها إلى الإماميه ومع ذلك لم يخرجهم عن تعداد فرق الشيعه.

الخامس: أنهم قائلون بمقامات عظيمه لأئمه أهل البيت عليهم السلام وبلطائف في معرفه مناقبهم وإشارات لا يصل إلى دقائقها جملة كثيره من فرق الشيعه.

السادس: أنّ الفرق الصوفيه هي النسبه الضاربه من أتباع المذاهب الأربعة وليس ذلك في قرننا الحاضر فقط بل منذ القرون الأولى لتأريخ المسلمين.

السابع: أنّ منشأ تولّد ويزوغ الفرق الصوفيه هو امتداد لأتباع الفرق الباطنيه الشيعيه وما يسمّى بفرق الغلاه، فإنّ أدبياتهم جلّها مستوحاه مما كان متداولاً عند تلك الفرق، ويظهر ذلك جلياً بيناً لمن تتبّع وبحث بشكل مقارن لمنظومه الأبحاث والاصطلاحات عند هذه الفرق، فيظهر لديه أنّ جذورها ومبدها كان عند تلك الفرق الشيعيه.

الثامن: قد يفسر التلفيق الذي تبنته الفرق الصوفيه من الانتماء العقائدي في المعارف إلى أئمه أهل البيت عليهم السلام من جانب، ومن جانب آخر تبني أحد المذاهب الأربعة في الفروع والالتزام بالإمامه السياسيه أن ذلك نحواً من التقيه المفرطه في الطبقات الأولى من فرق الصوفيه في مقام العمل ومقام الولاء السياسي، حيث أدى بهم هذا الإفراط في التقيه إلى التماذي في الطبقات اللاحقه بحيث التزموا بالجانب الثاني كمبدأ في العمل ومبدأ في الولاء السياسي، إلى أن وصل الحال بما يرى من التلفيق الذي هم عليه في القرون المتأخره. وعلى أي تقدير فالأصل في النسبه وانتماء الفرق هي الجبهه العقائديه المقدمه في النسبه على المتبنيات في الفروع العمليه.

التاسع: إن من الشواهد على عدم انتساب فرق الصوفيه لأهل السنّه أنك ترى الأشاعره والسلفيه وغيرهم من فرق السنه يكفرون الصوفيه في معتقداتهم، أو يطعنون عليها بالبدعه والغى والضلال ونحو ذلك، ولربما راج التعبير لديهم أن التصوّف قنطره التشيع. ونحن إذ ندرجهم في فرق الشيعه وأنهم أخصّ بالإماميه من جمله من الفرق لا نريد بذلك إدراجهم في الإماميه الاثنى عشرية، ولا ننكر وجود الفوارق الكثيره والمؤاخذات التي سجّلها علماء الإماميه عليهم في جمله من أبحاثهم وكتبهم والمسائل والقواعد التي حكموا بالانحراف عليهم فيها، بل نحن في صدد بيان أن قواعد علم الملل و النحل والفرق الإسلاميه وبحوث علم الرجال والدرايه ومباحث التاريخ تعين اندراجهم في الفرق الشيعيه وأنّ لهم جهات مشتركه مع الإماميه، وأنّ محتد تولدّهم ومهد ترعرعهم في التاريخ الإسلامى هو امتداد لجذور الفرق الشيعيه. وحسب الناظر المقارنه بين المقالات المأثوره في الأبحاث المعرفيه لجمله من فرق الشيعه مع مقالات الصوفيه.

العاشر: وعلى ما تقدّم من النقاط يتبين النظر فيما يدعى من أن أكثرية العالم الإسلامى عبر القرون الأربعة عشر أكثرية من أهل السنه، بل الأكثرية هي من فرق

الشيعة ولو أردنا تحييد فرق الصوفيه عن كل من الشيعة والسنة فالأشعريه والسلفيه والمعتزله والكراميه ونحوهم لا يشكّلون أكثرية العالم الإسلامي، بل إنّ هذا التحييد لفرق الصوفيه كوسط بين الطرفين لا يخفى أنه يوجب أكثرية مذاهب التشيع كعقيدته وإن أوجب أكثرية السنن كمذاهب فقهيه.

القاعده السابعه: تنقيح التراث الإسلامي عن النصب والغلو

إنّ هناك الدعوات والنداءات الكثيره المطالبه بتنقيح التراث الواصل مما نقل وروى عن الغلاه أو أخذ من مصادرهم و ذلك لعدم الأمن منهم على الصدق فى النقل والأمانه فى الروايه. والغريب أنّ هذه الدعوات تقتصر على التحسيس والحذر من الغلاه فقط وتهمل دور النواصب والمقصره فى التأثير على التراث، فلا نجد أرباب الجرح والتعديل عند أهل السنّه يتحسسون من الأخذ عن النواصب بل نجدهم يوثقونهم.

قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب فى ترجمه إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدى الجوزجاني قال: قال الخلال: «إبراهيم جليل جداً كان أحمد بن حنبل يكاتبه ويكرمه إكراماً شديداً. وقال ابن حبان فى الثقات كان حرورى المذهب (1) ولم يكن بداعيه وكان صلباً فى السنّه حافظاً للحديث إلّا أنه من صلابته ربما كان يتعدى طوره. وقال ابن عدى: كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق فى الميل على على».

وقال السلمى عن الدارقطنى بعد أن ذكر توثيقه: «لكن فيه انحراف عن على اجتمع على باب أصحاب الحديث فأخرجت جاريه له فزوجه لتذبحها فلم تجد من يذبحها فقال: سبحان الله فزوجه لا يوجد من يذبحها وعلى يذبح فى ضحوه نيفاً وعشرين ألف مسلم».

ص: ٢٠١

قال ابن حجر: «قلت وكتابه فى الضعفاء يوضح مقاله ورأيت فى نسخه من كتاب ابن حبان حريزى المذهب - وهو بفتح الحاء المهمله وكسر الراء وبعد الراء زاي نسه إلى حريز بن عثمان المعروف بالنصب(١) -».

وقال الذهبى فى ترجمته: «أحد أئمه الجرح والتعديل ... كان مقيماً بدمشق يحدث على المنبر وكان أحمد يكاتبه فيتقوى بكتابه ويقراه على المنبر»(٢).

فهذا تصريح منهم باعتماد أرباب الجرح والتعديل والمحدثين فيهم على النصاب من الرواه: بل اعتمدوا النصب سنه يتدينون بها ويجد المتبع فى كتب الرجال عندهم الكثير جداً من هذه النماذج والكتب الحديث لديهم مملوءه برواياتهم وقد كتب وجمع الكثير من المحققين من الإماميه قوائم بتعداد ذلك، فلاحظ ما كتبه الأمينى فى الغدير والمظفر فى دلائل الصدق والإفصاح والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فى رساله مستقله فى ذلك وما ذكرناه من نماذج فى كتابنا عداله الصحابه وفى الجزء الثانى من الرجال.

والحاصل: أن تراثهم فى الحديث والسيره والتاريخ وروايات أسباب النزول وغيرها من كتب التراث مشحونه بالنقل عن الرواه الموصوفين بالنصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام .

ص: ٢٠٢

١- (١) . تهذيب التهذيب ١ / ١٥٩ رقم ٣٣٢ .

٢- (٢) . ميزان الاعتدال: ١ / ٧٥ و ٧٦ .

لابد من الالتفات إلى أنّ جماعه ممن تعاطى المعارف روايه ودرايه كعبد الله بن سبأ ومغيره بن سعيد وبنان وأبى الخطاب لا ريب فى انحرافهم عن تعاليم أهل البيت عليهم السلام ووصاياهم، إلّا أنّ الكلام كلّ الكلام هو فى تحديد وتشخيص هويّه ذلك الانحراف الذى ارتكبوا ومركز الانحراف، فهل هو - كما ينسب إليهم فى كتب العامه - ادّعاء الألوهيّه والربوبيّه، أو قولهم بألوهيه الأئمه من أهل البيت عليهم السلام ، أو قولهم بالتناسخ؟

لكن الملاحظ أنّ انحرافهم إنّما كان فى أمور آخر، منها: إذاعه السر وإشاعه المعارف الثقيله والمعانى الغامضه التى يسبب نشرها وإذاعتها وشيوعها عند عامه أهل العلم فضلاً عن عموم الناس، انطباع معانى خاطئه وتصوّرات باطله وينسبوا لدهم تأويلات زائغه باسترسال المبادره فى المعانى من غير فهم حقيقه تأويلها أو وجوه معانيها الصحيحه، فسبب ذلك الانطباع الخاطىء فى أذهان عموم الناس انحرافاً آخر من القول بالألوهيه أو النبوه.

لا سيما وأنّ هناك كانت جماعات ثانيه خاصّه توصف فى الروايات بالسفله، وهم الانتهازيون الذين يستأكلون بالعلم متاع الدنيا ويطمعون فى الرئاسه وتحشيد الأتباع، وذلك عبر الدجل والحيله وتقمّص الادعاءات الباطله من دون أن يتحرّجوا فى إضلال الناس. فكان انتشار مثل هذه المعارف التى ظاهرها

متشابه مادّه ومنبعاً يوظّفونه لمآربهم ومصيده لمكايدهم، يلبسون بتعميه تلك المعانى على الناس كي يصطادونهم فى حبالهم. فنشأت بسبب هؤلاء (السفله) فرق منحرفه تزعم الألوهيه والنبوّه، وكان الذى مهّد ذلك هو إذاعه ونشر المجموعه الأولى فهو الذى فتح الطريق أمام المجموعه الثانيه.

ومن ثمّ حذّر الأئمه عليهم السلام عن الانحراف الأوّل وهو إذاعه أسرار المعارف، ولعنوا من يرتكب هذا الانحراف لأنّه الذى يسبّب وقوع الانحراف الثانى وإن لم يكن أصحاب الانحراف هم ممّن يقول بالانحراف الثانى.

كما فى روايه ذريح المحاربى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن جابر الجعفى وما روى؟ فلم يجبنى وأظنه قال: سألته بجمع فلم يجبنى، فسألته الثالثه فقال لى:

يا ذريح دع ذكر جابر فإنّ السفله إذا سمعوا بأحاديثه شنعوا أو قال

أذاعوا(١).

وفى روايه المفضّل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير جابر؟ فقال:

لا تحدّث به السفله فيذيعوه(٢).

وأيضاً فى روايه يونس عن جميل قال: قلت لأبى الحسن عليه السلام أحدثهم بتفسير جابر؟ قال: لا تحدّث به السفله فيويّخوه(٣).

فالطعن عليهم بالغلوّ فى الألوهيه والقول بالنبوّه يرجع إلى عدّه أسباب، كما سيظهر من استقراء جملة من الموارد والحالات وتجميع عدّه من القصاصات والشواهد الآتية استعراضها مفصّلاً ونلخص تلك الأسباب بما يلى:

الأول: أنّ جملة من المعانى للمعارف التى قاموا بإذاعتها وكشفها كانت من الأمر المستصعب الذى يثقل وعيه على قلوب الخاصّه فضلاً عن العامه، لا سيّما فى تلك الأزمان التى لم ترتق بعد ذهنيّه المعرفه عند عموم المؤمنين إلى المستوى

ص: ٢٠٤

١- (١). الكشى / ح ٣٤٠.

٢- (٢). الكشى / ح ٣٣٨.

٣- (٣). البحار ٨ / ٥٠.

العميق العالى. فإنَّ جملة من المعارف الحَقَّه لم تكن فى صدر الإسلام بتلك الدرجه من الوضوح والبداهه، ولكن بفضل جهود أئمه أهل البيت عليهم السلام بعد عصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم استطاعوا أن يوضِّحوها لعقول عموم الأمة ويصل بتلك العقائد إلى درجه البداهه. وذلك نظير تنزّه البارى تعالى عن الجسميه والشبه والمثل، ونفى الجبر والتفويض، وكون الجنه والنار مخلوقتين، وتبيان صفه العدل فى البارى تعالى، وكون القرآن ذا منازل ومواقع غيبيّه، وعصمه الأنبياء والمرسلين وتنزيههم عن الزلل والقبايح، وتبيين كمال الشريعه الإسلاميه ودين الله، وأنَّ لله تعالى فى كل واقعه حكماً وإن جهله العباد ولكن يعلمه المستحفظين للكتاب من الربانيين الأوصياء، وأنَّ الأرض لا تخلو من حجه لله تعالى بعد النبى وهو الإمام الذى تأتبه أخبار السماء وإن لم يكن ذلك وحياً نبوياً ولكنه علم لدنى من الله تعالى ووراثه لعلوم النبى وللكتاب العزيز.

إلّا أنّ جملة من المباحث والمسائل المرتبطه بمعرفه الإمامه أو شؤون نبوه النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن قد تجلّت بوضوح فى تلك الآونه والفتره وإن كانت موادّ وحى كتاب الله العزيز والسنه المطهره حاويه لكل ذلك ولأعماق غزيره من بحور لا تنفذ.

فأبواب المعارف فى ذهنيه عامه أجيال المؤمنين - لا أجيال نخب المؤمنين - فضلاً عن المسلمين قد مرّت بمراحل فى الوعى والفهم والإدراك والتدرّج فى عمق وسعه المعرفه، فجملة من المعارف فى الإمامه ومقاماتها التى تعدّ فى أفق البحث العلمى فى هذه الأعصار من الواضحات وأنها مطابق للموازين والقواعد ومحكمات الكتاب والسنه، ولا يتوهم فيها غلو أو إفراط من القول - لأنها لا- تخرج للمخلوق الذى اصطفاه نبياً أو إماماً عن العبوديه والافتقار إلى البارى تعالى، وإنما هى مقامات عظيمه، إلّا أنّ عظمتها ولو بلغت العرش العظيم فهى مخلوقه قائمه به تعالى ومن فيضه وإنعامه لا تخرج عن حيطة وقدرته وإرادته ومشيتته - لكنّها كان

يتوهم منها في تلك الأزمنة عندما يكشف عنها النقاب أنها من الصفات الألوهيه أو أنها من صفات النبوه الخاصه و ذلك لقصور المستوى العلمى السائد آنذاك.

فمن ثم القول بوجود الأسرار والدقائق فى المعارف وغوامض المسائل العقائديه لا- توجب قدحاً ولا جرحاً، كما قال المحقق الشيخ محمد على الأراكى:

«أما الدراويش فإن كانوا يقولون: إنه علاوه على هذه العلوم الشرعيه المتكفله للواجبات والمستحبات المسطوره فى الدفاتر المنقوله عن الأئمه يكون هنا علوم آخر مأثوره عنهم عليهم السلام فى الأخلاق على سبيل الأسرار والانتقال من صدر إلى صدر ومع ذلك يعتقدون بصحة ما بأيدينا من الأخبار ويعملون بواجباتها ومستحباتها وغير ذلك وأن الجاهل لابد وأن يقامد عن العالم فلا يكون وجه لكفرهم ونجاستهم ... وبالجملة فحال هذه الطائفة حينئذٍ مثل ما لو ادعى أحد وجدانه بعضاً من الأصول الأربعمائه المفقوده إلى هذا الزمان ورأى فيه ذكراً لم يكن يعرفه أحد إلى اليوم فدعوى هذه الطائفة أيضاً راجعه إلى أنا وجدنا من الأئمه شيئاً ما وجدتموه وهذا لا يوجب الكفر وإن كان دعواهم كاذبه»(١).

وكلامه قدس سره إنما هو حول فرق الصوفيه التى انحدرت انحرافاً أكثر من الفرق الباطنيه، التى هى منحدره ومنحرفه أكثر من الرواه المطعون عليهم بالغلو الذين اعتراهم الزيغ فى إفشاء غوامض ودقائق المعرفه لعامة الناس الذين ينطبع لديهم الحقائق الدقيقه بشكل مقلوب وبنحو معكوس عن واقعيتها فيؤدى للانحراف بدل الهدايه ويتسع الزيغ بدل الاستقامه، فإذا كان الحكم الفقهي حول الدراويش الصوفيه ذلك فكيف الحال بالرواه المطعون عليهم بالغلو الذين شطّ بهم الإفشاء لدقائق المسائل.

ومما يقرب هذه الحقيقه أنك تشهد فى العصر الراهن رغم ما وصلت إليه

ص: ٢٠٦

الأبحاث العلميه من عمق وسعه وبسط وتبيين، سواء فى المباحث العقليه أو الكلاميه أو بحوث التفسير والحديث، إلّا أنّ جملة من علماء أهل سنه جماعه الخلافه لا يستوضحون العلم اللدنى فى الشخص الذى يختاره الله إماماً لعباده، كما لا يستوضحون تحديث ملائكه لمريم ولا يستوضحون بسط الله العلم لطالوت وبعثه الله له ملكاً إماماً لا بعثه نبوّه، ولا إيتاء الله الحكمة للقمان، ولا- تمكين الله عزوجل الأسباب لذى القرنين، ولا- وراثه علم الكتاب لآصف بن برخيا مما يعطيه القدره التكوينية على جلب عرش بلقيس فى لحظه من اليمن إلى فلسطين.

فهذه المواقع وغيرها من مناصب الإمامه لا تكاد تجد لها ترجمه فى عقائد المذاهب الإسلاميه عدا مدرسه ومنهاج أهل البيت عليهم السلام .

ومن ثم ترى أنّ النظره عند علماء المذاهب العامه إلى مثل هذا الارتباط اللدنى الغيبى، أنّ مثل هذه المقامات هى نمط من النبوه وأنّ القول بثبوتها لأئمه أهل البيت هو غلوّ فى توصيفهم بالنبوه، رغم أنّ القرآن أكّد أنّ هذه المقامات ثابتة لئله من مصطفىين غير أنبياء بل أئمه وحجج. فكيف تتوقّع مستوى النظره عند علماء العامه فى القرن الأول والثانى إلى مثل هذه المعارف والأمر، ومن ثمّ فإنّ الطعن من قبل العامه على جملة من الرواه المتقدمين بالغلو والقول بالألوهيه أو النبوه فى أئمه أهل البيت هو ناشىء من هذه المفارقة والتباين فى أسس المعرفه وقصورهم عن إدراك مثل هذه المباحث فبدأ الطعن منهم إلى أن تفشى فى وسط الخاصّه.

ومن ذلك أيضاً ما رواه سليم بن قيس من قول عمر لسلمان وأمثاله: إنكم اتخذتم أهل هذا البيت أرباباً من دون الله. وكذلك ما روى من قول هشام بن عبد الملك لبطانتة فى المسجد الحرام عندما سئل عن احتفاء الناس بالباقر عليه السلام قال: إنّه نبي أهل الكوفه.

وفى هذين المقالين دلالة على عدم تحمّل خصوم أهل البيت عليهم السلام فضائلهم ومقاماتهم وتعاضمها لديهم أن تسند إلى أهل البيت وأنها من قبيل أفعال والصفات الربويّة.

الثانى: أنه قد ساعد على رواج هذا الطعن تداعى الانطباع الخاطيء لدى جملة من أهل الفضل من الخاصّة فضلاً عن العوام كما مرّ بيانه.

الثالث: أنّ السفله وهو اصطلاح خاصّ فى روايات أهل البيت ويراد به المستأكلين بالعلم والانتهازيين ذوى النصب والحيل قد اغتتموا الفرصه ووجود الإيهام والتشابه فى التأويل ليحتالوا فى حشد الأتباع ونيل الأطماع بترويج المعنى والتأويل الباطل لهذه المعارف.

مضافاً إلى أنّهم أنفسهم لم يقفوا على حقائق تأويل تلك المعارف، وقد مرّ بسط الكلام فيهم فى الفصل الرابع.

الرابع: أنّ نشر هذه المعارف كان يثير حفيظه سلطات الوقت من خلفاء بنى أميه أو بنى العباس، بل كان يثير عموم العامه من أتباع الخلافة. وذلك لأنّ القول بمثل هذه المقامات لأئمة أهل البيت يدلّ بالالتزام ويبرهن بالبيان على إدانه الطرف الآخر وإثبات غصبه للخلافه لأنّها تبين أجدرية أهل البيت واستحقاقهم لإمامه المسلمين وقيادتهم، فما كان من الطرف الآخر إلّا اتخاذ أسلوب الطعن فى مواجهه مثل هذه المعارضه الثقافيه والمعارضه السياسيه المبطنه، ومن ثم كان يهّمهم أن يشدّدوا فى الطعن ويشيعوه بكثافه كتحصين وقائى عن تأثيراته السلبيه عليهم.

فالدواعى السياسيه لترويج هذا الطعن مشهوده بوضوح وسند ذكر جملة من نمط هذه الطعون بعينها قد أبداه الحكّام آنذاك على عموم أتباع أهل البيت عليهم السلام .

ومن أمثله ذلك ما ذكره ابن مسكويه فى تجارب الأمم:

«أمّا المغيره بن سعيد فكان يتشيع ثمّ نسبت إليه أمور شنيعه فيها تزويد

الخامس: أنّ الرموز المهمّة من هذه المجموعه من الرواه كما سيأتى كانت تتبنّى الثوره السياسيه وتصعيد المعارضه المسلّحه فى مواجهه النظام الأموى والعباسى رغم أنّ الظروف لم تكن مؤهله ولا مؤاتيه، لكنّهم كانت لديهم اندفاع وتسرع شديد فى هذا المجال. و هذا ممّا يقلق النظام الأموى والعباسى ويدفعهما إلى الطعن والتسقيط لهذه الرموز كى لا يفتح على النظام الباب الذى لا يمكن سدّه بعد ذلك.

وكان هذا الفعل منهم يفتح الباب أيضاً على أئمه أهل البيت بإثارة سلطات بنى أميه وبنى عباس ضدّهم ويوجب الإرباك البالغ فى الوضع الأمنى، فكان موقفهم عليهم السلام فى حرج شديد من ذلك وكان لابد عليهم من تبرئه ساحتهم عن مواقف هؤلاء ونسبتهم إليهم.

لا سيما أنه كما سيأتى أنّ المغيره بن سعيد قد أعلن الثوره المسلّحه والتصعيد السياسى ضدّ نظام بنى أميه فى الكوفه قبل ثوره زيد بن على رضى الله عنه بستين أى فى سنه ١١٩ هـ كما ذكر ذلك الطبرى وثوره زيد بن على رضى الله عنه كانت فى سنه ١٢١ هـ .

تلخيص وتقيب

ظهر ممّا ذكرنا أنّ انحراف من طعن عليهم بالغلو لا سيما رواد بعض هذه التيارات والفرق وما سبب انحراف أتباعهم ممّا أدّى إلى الوقوع فى بعض المخاطر المهوله ليس كما يزعم فى معتقدتهم بأنّهم كانوا يرفعون الأئمه عليهم السلام فوق شأنهم أو أنّهم كانوا يدسّون فى الأحاديث بما لم يتفوه به الإمام عليه السلام وغير ذلك ممّا قد يسجّل فى ملفّهم من مؤاخذات قاسيه، وقد يستظهر ذلك من بعض

ص: ٢٠٩

الأحاديث، لكنها ناشئة عن قله التدبر والفحص في الروايات والشواهد التاريخية.

فقد روى الصدوق عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» قال: هم سبعة المغيرة وبيان وصائد وحمزه بن عماره البربري والحارث الشامي وعبد الله بن الحارث وأبو الخطاب (1).

قال العلامة المجلسي رحمه الله: المغيرة وهو ابن سعيد من الغلاة المشهورين وقد وردت أخبار كثيرة في لعنه وسيأتي بعضها. وبيان في بعض النسخ بالباء الموحدة ثم المثناة وفي بعضها ثم النون وهو الذي ذكره الكشي بالنون وروى بإسناده عن زراره عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: لعن الله بنان البيان، وإن بنانا لعنه الله كان يكذب على أبي أشهد كان أبي علي بن الحسين عليهم السلام عبداً صالحاً.

أقول: قال مؤلف كتاب ميزان الاعتدال من علماء المخالفين: بيان الزنديق قال ابن نمير: قتله خالد بن عبد الله القسري وأحرقه بالنار. قلت: هذا بيان بن سمعان النهدي من بني تميم ظهر بالعراق بعد المائة وقال يألوهي على عليه السلام وأنه جزءاً إلهياً متحد بناسوته، ثم من بعده في ابنه محمد بن الحنفية ثم في أبي هاشم ولد محمد بن الحنفية ثم من بعده في بيان هذا وكتب بيان كتاباً إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام يدعوه إلى نفسه وأنه نبي. انتهى كلامه (ميزان الاعتدال).

والصائد هو النهدي الذي لعنه الصادق عليه السلام مراراً وحمزه من الكذابين الملعونين وسيأتي لعنه. وكذا الحارث وابنه وأبو الخطاب محمد بن أبي زينب ملعونون على لسان الأئمة عليهم السلام وسيأتي بعض أحوالهم (2) انتهى كلام العلامة المجلسي رفع مقامه.

أقول: وسيأتي توضيح أن انحراف هؤلاء ليس في ادعاء الألوهية لعلی أو

ص: ٢١٠

١- (١). بحار الأنوار ٢٥ / ٢٧٠ .

٢- (٢). بحار الأنوار ٢٣ / ٢٧٠ و ٢٧١ .

النبوه فى الأئمه أو لأنفسهم كما طعن عليهم بذلك بل هو انحراف آخر سنسبط الكلام فيه.

ومن جمله هؤلاء الذين طعن عليهم بالغلو وادعاء النبوه وغيرها هم:

مسيلمه الكذاب، وعبد الله بن سبأ، والحارث الشامى والمختار وبيان وحزمه بن عماره البربرى والمغيره بن سعيد وبزيع والسرى وأبو الخطاب ومعمربشار الشعيرى وصائد النهدى وأبو منصور العجلى ومحمد بن فرات وعلى بن حسكه.

ونحن وإن لم نكن فى صدد تبرئه هذه الجماعات، إلّا أنّ المهم هو الالتفات إلى مركز الانحراف وأنه ليس فى الجعل أو الإفراط عن الحدّ أو بطلان المعتقد وغيرها ممّا تمسّ حجّيه مروياتهم بسوء، بل الانحراف إنما حدث فى أمور أخرى، وهذه وإن أحدثت مزقات ومهلكات عظيمه هائله جداً لا سيّما فى الأجيال اللاحقه من تلك الفرق والجماعات، إلّا أنّ ذلك ليس ممّا يسلب وصف الحجّيه عن مروياتهم فيما يوافق أصول المذهب رغم إيجابيات عديده فى رواد هذه الفرق والتيارات ممّا أثر فى حيويّه المذهب وسيره إلى القدام. فإنّ بجهود بعض هذه الجماعات تبدّدت بعض معالم أهل البيت عليهم السلام ولولاه لاندست ووقعت فى بوتقه النسيان بجهود أتباع السلطه الأمويه والعباسيه؛ مع أنّ هناك شريحه أخرى وهى ما نعبر عنه برواه المعارف الذين خاضوا فى لباب معارف أهل البيت عليهم السلام وسلموا من الانحرافات التى وقع التيار الأوّل فيه وهؤلاء وإن لم يسلموا من طعن وجرح بعض المدارس الفكرية الذين لا يتحمّلون تلك الأسرار والمعارف إلّا أنّه رغم ذلك سلموا من مزقات الفريق الأوّل.

وقد مرّ فى الفصول السابقه أن من جمله سلبات هذه الفرق والجماعات:

١ - أنّهم كانوا يذيعون ويفشون بعض المعارف الغامضه التى لا يتحمّلها الأوساط الشيعيه العامه فضلاً عن الأوساط العامه. وقد سبّب هذه الإذاعه انحراف عدد كبير من الذين لا يعون ولا يحيطون علمها كما استغلّ هذه المعارف المذيعه

السفله (أهل النصب والحيله والدجله) فجعلوها قنطره للوصول إلى أغراضهم الدينيه السافله.

٢ - أنهم كانوا من المتطرفين فى الاندفاع السياسى وقد يعبر عنهم بالمستعجلين، و هذا الإفراط والتطرف السياسى جعل أرباب السلطه يتسرع ويجهد فى محو وإباده المذهب.

٣ - قد يشاهد فى سلوكهم بعض الشذوذات الفقيهه المسببه عن تهاونهم بظاهر الشريعه اغتراراً بأهميته الباطن.

٤ - تركهم التقية التى أمروا بحفظها.

وغيرها من المؤاخذات التى سجلنا عليهم وأن أصحاب رواه المعارف قد سلموا من الوقوع فى هذه المهالك.

وقد مرّ أنّ للكذب والغلو معانٍ واصطلاحات فى روايات أهل البيت عليهم السلام ليس بمعنى فساد المعتقد أو القول بخلاف الواقع، كما مرّ أنّ من أعظم أسباب جرح هؤلاء الرواه هو فى إذاعه هؤلاء بعض الأسرار ممّا لا يتحملها الآخرون، فإنّ الرواه والأصحاب بل المؤمنين على درجات ومستويات مختلفه فسلمان وأبو ذر رغم كونهما من الثله العاليه والمتقدمين فى الإيمان إلماً أنّ هناك معارف وأسرار يعيها سلمان ولا يعيها أبو ذر. وقد مرّ التأكيد على لزوم التفرقة والتفكيك بين رواد الجماعات المطعونه عليهم بالغلو وبين أتباعهم لا سيما فى الأجيال اللاحقه فإنّ جمله من الانحرافات قد حدث عند الأتباع بسبب عدم التحمل وعدم الوعى لما ذكره رواد هذه الفرق.

وقد عقدنا هذا الفصل لكى نرصد ونعقب سلوكيات هذه الفرق والجماعات ممّا يدعم ويبرهن ما مرّ فى الفصول السابقه.

فإنه يظهر اثارات جديده و نقاط دقيقه في دراسه ما ذكر و روى في سلوك المتهمين بالغلو، فقد ذكرها تبعاً:

١ - مكاتبه الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر في تبرئه الخطايه وتبيين أحوالهم

وهذه المكاتبه تشهد على أنّ انحراف رواه المعارف هو في إذاعتهم أسرار المعارف، مما لا يتحملها ولا يعي حقائقها الآخرون ويحزّونها عن حقائقها، مع أنّ تلك المعاني ليست كما يتأولها الآخرون بإيهاام غلوّ وتأليه؛ كما أنّ فيها بياناً لجمله من الأمور التي لم يفهم حقيقتها الآخرون ممّا سبّب تتابع الافتراءات عليهم، ويظهر منها أنّهم كانوا ذوى باع في أصول المذهب والفقّه مما أوقفهم على بعض التخريجات الفقهيّه التي لا يهتدى إليها آخرون.

وقد رواه سعد بن عبد الله الأشعري كما في المختصر للحسن بن سليمان الحلّي عن القاسم بن ربيع الوردّاق ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن سنان عن صباح المدائني عن المفضل بن عمر أنّه كتب إلى أبي عبد الله عليه السلام (١).

ورواه الصّفار في بصائر الدرجات عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن القاسم

بن ربيع الوراق. ورواه في البحار عن بصائر الدرجات (١).

وأخرجه صاحب الوسائل عن كتاب بصائر لسعد بن عبد الله (٢) وقال بعد ذلك ورواه الصفار في بصائر الدرجات الكبير عن القاسم بن الربيع.

ونصّ المكاتبه:

أنّه كتب المفضّل إلى أبي عبد الله عليه السلام يسأله عن قوم يعرفهم الإمام عليه السلام وكان يعجب المفضّل نحوهم وشأنهم، وأنّ المفضّل أبلغ عنهم أموراً تروى عنهم كرهها المفضّل لهم. مع أنّ المفضّل لم ير بهم إلاّ هدياً حسناً وورعاً وتخشعاً.

والظاهر أنّ مراد المفضّل من هؤلاء القوم هو ابن أبي زينب المقلّص وخاصّته لا جميع من انتسب إلى الخطّابيه.

فبدأ عليه السلام بجواب المفضّل عن أسئلته ويفسّر له ما التبس عليه من أمر هذه الجماعه ومقالاتهم، مع أنّ مقالاتهم في بدو النظر ينطبع منها في الأذهان غير حدودها الحقيقيه، أي ينطبع منها الغلو والافراط من التأليه ونحوه واستحلال المحرّمات والتهتك للدين مع أنّ حقائقها هي على غير هذا الوجه.

الطعون الواردة عليهم مما أثار إعجاب المفضل

فقال عليه السلام :

كتبت تذكر أنّ قوماً أنا أعرفهم كان أعجبك نحوهم وشأنهم وأنّك أبلغت عنهم أموراً تروى عنهم كرهتها لهم، ولم تر بهم إلاّ طريقاً هدياً حسناً وورعاً وتخشعاً، وبلغك أنهم يزعمون أنّ الدين إنّما هو معرفه الرجال ثمّ بعد ذلك إذا عرفتهم فاعمل ما شئت، وذكّرت أنّك قد عرفت أنّ أصل الدين معرفه الرجال فوفّقك الله، وذكّرت أنّهم يزعمون أنّ الصلاه والزكاه وصوم شهر رمضان والحج والعمره والمسجد الحرام و البيت الحرام

ص: ٢١٤

١- (١) . بحار الأنوار ٢٤ / ٢٨٦ .

٢- (٢) . سعد بن عبد الله عن القاسم بن الربيع ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب ومحمد بن سنان عن صباح المدائني عن المفضّل. (وسائل / أبواب المتعه / ب ٢٣ / ح ٥) .

والمشعر الحرام والشهر الحرام هم رجال (هو رجل) (١)، وأن الطهر والاعتسال من الجنابه

هو رجل، وكل فريضه افترض الله على عباده هو رجل، وأنهم ذكروا ذلك بزعمهم أن من عرف ذلك الرجل فقد اكتفى بعلمه به من غير عمل وقد صلى وآتى الزكاه وصام وحج واعتمر واغتسل من الجنابه وتطهر وعظم حرمة الله والشهر الحرام والمسجد الحرام، وأنهم ذكروا أن من عرف هذا بعينه وبحدّه وثبت في قلبه جاز له أن يتهاون، فليس له أن يجتهد في العمل. وزعموا أنهم إذا عرفوا ذلك الرجل فقد قبلت منهم هذه الحدود لوقتها وإن لم يعملوا بها.

وأنه بلغك أنهم يزعمون الفواحش التي نهى الله عنها الخمر والميسر والربا والدم والميته ولحم الخنزير هو رجل (هم رجال)، وذكروا أن ما حرّم الله من نكاح الأمهات والبنات والعمّات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت وما حرّم على المؤمنين من النساء ممّا حرّم الله إنّما عنى بذلك نكاح نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما سوى ذلك مباح كلّ، وذكرت أنه بلغك أنهم يترادفون على المرأة الواحدة، ويشهدون بعضهم لبعض بالزور، ويزعمون أن لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه فالظاهر ما يتناهون عنه يأخذون به مدافعه عنهم والباطن هو الذي يطلبون وبه أمروا بزعمهم. وكتبت تذكر الذي عظم ذلك عليك، وكتبت تسألني عن قولهم في ذلك أهو حلالاً أو حرام، وكتبت تسألني عن تفسير ذلك وأنا أئبته حتى لا تكون من ذلك في عمى ولا في شبهه.

تمييز الإمام بين الحق من كلامهم والباطل وبيان أساس الانحراف

ثم أضاف عليه السلام :

وقد كتبت إليك في كتابي هذا تفسير ما سألت عنه فاحفظه كلّ كما قال الله في كتابه: « وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعْيَةٌ »

وأصفه لك بحلاله وأنفى عنك حرامه، كما وصفت ومعرّفك حتى تعرفه إن شاء الله فلا تنكره إن شاء الله ولا قوه إلّا بالله والقوه لله جميعاً.

أخبرك أنه من كان يدين بهذه الصفة التي كتبت تسألني عنها فهو عندي مشرك بالله

ص: ٢١٥

بَيْنَ الشَّرْكَ لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَخْبَرَكَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ سَمِعُوهُ مَا لَمْ يَعْقِلُوهُ عَنْ أَهْلِهِ وَلَمْ يَعْطُوا فَهْمَ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْرِفُوا حَدَّ مَا سَمِعُوا فَوَضَعُوا حُدُودَ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ مَقَايسَهُ بِرَأْيِهِمْ وَمُنْتَهَى عَقُولِهِمْ، وَلَمْ يَضَعُوهَا عَلَى حُدُودِ مَا أَمَرُوا كَذِبًا وَافْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَرَأَهُ عَلَى الْمَعَاصِي، وَكَفَى بِهِذَا لَهُمْ جَهْلًا. وَلَوْ أَنَّهُمْ وَضَعُوهَا عَلَى حُدُودِهَا الَّتِي حُدَّتْ لَهُمْ وَقَبِلُوهَا لَمْ يَكُنْ بِهِ بَأْسٌ، وَلَكِنَّهُمْ حَزَفُوهَا وَتَعَدَّوْا]

تَعَدَّوْا الْحَقَّ] (١)

وَكَذَبُوا وَتَهَاوَنُوا بِأَمْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ،

وَلَكِنِّي أَخْبَرَكَ أَنَّ اللَّهَ حَدَّهَا بِحُدُودِهَا لِئَلَّا يَتَعَدَّى حُدُودَهُ أَحَدٌ. وَ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرُوا لَعَذَرَ النَّاسَ بِجَهْلِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا حَدَّ مَا حَدَّ لَهُمْ، وَلَكَانَ الْمَقْصِيرُ وَالْمَتَعَدِّي حُدُودَ اللَّهِ مَعْذُورًا وَلَكِنْ جَعَلَهَا حُدُودًا مَحْدُودَةً لَا يَتَعَدَّاهَا إِلَّا الْمُشْرِكُ كَافِرٌ ثُمَّ قَالَ: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

أقول: فبين عليه السلام أن القول في أصله حق وأنهم قد سمعوه من مصدر الحق فقله عليه السلام :

أصفه لك بحلاله أى معناه الصحيح والتي لا تنافى صفات المخلوق وشؤونه ولا حدود التشريع كما أن قوله:

أنفى عنك حرامه أى تبيانه عليه السلام للمعنى الخاطيء لهذه الصفات والشؤون، كما أن قوله عليه السلام :

ومعرفك فلا تنكره أى أن أصول ما يرويه هؤلاء هى حقائق مرويه عنهم عليهم السلام من أسرار المعارف ولكن أنكرها جمهور الناس لعدم وعيهم وعمق بصيرتهم بحقائق تأويل هذه المعانى؛ إلّا أن الانحراف ناشىء من سببين أو على نمطين:

الأول: الفهم الخاطيء وعدم المعرفة بحقيقه المراد من قبيل العوام.

الثانى: الانطباع الخاطيء لدى عامه المخالفين من ممارسات وسلوك جملة ممن أخذ وعمل بهذه الأقوال.

وهذان النمطان هما اللذان مرّت الإشارة إلى وقوعهما بسبب إذاعه ونشر وإعلان رواه أسرار المعارف لهذه المرويّات، فإنّ معانيها الثقيله أو قواعد تشريعها

ص: ٢١٦

١- (١). فى المختصر.

مما تنفر منها العقول والأفهام لغموضها وإبهامها عليها، هذا بلحاظ أمور المعارف الاعتقادية، أو تنفر الطباع المجبولة على الأعراف المعتادة لغرابه تلك التشريعات وغموض تخريج وجهها الشرعى لديها فتستوحش منها وتستنكرها.

ثم بين عليه السلام نماذج عديده لهذين النمطين، وأن الإذاعه لمثل هذه المعارف والأمر وكشف تلك الأسرار العلميه وإفشائها ينجز إلى نشوء هذه الانحرافات، ومن ثم يستحق المذيع والكاشف لها اللعن والبراءه وتكذيبه فيما تسبب من إيصال معنى خاطيء منحرف فى أذهان العوام وعامة المخالفين، حيث ينجم من ذلك شيوع وانتشار تيار ينتهج التحريف والتعدى عن الحدود الإلهية بتخييل أنها حقائق الدين الخفية.

وقد عدّد المفضّل جملة من الأمور الملتبسه التي رآها فى تيار بعض الجماعات التي تنتمى إلى بعض رواه أسرار المعارف وهى جملة أمور:

زعمهم أنّ الدين إنّما هو معرفه الرجال وأنه إذا عرفتهم فاعمل ما شئت.

أنهم يزعمون أنّ الصلاة والزكاه وصوم شهر رمضان والحج والعمره والمسجد الحرام و البيت الحرام والمشعر الحرام هم رجال، وأنّ الطهر والاعتسال عن الجنابه هو رجل وكذا كل فريضه افترض الله على عباده هو رجل، وأنّ من عرفهم فقد اكتفى بعلمه من غير عمل أى إذا عرفه بعينه وحده وثبت له فى قلبه جاز له أن يتهاون.

وزعموا أنّ الفواحش التي نهى الله عنها هم رجال.

وزعموا ما حرّم الله من نكاح الأمهات والبنات والعمّات وغيرها من أصناف النساء إنّما عنى بذلك نكاح نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما سوى ذلك مباح كلّه.

أنّهم يترادفون المرأه الواحده.

ويشهد بعضهم لبعض بالزور.

يزعمون أنّ لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه، فالظاهر يتهاون عنه ليدفعوا عن

أنفسهم طعن الآخرين والباطن هو الذى يطالبون ويأمرون به.

ثم أنه أردف المفضل أنّ هؤلاء رغم ما بلغه عنهم من هذه الأمور فإنه لم ير بهم إلا طريقاً هدياً حسناً وورعاً وتخشعاً، وهذا الذى زاد فى استغرابه وتعجبه فى شأنهم. ورغم كل هذا الاستعجاب والاستنكار وتعاضمه عليه طلب من الإمام عليه السلام تفسير ذلك له، وهو عليه السلام لم يرفض وجود تفسير لذلك، رغم أنهم خلطوا معانى محرّفة مع ما سمعوه من حقائق غامضة.

ثم أخذ عليه السلام فى توضيح واحد واحد من هذه الأمور.

نسبه القول بكفايه العقيدة عن العمل إليهم وتفسير الإمام عليه السلام لها

أما المحور الأول والثانى: فقال عليه السلام :

فأخبرك بحقائقها إنّ الله تبارك وتعالى اختار الإسلام لنفسه ديناً ورضى من خلقه ...

وقد بسط الإمام عليه السلام الكلام فى هذين المحورين مما يقرب من خمس صفحات.

ونلخص ما قاله عليه السلام فى تفسير هذه الأمور حيث إنّه عليه السلام بسط البيان فى ذلك لنلّا يقع الالتباس فى دقائق هذه المعانى وغوامض هذه المعارف وملخصه:

أنّ الله تبارك وتعالى اختار الإسلام لنفسه ديناً ورضيه من خلقه، فلم يقبل من أحد إلاّ به، وبه بعث أنبياءه ورسله ونبّيه محمد عليه السلام . فأصل الدين [أفضل الدين] معرفه الرسل وولايتهم وطاعتهم، وهى أصل الحلال الذى أحله الله وفروع الحلال ما أحلّوه والمحرّم ما حرّموه. فأمرُوا شيعتهم وأهل ولايتهم بإقامه الصلاه وإيتاء الزكاه وصوم شهر رمضان وحجّ البيت والعمرة وتعظيم حرّمات الله والمشاعر و البيت الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام والطهور ومكارم الأخلاق ومحاسنها وجميع البر.

وعدّوهم أصل الحرام المحرّم والشّرّ وأصل كلّ شرّ، ومن عدّوهم تفرّع فروع الشّرّ والحرام كلّها، حيث استحلّوا كلّ حرام من تكذيب الأنبياء وجحود

الأوصياء وركوب الفواحش الزنا والسرقه وشرب الخمر والمسكر وأكل مال اليتيم والربا والخذعه والخيانه وركوب الحرام كلها وانتهاك المعاصى. فشيوع كل هذه المحرمات كأعراف وسنن سيئه فى الأمم والقرون سببها وأصلها رجال بثوها وجذروها فى عادات الناس، فهم أصل كل حرام وولايتهم كعباده وثن، فإنهم مجمع الرذائل ومنهم انتشرت فى الناس، كالعذوى التى تصيب الأصحاء مما هو أصل المرض فهم منبع ومجسمه كل الرذائل والمحرمات.

وفى الطرف المقابل الأنبياء والرسل والأوصياء هم منبع الفضائل ومجسمه الفضل، ومن روائجهم الطيبه انتشر عبق الطيب فى باقى الناس، فهم أصل الدين واليقين والإيمان، وهو الإمام المنسوب من الله للهدى، فمن عرفه عرف الله ودينه ومن أنكره أنكر الله ودينه ومن جهله جهل الله ودينه، ولا يعرف الله ودينه وحدوده وشرايعه بغيره. فمن ثم كانت معرفه الرجال دين الله. فكل عبادته وعمل صالح يعرف بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولولا معرفته والإيمان به والتسليم له ما عرف ذلك كله ولم يعرف شيئاً من هذا، وهو الذى دعا إلى كل ذلك ودل عليه، وعرف البشر وأمرهم به فأوجب الله للنبي على العباد الطاعه فلا يسعهم جهل من هو فيما بينهم وبين الله، وهو الذى أتاهم بالدين. فكيف يكون الدين غيره؟ وكيف لا يكون الدين معرفه ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ وإنما ينكر الدين بإنكار ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتكذيب به، فعرف الله تبارك وتعالى بأنبيائه ورسله وأوصيائهم وأطيع بطاعتهم وهم السبيل إليه والوجه الذى منه يؤتى إليه تعالى كما قال تعالى: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا».

فالفرائض كلها فريضه واحده وهى طاعه هذا الرجل ومعرفته، فلا تغنى شهاده أن لا إله إلا الله بترك شهاده أن محمداً رسول الله، ولا يقبل الله من العباد العمل بالفرائض على حدودها إلا مع معرفه من جاءهم به من عنده ودعاهم إليه.

ولم يبعث الله نبياً قط يدعو إلى معرفه ليس معها طاعه فى أمر ونهى، أمر

بالبر والعدل والمكارم ومحاسن الأخلاق والأعمال، ونهى عن الفحشاء ما ظهر منها وما بطن.

وبيان هذا المقطع الأخير من كلامه أنه إنما يقبل الله تعالى بقتية الطاعات من الصلاة والصوم والزكاة والحج والبر إذا كان طاعه لله تعالى، ولا تكون طاعه لله إلا بامتثال أوامره المتعلقة بذلك الفعل، بأن يكون إتيان الفعل خضوعاً وانقياداً لتلك الأوامر المتعلقة بذلك الفعل. وأوامره إنما وصلت إلينا عبر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يمكن إطاعتها إلا بإطاعه رسوله. كما أنّ بنود طاعته تعالى قد فصّلتها في كتابه بأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم أى ضمن ثلاث فصول فلا تتم طاعته تعالى إلا بطاعه رسوله وطاعه أولى الأمر من أوصيائه من أهل بيته، مع ما تقدّم من أنّ أوامر الله التى هى عبارته عن الفرائض فى قبال سنن النبى ومنهاج أوصيائه تلك الفرائض لم تصل إلينا إلا عبر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

فلا تتحقّق طاعه الله إلا بطاعه رسوله، لأنّه المؤدّى عن الله فرائضه وأوامره.

فكلّ أبواب العبادات والبرّ والإحسان هى فى المرتبه الأولى طاعه لله ولرسوله، وفى المرتبه الثانيه هى إتيان للصلاه والصوم والحج والزكاة وبقية الفرائض والبرّ.

فهذه الأعمال من حيث الصورة لها هذه الأسماء، ومن حيث اللبّ فهى طاعه لله ورسوله ولأولى الأمر من أوصيائه، فهناك صلاه ظاهره وهناك لبّ للصلاه وهى الطاعه، كما ذكر ذلك الفقهاء أنّ روح العباده التيه والتيه ليست إلّا قصد إتيان الصلاه والزكاة والصوم والحجّ امتثالاً وطاعه لأمر الله وأمر رسوله وأمر أولى الأمر، لأنّ تلك الأعمال عبارته عن مجموعه من الفرائض وسنن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسنن أوصيائه عليهم السلام فلا يمكن تحقّق عبادتيه تلك العبادات إلا بقصد امتثال وطاعه أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر أوصيائه عليهم السلام . كما لا يمكن طاعه الله ورسوله وأولى الأمر من أوصيائه إلا بإتيان الصلاه الظاهره والصوم والحج والعمره والزكاة، والاجتناب عن جميع حرّمات الله، فمن زعم أنّه إذا عرف الله ورسوله وأولى الأمر من قبله

اكتفى بغير طاعه فقد كذب وأشرك ولم يعرف ولم يطع.

وإنما قيل: اعرف واعمل ما شئت من الخير فإنه لا يقبل عمل بغير معرفه، فإذا عرفت فاعمل لنفسك ما شئت من العمل قلّ أو كثر فإنه مقبول. فمن صلّى وزكّى وحجّ واعتمر وفعل ذلك كلّ بغير معرفه من افتراض الله عليه طاعته، لم يصلّ ولم يصم ولم يزكّ ولم يحجّ ولم يعتمر ولم يغتسل من الجنابه ولم يتطهّر ولم يحرم لله حراماً ولم يحلل لله حلالاً وإن ركع أو سجد وأخرج ماله، وذلك لأنه لم يأت بما هو العماد لذوات تلك العبادات وهو الطاعه لله ولرسوله ولأولى الأمر من أوليائه.

ونظيره ما روى الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قيل له: إنّ أبا الخطاب يذكر عنك أنك قلت له: إذا عرفت الحقّ فاعمل ما شئت.

فقال:

لعن الله أبا الخطاب و الله ما قلت له هكذا ولكني قلت له: إذا عرفت الحقّ فاعمل ما شئت من الخير يقبل منك (١).

و هذا النصّ يشهد على ما ذكرناه من أنّ المكاتبه إنّما هي بصدد تبين مواقف وآراء الخطّابيه.

ويستفاد من تفسيره عليه السلام :

أولاً: أنّ سبب المعنى الانحرافى المتفشى عند أوساط الفرق الباطنيه كالخطّابيه والمغيريه هو سوء فهمهم وخطأ تفسيرهم واشتباه تأويلهم لغوامض المعارف وأسرارها.

ثانياً: إنّ المتتبع والمتقصّي لجملة الروايات الوارده فى هذه القاعده المعرفيه، من أنّهم عليهم السلام حقائق الطاعات وأعدائهم حقائق المعاصى والفواحش، يلاحظ أنّ أصل بدء انتشار هذه القاعده قد كان من أبى الخطاب حيث إنّّه قد قام

ص: ٢٢١

بروايه ذلك عن الصادق عليه السلام ولم تكن هذه الروايه قد برزت إلى أحد من الرواه، وإن أبا الخطاب وإن أساء فهمها وأخطأ في تأويلها إلا أنه هو الذى تصدّر روايتها عنه عليه السلام ومن ثم قام بقيه الرواه بالمساءله والاستفسار عن ذلك - وقد جمع المجلسى فى البحار(1) فى هذا الباب سبعة عشر روايه - وهذا مؤشّر مهمّ على أنّ ما يرويه جمله من رؤساء الفرق الباطنيه ممّن كانت لهم فتره استقامه لها أصول صحيحه سديده ومعرفيه غامضه، يخفى فهمها ويدقّ معناها على كثير من أهل العلوم والروايه من الرواه فضلاً عن عامّه الناس. وهذا ما يسبّب الإرباك وتولّد التيارات المنحرفه بسبب ذلك وأنّه لأجل ذلك كانت الإذاعه والإفشاء والنشر فى العلن لها سبباً للانحراف وللكذب على أئمه أهل البيت عليهم السلام من قبل من يقوم بالإفشاء والإذاعه.

ثالثاً: أنّ جمله من رواه أسرار المعارف وغوامض المعانى عندما وقفوا على بواطن المعانى وخفايا التأويل، لم يدركوا ولم يتفطنوا لكيفيه الجمع بينها وبين حدود المعانى الظاهره، وهذا كان منشأ الانحراف وإلى هذا يشير الإمام الصادق عليه السلام فى جمله من الروايات كما فى روايه بصائر الدرجات فى صحيح هشام عن الهيثم التميمى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

يا هيثم التميمى إنّ قوماً آمنوا بالظاهر و كفروا بالباطن فلم ينفعهم شىء، وجاء قوم من بعدهم فأمنوا بالباطن و كفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهر إلا بباطن ولا بباطن إلا بظاهر.

وروى الكشى عن حمدويه، قال: حدّثنى محمد بن عيسى عن يونس بن عبد الرحمن عن بشير الدهان عن أبى عبد الله عليه السلام قال: كتب أبو عبد الله عليه السلام إلى أبى الخطاب:

بلغنى أنّك تزعم أنّ الزنا رجل وأنّ الخمر رجل وأنّ الصلاه رجل والصيام رجل والفواحش رجل وليس هو كما تقول، أنا أصل الحق وفروع الحق طاعه الله وعدونا

ص: ٢٢٢

أصل الشر وفروعهم الفواحش وكيف يطاع من لا يعرف وكيف يعرف من لا يطاع؟(١).

أقول: فإنّ هذا يدعم أنّهم تلقّوا جملة من المعارف لكنهم حرّفوها عن حقائقها ومن ثمّ وصف في بعض الروايات أنّ أبا الخطاب أحقّ كان لا يحفظ ويزيد من عنده.

فقد روى الكشي عن محمد بن مسعود قال: حدّثني جبريل بن أحمد قال:

حدّثني محمد بن عيسى بن عبيد قال: حدّثني يونس بن عبد الرحمن عن رجل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

كان أبو الخطاب أحقّ فكنّته أحدّه فكان لا يحفظ وكان يزيد من عنده(٢). ولعله إشارة إلى الخطأ في التأويل أي أنه لقله وعيه كان يؤولها تأويلاً فاسداً.

كما أنه يلحظ من ذلك أنّ هذا الانحراف سرى من الفرق الباطنية الشيعية إلى فرق الصوفية، بل إنّ التبع في جملة ما لدى فرق الصوفية المختلفة من قواعد تأويلية يلاحظ أنّها في الأصل متلقّاه من الفرق الباطنية وأنّ التصوّف ترعرع وتولّد من الفرق الباطنية.

نسبه القول بحليه نكاح ذوات الأرحام وتفسير الإمام عليه السلام وبيان دور العامه فيها

فقال:

وأما ما ذكرته أنّهم يستحلّون نكاح ذوات الأرحام التي حرّم الله في كتابه فإنّهم زعموا أنّهم إنّما حرّم علينا بذلك نكاح نساء النبي فإنّ أحقّ ما بدأ به من تعظيم حقّ الله وكرامه رسوله وتعظيم شأنه وما حرّم الله على تابعيه ونكاح نسائه من بعد قوله: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا»

وقال تبارك وتعالى: «الْنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ»

وهو أب لهم، ثم قال: «وَلَا تُنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ

ص: ٢٢٣

١- (١). الكشي ٣٥٩ / ح ٥١٢.

٢- (٢). الكشي ٣٦٢ / ح ٥٢٢.

فمن حرّم نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتحريم الله ذلك فقد حرّم ما حرّم الله في كتابه من الأمّهات والبنات والأخوات والعمّات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت وما حرّم الله من الرضاع، لأنّ تحريم ذلك كتحرّم نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمن استحلّ ما حرّم الله عزوجل من نكاح ما حرّم الله فقد أشرك بالله إذا اتخذ ذلك ديناً.

أقول: ظاهر هذا التفسير وفحواه أنّ ما نُسب إليهم من استحلال نكاح ذوات الأرحام وحصره في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه عليه السلام لا يثبت هذه النسبه على الخطايه وأنّ مقصودهم حيث لم ينسجم مع العامه طعنوا عليهم بهذه النسبه. إذ أنّ زعمهم هو أنّ ما ذكر من أمومه نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآيه إنما هو بلحاظ تحريم النكاح لا بلحاظ التعظيم وإعطاء مكانه خاصه في الدين. فأصل مقالتهم إنما تشير إلى ذلك، أي إلى أنّ ذكر الأمومه لنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو بلحاظ تحريم نساء الآباء، وأنّ تحريم نكاح ذوات الأرحام الأصل فيه من حيث تعظيم الرتبة هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم. والظاهر من العامه أنّهم بعد ما سمعوا ذلك منهم أخذوا بالطعن عليهم بالفريه، وهذا يعزّز ما تقدّم سابقاً من أنّ جملة من الأمور المطعون بها على هذه الفرق هي من مفتريات العامه عليهم قذفاً أو لسوء فهمهم للمقصود من مقالاتهم كما هو ديدن الصراعات السياسيه والمذهبيه في الأعصار.

نسبه السفاح إليهم نتيجة عدم الوقوف على أحكام المنعه

أما ما قاله عليه السلام حول المحور الرابع:

فقال:

أما ما ذكرت أنّ الشيعة يترادفون المرأه الواحده فأعوذ بالله أن يكون ذلك من دين الله ورسوله، إنما دينه أن يحلّ ما أحلّ الله ويحرّم ما حرّم الله، وإنما أحلّ الله المتعه من النساء في كتابه، والمتعه في الحج أحلهما ثم لم يحرمهما فإذا أراد الرجل أن يتمتع من المرأه فعلى كتاب الله وسننه نكاح غير سفاح تراضياً على ما أحبّنا من الأجر والأجل كما قال الله تعالى:

«فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ.»

ثم يبين عليه السلام عده المتعه أنها نصف عده الدائم وأن المرأه بعد انقضاء العده إن شاءت تمتعت من آخر وهلم جزاً ما شاءت من الرجال ما بقيت على الحدود الشرعيه، كما هو الحال في الدائم فيما لو طلقت وخرجت من العده. وهو بذلك يبين عليه السلام أن هذا الطعن صادر من العامه لأخذهم بتحريم الخليفه الثاني وتركهم العمل بكتاب الله وسنه نبيه، ويشنعون على الحلال بمثل هذه الأراجيف، ومن ثم قرن عليه السلام ذكر متعه النساء بمتعه الحجج وأنها مما قد نبذه العامه. وكأن غرضه عليه السلام من ذلك بيان عدم الاستيحاش من الإقامه على كتاب الله وسنه نبيه وإن هجرها الآخرون وطعنوا بالتمسك بها. وهذه الفقره تبين مدى البصيره الفقهيه النافذه في بعض ممارسات هذه الفرق، وأنهم إنما تفرّدوا بها لوقوفهم على بعض فرائد وفنون التخريجات الفقهيه وأن الناظر من بعيد يشنع عليهم لعدم فطنته بأصول هذه السنن التي باتت مهجوراً وهو نظير المحور اللاحق.

نسبه القول بجواز شهاده الزور إليهم وبيان الإمام عليه السلام لشده تظلمهم الفقهي

وقال عليه السلام في المحور الخامس:

وأما ما ذكرت أنهم يستحلّون الشهادات بعضهم لبعض على غيرهم، فإن ذلك ليس هو إلّا قول الله فإن ذلك لا يجوز ولا يحلّ وليس هو على ما تأوّلوا لقول الله عزّ وجل: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ...»

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقضى بشهاده رجل واحد مع يمين المدعى، ولا يبطل حقّ مسلم ولا يرد شهاده مؤمن فإذا أخذ يمين المدعى وشهاده الرجل قضى له بحقه، وليس يعمل (اليوم) بهذا وقد ترك. فإذا كان للرجل المسلم قبل آخر حقّ يجحده ولم يكن له شاهد غير واحد، فإنه إذا رفعه إلى ولاه الجور أبطلوا حقه ولم يقضوا فيه بقضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وقد كان في الحقّ أن لا يبطل حقّ رجل مسلم) فيستخرج الله على يديه حقّ رجل مسلم ويأجره الله ويحيى عدلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل به.

أقول: ويظهر من صدر كلامه عليه السلام أن ما استشعنه العامه من القضاء بشاهد

مؤمن ويمين قد ورد في الآيه الكريمه ما هو أعظم منه وهو القضاء بشاهدين غير مؤمنين أو كافرين، مع أنّ شهاده المؤمن الواحد أثبت من شهاده غير مؤمنين أو كافرين، وأنّ هذا ممّا قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهجر. وأنّ ما يقوم به هؤلاء من استنقاذ حق المؤمن إنما هو بعد توفّر شاهد له وهى مدرّك ومستند شرعى يثبت الحق، لكنّ أهل الخلاف هجروا هذه السنّه النبويه فاستشنعوا ذلك ورموا هذه الفرقه بأنهم يشهدون بعضهم لبعض بالزور.

قال فى البدء والتاريخ: «و أما الخطايه فهم أصحاب ابن الخطاب يرون الشهاده بالزور على من خالفهم بالدماء والأموال ومن هاهنا لم يجز الفقهاء شهاده الخطايه»^(١).

ومن هاتين الظاهرتين الفقهيّتين يُعلم أنّ جملة من الأحكام الشرعيه الفقيهيه إنما بدأ رواجها والتعرّف عليها ومعرفتها لدى الأوساط انطلاقاً من عمل هؤلاء، وهذا ممّا يشير إلى أنّ جملة من أسرار الفقه والأحكام الشرعيه الفرعيّه المهجوره بسبب تغيير أهل الخلاف إنما بدأ روايتها عن الأئمه عليهم السلام فى أوساط أتباعهم زعماء هذه الفرق الباطنيه.

عدم فهم مقامات النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام سبب نسبته التآليه إليهم

ثمّ إنّه عليه السلام تعرّض إلى محور آخر: فيما ينسب إليهم من زعمهم أنّ الله ربّ العالمين هو النبى قال عليه السلام:

وأما ما ذكرت فى آخر كتابك أنهم يزعمون أنّ الله ربّ العالمين هو النبى، وأنك شبّهت قولهم بقول الذين قالوا فى عيسى ما قالوا، فقد عرفت أنّ السنن والأمثال كائنه (قائمه) لم يكن شىء فيما مضى إلّا سيكون مثله حتى لو كانت (هناك) شاه برشاء كان هاهنا مثله.

واعلم سيظلّ قوماً على ضلاله من كان قبلهم كتبت تسألنى عن مثل ذلك ما هو وما أرادوا

ص: ٢٢٦

به. أخبرك أنّ الله تبارك وتعالى هو خلق الخلق لا- شريك له، له الخلق والأمر والدين والآخره، وهو ربّ كل شىء وخالقه، خلق الخلق وأحبّ أن يعرفوه بأنبيائه واحتجّ عليهم بهم، فالنبي عليه السلام هو الدليل على الله عبد مخلوق مربوب اصطفاه لنفسه برسالته وأكرمه بها، فجعله خليفته فى خلقه ولسانه فيهم وأمينه عليهم وخازنه فى السماوات والأرضين، قوله قول الله لا يقول على الله إلها الحق، من أطاعه أطاع الله ومن عصاه عصى الله، وهو مولى من كان الله ربه ووليه. من أبى أن يقرّ له بالطاعة فقد أبى أن يقرّ لربه بالطاعة وبالعبوديه، ومن أقرّ بطاعته أطاع الله وهده. فالنبي مولى الخلق أجمعين عرفوا ذلك أو أنكروه، وهو الوالد المبرور فمن أحبّه وأطاعه فهو الولد البارّ ومجانب للكبائر. وقد بيّنت (وقد كتبت لك) ما سألتنى عنه وقد علمت أنّ قوماً سمعوا صفتنا هذه فلم يعقلوها بل حرّفوها ووضعوها على غير حدودها على نحو ما قد بلغك، وقد برىء الله ورسوله من قوم يستحلّون بنا أعمالهم الخبيثه، وقد رمانا الناس بها والله يحكم بيننا وبينهم فإنه يقول «إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ»

أعمالهم السيئه و يعلمون أنّ الله هو الحق المبين.

وأما ما كتبت به ونحوه وتخوّفت أن يكون صفتهم من صفته فقد أكرمه الله عن ذلك تعالى ربّنا عمّا يقولون علواً كبيراً. صفتى هذه صفة صاحبنا التي وصفنا له وعنه أخذناه فجزاه الله عنا أفضل الجزاء، فإنّ جزاءه على الله فتفهم كتابى هذا والقوه لله.

أقول: ويظهر من كلامه عليه السلام عدّه نقاط:

الأولى: إنّما نسب إليهم من أنّهم يزعمون أنّ الله ربّ العالمين هو النبي، فليس صحيحاً، فهم لم يألها سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم كما يطعن عليهم بذلك، بل إنّما قالوا: إنّ له صلى الله عليه وآله وسلم ولاية الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس وجميع الملائكة والأرواح وجميع ما فى ملكوت الله، فهو مولى الخلق جميعاً وهو خليفه الله ليس فى أرضه وسماواته فحسب بل على جميع العوالم والخلائق.

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أعظم مخلوق خلقه الله تعالى وجعله واسطه بينه وبين خلقه، فهو كما ائتمن على رساله مؤتمن على جميع خلقه. وهذه الصفه له لا- تخرجه عن كونه مخلوقاً ومربوباً لله تعالى وإنما كرامه من الله تعالى حباه الله تعالى ولا بد من الالتفات إلى قوله عليه السلام :

كتبت تسألني عن مثل ذلك ما هو وما أرادوا به أخبرك أنّ

فجعل تفسيره عليه السلام الذي هو يستقيم على أصول التوحيد هو مرادهم لا ما طعن عليه بهم ونسبوه لهم.

الثانيه: يظهر من كلامه عليه السلام إنما رمى به هذه الفرق من الغلو والقول بتأليه النبي والأئمه عليهم السلام لا أساس له، وإنما هذا طعن طعن به أهل الخلاف أو من لا باع له في المعارف.

الثالثه: أنّ منشأ طعن أهل الخلاف ومن لا اضطلاع له بغوامض المعاني هو ما قاله عليه السلام :

وقد علمت أنّ قوماً سمعوا صفتنا هذه فلم يعقلوها بل حرّفوها ووضعوها على غير حدودها على نحو ما قد بلغك أي على نحو ما بلغ المفضل.

الرابعه: أنّ هناك جملة من المقامات والصفات ثابتة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وهي لا تخرج عن شؤون المخلوق إلى حدود الألوهية والخالقية، إلّا أنّ من لا بضاعه له في أبواب المعارف وأسرار الخلقه يتوهم أنّ هذه الشؤون هي من صفات الألوهيه ومقامات الربوبيه، وأنّ من اتّصف بها لا يكون بحال من الأحوال إلّا إلهاً وربّاً، وجحد أن شؤون الإله والربّ هي فوق ذلك. ومن ثم قال عليه السلام عن هذه الظاهره بالتقصير عن عظم معرفه الله وأنّها السبب في التخيّط بين الحدود والصفات الإلهيه وبين الحدود وصفات المخلوق.

غفله بعض الخواص عن المكاتبه

وهذه المكاتبه توضّح زيف الكثير من طعون العامه والدجل في علاجهم وتواريخهم وأنّ الحقيقه لا يمكن أخذها من أفواههم وأقلامهم فإنّهم أبواق

السلطات والبلاط الحكومى الذى يمارس تشويه صورته مخالفه ومعارضيه بكلّ وسيله ولا يتورّع عن أىّ كذب وافتراء فى ذلك، وكان يخلق جوّاً ورأياً عاماً يكرسه فى الأذهان والصدور والكتب والأشعار حتى آل الأمر إلى تأثر جملة من أعلام الإماميه قديماً وحديثاً بهذه الطعون.

فوجد مثل المحقق النوبختى الذى هو من أجلّاء الأصحاب فى علم الكلام فى الغيبه الصغرى وهو من الجلاله والدقه العلميه بمكان إلاّ أنّه قد تأثر فى عدّه من المواضع من كتابه الذى كتبه عن فرق الشيعه بما شاع عند العامه من الطعن على تلك الفرق، ومن تلك الموارد ما كتبه عن الخطايه من الموارد التى تسائل المفضّل بن عمر عمّا شاع طعنه على الخطايه وقد أوضح عليه السلام فى المكاتبه أنّ الخطايه وإن كانت لديهم شذوذ وشطط إلاّ أنّ الطعون التى روجها العامه غير صحيحه.

فقد قال النوبختى «إنّ فرقه من أصحاب أبى الخطاب قالت: إنّ أباً عبد الله جعفر بن محمد هو الله جل وعز وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وإنّ أباً الخطاب نبى مرسل أرسله جعفر وأمر بطاعته وأحلّوا المحارم من الزنا والسرقة وشرب الخمر، وتركوا الزكاه والصلاه والصيام والحج وأباحوا الشهوات بعضهم لبعض، وقالوا من سأله أخوه ليشهد له على مخالفه فليصدقه ويشهد له فإن ذلك فرض عليه واجب، وجعلوا الفرائض رجالاً - سموهم والفواحش والمعاصى رجالاً - وتأولوا على ما استحلّوا قول الله عزوجل: «يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ» وقالوا:

خفّف عنا أبى الخطاب ووضع عنا الأغلال والآصار يعنون الصلاه والزكاه والصيام والحج فمن عرف الرسول النبى الإمام فليصنع ما أحب»(1).

وجمله هذه الطعون قد بين الإمام عليه السلام فى المكاتبه عدم صحّتها وإنّ مرادهم

ص: ٢٢٩

ليس كما فهمه العامه من أفعالهم.

وقال أيضاً إنّ فرقه منهم: «أحلّ الزنا والسرقة وشرب الخمر والميته والدم ولحم الخنزير ونكاح الأمهات والبنات والأخوات ونكاح الرجال ووضع عن أصحابه غسل الجنابه وقال كيف أعتسل من نطفه خلقت منها وزعم أن لكل شيء أحلّ الله في القرآن وحرمه فإنما هو أسماء رجال»(١).

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الكشي:

عن محمد بن مسعود قال: سألت أبا الحسن علي بن الحسن عن اسم أبي خديجه، قال: سالم بن مكرم. فقلت له: ثقه؟ فقال: صالح وكان من أهل الكوفه وكان جَمالاً وذكر أنه حمل أبا عبد الله عليه السلام من مكّه إلى المدينه. قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي هاشم عن أبي خديجه قال أبو عبد الله عليه السلام: لا تكتن بأبي خديجه.

قلت: فيم أكتني؟ فقال: بأبي سلمه.

وكان سالم من أصحاب أبي الخطاب وكان في المسجد يوم بعث عيسى بن موسى ابن علي بن عبد الله بن العباس وكان عامل المنصور على الكوفه إلى أبي الخطاب لما بلغه أنّهم قد أظهروا الإباحات ودعوا الناس إلى نبوّه أبي الخطاب وأنهم يجتمعون في المسجد ولزموا الأساطين يورّون الناس أنّهم قد لزموها للعباده وبعث إليهم رجلاً فقتلهم جميعاً، لم يفلت منهم إلّا رجل واحد أصابته جراحات فقط بين القتلى يعدّ فيهم، فلما جنّ الليل خرج من بينهم فتخلّص وهو أبو سلمه سالم بن مكرم الجمال الملقّب بأبي خديجه. فذكر بعد ذلك أنّه تاب وكان ممّن يروى الحديث(٢).

فإنّ تواجد سالم بن مكرم فيهم قرينه على بعد نسبه ادعائهم للألوهيه في الأئمه والنبوه في أبي الخطاب، بل اعتراف العامه بأنهم ملازمون للمسجد هو

ص: ٢٣٠

١- (١). فرق الشيعه / ٤٤ .

٢- (٢). رجال الكشي / ٤١٨ / ح ٦٦١ .

الآخر شاهد على تقييدهم إجمالاً بظاهر الشريعة، كما أنه متدافع مع ما يقولونه من أنهم أظهروا الإباحات فكيف يظهرون تاره ويوزون ويخفون أخرى.

أما الطعن عليهم بادّعائهم النبوه فسيأتى الحديث عنها مفصلاً وأنه لم يكن ادعاء للنبوه بل هو ادعاء للنيابه الخاصه.

و هذا النص التاريخى الذى نقله الكشى هو الآخر يدلّ على مدى تأثر بعض الأصحاب من طعون العامه المنتشره فى الساحه بكثره كآثره.

ص: ٢٣١

فإنّ هناك روايات تدلّ على أنّ لكلّ من هؤلاء كانت فتره استقامه وكانت لهم في تلك الفتره مكانه ساميه

١ - روى الكشي عن حمدويه، قال حدّثني محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن عن ابن مسكان، عن عيسى شلقان، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام وهو يومئذ غلام قبل أوان بلوغه: جعلت فداك ما هذا الذي يسمع من أبيك أنّه أمرنا بولايه أبي الخطاب ثم أمرنا بالبراءه منه؟

قال: فقال أبو الحسن عليه السلام من تلقاء نفسه:

إنّ الله خلق الأنبياء على النبوه فلا يكونون إلّا أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلّا مؤمنين، واستودع قوماً إيماناً فإن شاء أتمّه لهم وإن شاء سلبهم إيّاه، وإنّ أبا الخطاب كان ممّن أعاره الله الإيمان، فلما كذب عليّ أبي سلبه الله الإيمان.

قال: فعرضت هذا الكلام على أبي عبد الله عليه السلام ، قال: فقال:

لو سألتنا عن ذلك ما كان ليكون عندنا غير ما قال (١).

أقول: قد ذكر في صحيحه عيسى شلقان أنّ الإمام الصادق عليه السلام أمر بولايه أبي الخطاب حال استقامته ثم أمر بالبراءه منه بعد ما أحدث، والتولّى بالخصوص إشاره إلى موقعه الوكاله والنيابه الخاصه وسيأتي في الفصل السابع بعض الإشارات إلى خطوره مقام النيابه الخاصه.

٢ - روى الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حفص

ص: ٢٣٢

بن البختری وغيره عن عيسى شلقان قال: كنت قاعداً فمرّ أبو الحسن موسى عليه السلام ومعه بهمه. قال: قلت يا غلام ماترى ما يصنع أبوك يأمرنا بالشىء ثم ينهانا عنه.

أمرنا أن نتولّى أبا الخطاب ثم أمرنا أن نلعنه ونتبرأ منه. فقال أبو الحسن عليه السلام وهو غلام:

إنّ الله خلق خلقاً للإيمان لا زوال له وخلق خلقاً للكفر لا زوال له وخلق خلقاً بين ذلك أعاره الإيمان يسمّون المعارين إذا شاء سلبهم وكان أبو الخطاب ممّن أعير الإيمان. قال:

فدخلت على أبى عبد الله عليه السلام فأخبرته ما قلت لأبى الحسن عليه السلام وما قال لى، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

إنّه نبعه نبوّه (١).

ويستشف من هذا الخبر الصحيح أنّ أبا الخطاب كانت له نيابه خاصه وليست مجرد وكاله عن الإمام عليه السلام ورغم ذلك فإنه لا يوجب ولا يستلزم ضروره استقامته إلى الممات كما هو الحال فى إعطاء البارى سبحانه الآيات اللدنيه لبلعم بن باعورا.

٣- روى الكشى عن محمد بن مسعود قال: حدّثنى على بن الحسن عن معمر بن خلّاد قال: قال أبو الحسن عليه السلام:

إنّ أبا الخطاب أفسد أهل الكوفه فصاروا لا يصلّون المغرب حتّى يغيب الشفق ولم يكن ذلك إنّما ذاك للمسافر وصاحب العله.

وقال إنّ رجلاً سأل أبا الحسن عليه السلام فقال: كيف قال أبو عبد الله عليه السلام فى أبى الخطاب ما قال ثم جاءت البراءه منه؟ فقال له:

أكان لأبى عبد الله عليه السلام أن يستعمل وليس له أن يعزل (٢).

وهذا الموثق أيضاً دال على مدى ما كان يتمتع به أبو الخطاب من صلاحيات لدى الإمام عليه السلام وفى نفوذه لدى الشيعة كمرجعيه فقهيه أيضاً.

٤- روى الكلينى عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى عن على بن الحكم عن على بن عقبه قال: كان أبو الخطاب قبل أن يفسد

ص: ٢٣٣

١- (١). الكافى ٢ / ٤١٨ / باب المعارين / ح ٣ .

٢- (٢). رجال الكشى / ٣٦٢ / ح ٥١٨ .

وهو يحمل المسائل لأصحابنا ويجيء بجواباتها(١).

و هذا الصحيح هو الآخر يعكس منزله أبي الخطاب بين الإمام وعموم فضلاء أصحابه.

٥ - روى الكشى فى الموثق عن عبد الله بن بكير الرجاني قال: ذكرت أبا الخطاب ومقتله عند أبي عبد الله عليه السلام قال: فوقفت عند ذلك فبكيت، قال:

أتأسى عليهم؟ فقلت: لا وقد سمعتك تذكر أن علياً عليه السلام قتل أصحاب النهر (النهران) فأصبح أصحاب على عليه السلام يبكون عليهم. فقال على عليه السلام: أتأسون عليهم؟ فقالوا: لا إنا ذكرنا الألفه التي كُنّا عليها والبلية التي أوقعتهم فلذلك رققنا عليهم. قال:

لا بأس به(٢).

وفى هذه الرواية دلالة على مدى موقعه التي كانت يتمتع بها أبو الخطاب فى أوساط أتباع أهل البيت عليهم السلام .

٦ - روى الكليني عن عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد عن محمد بن محمد بن محمد بن الفضيل عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا الخطاب يحدث عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

ثلاثة لا يجهل حقهم إلا منافق معروف بالنفاق؛ ذو الشبيه فى الإسلام وحامل القرآن والإمام العادل(٣).

فإنّها تشير إلى موقعه أبي الخطاب لدى فضلاء الرواه وأنهم كانوا يتلقون رواياته أيام استقامته ويخرجونها فى الأصول الروائية.

٧ - وكذا ما رواه الكليني عن حنان عن أبي الخطاب عن عبد صالح عليه السلام قال:

ص: ٢٣٤

١- (١). الكافي ٥ / ١٥ / باب فضل التجاره والمواظبه عليها / ح ١٣، وتهذيب الأحكام ٧ / ٤ / باب فضل التجاره وآدابها / ح ٩

٢- (٢). الكشى / ح ٥١٧، ووسائل الشيعة / أبواب الدفن / باب ٨٩ جواز البكاء على الأليف الضال.

٣- (٣). الكافي ٢ / ٦٥٨ / باب وجوب إجلال ذى الشبيه المسلم / ح ٤ .

إنَّ الناسَ أصابهم قحط شديد على عهد سليمان بن داود عليه السلام فشكوا ذلك إليه وطلبوا إليه أن يستسقى لهم. قال فقال لهم إذا صليتَ الغداة مضيئاً. فلما صلى الغداة مضى ومضوا فلما أن كان في بعض الطريق إذا هو بنمله رافعه يدها إلى السماء واضعه قدميها إلى الأرض وهي تقول: اللهم إنا خلقنا من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب بني آدم. قال: فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بغيركم قال: فسقوا في ذلك العام ما لم يسقوا مثله قط (١).

٨ - روى الكليني عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زراره قال: حدثني أبو الخطاب في أحسن ما يكون حالاً قال... (٢).

٩ - قال الكشي: وحكى نصر بن صباح عن ابن أبي عمير بإسناده أن الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما أحدث خرجوا إلى أبي عبد الله عليه السلام فقالوا: أقم لنا رجلاً نفرع إليه في أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام. قال:

لا تحتاجون إلى ذلك، متى ما احتاج عندكم عرج إلى وسمع مني وينصرف.

فقالوا: لا بد. فقال:

قد أقيمت عليكم المفضل اسمعوا منه واقبلوا عنه فإنه لا يقول على الله وعلى إلّا الحق.

فلم يأت عليه كثير شيء حتى شنعوا عليه وعلى أصحابه وقالوا أصحابه لا يصلون ويشربون النبيذ وهم أصحاب الحمام و يقطعون الطريق والمفضل يقربهم ويدنيهم (٣).

أقول: وهذا يدل على أن الموقع الذي نصب فيه المفضل كان يشغله أبو الخطاب قبل أن يحدث ما أحدث وهو المقام الذي فرعوا إليه في أمر دينهم وما يحتاج إليه من الأحكام.

١٠ - روى الكشي بسند معتبر إلى سلمان الكناني قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام:

ص: ٢٣٥

١- (١). الكافي ٨ / ٢٤٦ / ح ٣٤٤.

٢- (٢). بحار الأنوار ٢٣ / ٣٦٨ / ٣٩.

٣- (٣). الكشي / ٣٩٣ / ح ٥٩٢.

هل تدري ما مثل المغيره قال: قلت: لا قال:

مثله مثل بلعم. قلت: ومن بلعم؟ قال: الذي قال الله عزوجل: (الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) ١.

فإن تمثيله عليه السلام المغيره ببلعم - حيث أوتى بعض حروف الاسم الأعظم الذي عبر عنه في سورة الأعراف بأنه أعطى وأوتى آيات لدنيه - يفيد أنه قد أعطى شيئاً من بعض الكرامات المعنويّة والآثار النورانيّة إلّا أنه سلب ذلك منه عند إذاعته للأسرار مما سبب في انحراف جماعه لانطباع معاني خاطئه باطله لديهم عن تلك الغوامض من المعارف، وعند تصعيده في المواجهه السياسيّه مع الخلافه الأمويّه مما أربك الظروف المحيطة باتباع أهل البيت عليهم السلام .

١١ - في تفسير القمي عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد عن الحسين بن سعيد عن محمد بن الحصين عن خالد بن يزيد عن عبد الأعلى عن أبي الخطاب عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى» قال: بالولايه «فَسَيُسَّرُّهُ لِلْيُسْرَى وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنَى وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى» قال: بالولايه «فَسَيُسَّرُّهُ لِلْعُسْرَى» ٢.

وفي البصائر عن أحمد بن محمد عن الأهوازي عن محمد بن كثير عن خالد بن يزيد عن عبد الأعلى عمّن رواه عنه عليه السلام مثله (١).

والظاهر أنّ روايه عبد الأعلى عن أبي الخطاب في أيام استقامته وأنه كان يدمن تلقى الروايات في المعارف عنهم عليهم السلام كما يظهر الحديث قدره تحمله للطائف المعاني في ولايتهم.

١٢ - روى الحلبي في مختصر البصائر عن محمد بن مسلم قال: سمعت حمران بن أعين وأبا الخطاب يحدثان جميعاً - قبل أن يحدث أبو الخطاب ما

ص: ٢٣٦

١- (٣) . بحار الأنوار ٢٤ / ٢٤ / ٤٤ / ح ٨ .

أحدث - أنهما سمعا أبا عبد الله عليه السلام يقول:

أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسن بن علي عليهما السلام وأن الرجعة ليست بعامة بل هي خاصّة لا يرجع إلّا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً(١).

١٣ - روى الثقفى فى الغارات فى ذكر الأحداث بعد مقتل محمد بن أبى بكر عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه جندب قال: دخل عمرو بن الحمق وحجر بن عدى وحبّه العرنى والحارث الأعور وعبد الله بن سبأ على أمير المؤمنين عليه السلام بعدما افتتحت مصر وهو مغموم حزين فقال له بيّن لنا ما قولك فى أبى بكر وعمر فقال لهم على عليه السلام:

و هل فرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتى بها قد قتلت... (٢).

يظهر من هذا الحديث أنّ عبد الله بن سبأ كان أيام استقامته من حوارى أمير المؤمنين عليه السلام وأخصّ خاصّته لديه وأنّه كان بدرجه من التمسك بولايه الأمير عليه السلام والتبرّى من أعدائه.

ويمكن تلخيص دورهم الإيجابى فى فتره استقامتهم فى نقاط تستفاد مما مرّ فى المكاتبه وغيرها و مما سيأتى فى ذكر شواهد أحوالهم المختلفه:

الأولى: أنّهم قاموا بنشر البيانات البرهانيه من القرآن والسنة النبويه و سنن الأنبياء عليهم السلام على النصّ الإلهى على إمامه أهل البيت عليهم السلام ووصايتهم لرسول الله وأنه منصب غيبى، و ذلك فى فتره وحقبه زمّته وصلت تظليل الإعلامى لسلطه الخلفاء وبنى اميه وبنى العباس أوجها فى التعتيم على ما أنزله الله فى القرآن وبيّنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الأحاديث فى شأن أهل البيت عليهم السلام حتى أصبح مجهولاً لدى الخواصّ فضلاً عن العموم.

الثانيه: أنّهم قاموا بنشر جمله من ثوابت التشريع التى سعى خصوم أهل البيت عليهم السلام لمحوها عن أذهان المسلمين نظير القضاء بالشاهد واليمين فى الأموال

ص: ٢٣٧

١- (١). مختصر البصائر / ١٠٦ / ح ٧٧.

٢- (٢). الغارات ١ / ٣٠٢.

وزواج المتعه وجمله من أحكامها وأن ولايه الفىء والخمس للإمام وأن أعدائهم يتقلبون فى الحرام من الأموال وسائر المعاملات وأن قضاء الحاكم الجائر حكم الطاغوت، وغيرها من ثوابت مذهب أهل البيت عليهم السلام التى كانت آنذاك خفيه على كبار فقهاء الرواه عند بدء نشرها.

الثالته: أنهم شقوا طريقاً للبحث والفحص عن دقائق المعرفه واستنطاقها من القرآن وأحاديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام فى مقابل التقصير والغفله عن هذه المعرفه، فولد ذلك جواً فاحصاً باحثاً متسائلاً عن هذه المسائل والبحوث.

ص: ٢٣٨

٣ - إيماء الروايات بشذوذ أبي الخطاب والمغيره دون دعوى التأليه والنبوه

روى الحلبي في مختصر البصائر عن أحمد بن محمد بن عيسى عن عبد الرحمن بن حماد الكوفي عن حنان بن سدير عن أبي خالد ذي الشامه النخاس قال: فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: إن عمي وابن عمي أصيبا مع أبي الخطاب فما قولك فيهما؟ فقال:

أما من قتل معه مسلم لنا دونه فرحمه الله وأما من قتل معه مسلم له دوننا فقد عطب(١).

وفي هذه الروايه دلالة على أنّ الخطأ به إلى حين قتل أبي الخطاب لم يكونوا يدعون الألوهيه والتأليه في الأئمة عليهم السلام وإلا لما كان للتفصيل مجال كما أنّهم لم يكونوا يدعون النبوه في أبي الخطاب.

نعم الروايه دالة على أنّ من سلم وانقاد تماماً لأبي الخطاب في شططه وشذوذه فقد عطب وأما من كان معه بتخيّل نيابته عن الإمام وكان عزمه على التسليم للأئمة عليهم السلام في الأصل، فهو مغرّر به يرجى له شفاعه الأئمة عليهم السلام .

ومما يستشعر منه سابقه استقامه لكلّ من المغيره وأبي الخطاب وأن شططهما وشذوذهما لم يكن في دعوى الألوهيه في الأئمة والنبوه في حق أنفسهم ما رواه الكشي عن محمد بن الصباح عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

لا يدخل المغيره وأبي الخطاب الجنّه إلّا بعد ركضات في النار(٢).

وهذا الحديث وإن استفيد منه انحرافهما واستحقاقهما بذلك العقاب إلّا أنّ

ص: ٢٣٩

١- (١) . مختصر البصائر / ٢٦٤ / ح ٢٥٨ .

٢- (٢) . رجال الكشي / رقم ٤٠٨ .

فيه إشاره أيضاً إلى عدم وصول ذلك الانحراف إلى ادعاء التأليه في أئمه أهل البيت عليهم السلام أو ادعاء النبوه في حق أنفسهم، بل غايته الشطط في تأويل غوامض المعارف التي تلقوها مما سبب انحرافات عقائديه لدى أتباعهم في جملة من التفاصيل.

روى الصفار في البصائر عن محمد بن الحسين عن صفوان عن أبي الصباح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام:

أنت أخي وصاحبي وصفيتي وخالصي من أهل بيتي وخليفتي في أمّتي وسأنتبئك فيما يكون فيها من بعدى يا علي أحب كل ما أحبه لنفسى واكره لك ما أكرهه لها. فقال لي أبو عبد الله عليه السلام:

هذا مكتوب عندي في كتاب علي ولكن دفعته أمس حين كان هذا الخوف وهو حين صلب المغيره(١).

ويظهر من هذا الحديث أنّ جوّ الرعب والخوف الذي أقامه بنو أمّيه في مواجهتهم للمغيره وقتله وصلبه هو موضوع يرتبط بعقيده النصّ الإلهي في علي وكونه وصياً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واصطفى بالعصمه، وأنّ هذه المفاهيم هي التي قتل لأجل الجهار بها المغيره فلم تكن دعواه التأليه في الأئمه عليهم السلام وأنّ تلك المفاهيم في عهد بنى أمّيه وهي بدايه عهد إمامه الصادق عليه السلام لم تكن واضحه لعدّه من فقهاء ورواه أصحاب الأئمه عليهم السلام بينما كان المغيره في ذلك الأفق من المعرفة، رغم ما كان له من شذوذ وتطرّف سياسى وسوء في تدبير ترويج المعارف.

ص: ٢٤٠

قال الشيخ الطوسي في العده:

«و أما العدالة المراعاة في ترجيح أحد الخبرين على الآخر فهو أن يكون الراوى معتقداً للحقّ مستبصراً ثقّه في دينه متحرّجاً عن الكذب غير متهم فيما يرويه - إلى أن قال: - ولأجل ما قلناه عملت الطائفة بما رواه حفص بن غياث و غياث بن كلوب ونوح بن درّاج والسكونى وغيرهم من العامّة عن أئمتنا عليهم السلام ولم ينكروه ولم يكن عندهم خلافه.

وإذا كان الراوى من فرق الشيعة مثل الفطحيّ والواقفيّ والناووسيه وغيرهم نظر فيما يروونه فإن كان هناك قرينه تعضده أو خبر آخر من جهة الموثوقين بهم وجب العمل به وإن كان هناك خبر يخالفه من طرق الموثوقين وجب اطراح ما اختصّوا بروايته والعمل بما رواه الثقه، وإن كان ما رووه ليس هناك ما يخالفه ولا يعرف من الطائفة العمل بخلافه وجب أيضاً العمل به إذا كان متحرّجاً في روايته موثقاً به في أمانته وإن كان مخطئاً في أصل الاعتقاد ولأجل ما قلناه عملت الطائفة بأخبار الفطحيّ مثل عبد الله بن بكير وغيره وأخبار الواقفه مثل سماعة بن مهران وعلى بن أبي حمزه وعثمان بن عيسى ومن بعد هؤلاء بما رواه بنو فضال وبنو سماعة والطاطريون وغيرهم فيما لم يكن عندهم فيه خلافه.

وأما ما يرويه الغلاة والمتمّمون والمضعفون وغير هؤلاء فما يختص الغلاة بروايته فإن كانوا ممّن عرف لهم حال الاستقامه وحال الغلوّ عمل بما رووه في حال الاستقامه وترك ما رووه في حال خطائهم، ولأجل ذلك عملت الطائفة بما رواه أبو الخطاب في حال استقامته وتركوا ما رواه في حال تخليطه وكذا القول في

أحمد بن هلال العبرتائي وابن أبي عزاقر...»(١).

و هذا الإجماع المنقول من الشيخ حول روايات ابن أبي الخطاب أيام استقامته شاهد واضح على صحه مضامين الروايات ذات المضامين العاليه والدقائق الثاقبه فى المعرفه والمسائل العقديه التى رواها أبى الخطاب وأمثاله وأن جهه الانحراف كانت فى زوايا أخرى كما أوضحنا ذلك.

ص: ٢٤٢

١- (١) . بحار الأنوار ٢ / ٢٥٣ - ٢٥٤ .

٥ - تقدّم معرفه أبي الخطاب درجه وسبقاً على أركان وأوتاد فقهاء الرواه

روى فى البحار عن القمى فى تفسيره عن أبيه عن ابن أبى عمير عن ابن أذينة عن بريد عن أبى جعفر عليه السلام قال:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الراسخين فى العلم فقد علم جميع ما أنزل الله عليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه التأويل وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّهم. قال: قلت جعلت فداك إنّ أبا الخطاب كان يقول فيكم قولاً عظيماً قال:

وما كان يقول قلت: قال إنّكم تعلمون علم الحلال والحرام والقرآن [فقال:

علم الحلال والحرام والقرآن]

يسير فى جنب العلم الذى يحدث بالليل والنهار(١).

ويظهر من هذا الصحيح الأعلائى أنّ جملة من أمّهات المعارف حول مقام الإمامه قد قام أبو الخطاب بنشرها فى أيام استقامته بين فضلاء كبار الرواه، حتى أن بريد بن معاوية العجلي وهو من أوتاد الرواه فى الفقه لم يكن فى التحمل للمعارف الثقيله بدرجه أبى الخطاب مع أن حقيقه المعرفه أعظم من ذلك كما نبّه الإمام عليه السلام .

ورواه فى الاختصاص عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام كلام قد سمعته من أبى الخطاب فقال:

اعرضه علىّ فقلت: يقول إنّكم تعلمون الحلال والحرام وفصل ما بين الناس. فسكت، فلمّا أردت القيام أخذ بيديّ فقال:

يا محمد علم الحلال والحرام يسير فى جنب العلم الذى يحدث فى الليل والنهار(٢).

ص: ٢٤٣

١- (١). بحار الأنوار ٢٣ / ١٩٢ / ح ١٥ .

٢- (٢). بحار الأنوار ٢٣ / ١٩٢ / بيان فى ذيل ح ١٥ .

و هذا الحديث أيضاً يبين الموقعية والدرجة العلميه التي كان أبو الخطاب يتمتع بها بالقياس إلى مثل محمد بن مسلم، ثم بين عليه السلام أن المعارف أعظم بحراً من فقه الفروع الذي هو بمنزله قطرات إلى ذلك البحر المتلاطم.

وروى في البصائر عن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن الحكم عن هشام بن سالم عن محمد بن مسلم قال: دخلت عليه بعدما قتل أبو الخطاب قال: فذكرت له ما كان يروى من أحاديثه تلك العظام قبل أن يحدث ما أحدث فقال:

بحسبك والله يا محمد أن تقول فينا يعلمون الحلال والحرام وعلم القرآن وفصل ما بين الناس، فلما أردت أن أقوم أخذ بثوبي فقال:

يا محمد وأى شيء الحلال والحرام في جنب العلم؟ إنما الحلال والحرام في شيء يسير من القرآن(1).

و هذا الصحيح الأعلاني يؤكد ما مرّ بيانه وأنّ فقه الفروع قطرات يسيره في علم القرآن كبحر مترام من المعارف والأسرار، وهو الذي يثير حفيظه كبار الرواه تجاه رواه المعارف ويشدّد من استغرابهم او إنكارهم لما يروونه. فإنّ حديث أهل البيت في بحر المعرفة صعب مستصعب لا يحتمل، يثير الكثير من الاضطراب والنكير والبلبله لدى عموم أذهان كبار أهل العلم من الرواه فضلاً عن عامّه المؤمنين، وهو الهدى استوجب المحاربه والمواجهه الشديده واللغظ الكبير تجاه رواه المعارف في العديد من الحقب الزمنيه حتى عصر النجاشي.

وروى الصدوق في معاني الأخبار عن أبيه عن محمد بن يحيى عن أبي سعيد الأدمي عن الحسن بن علي بن أبي حمزه (عن أبيه) عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ أبا الخطاب كان يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرض عليه أعمال أمتّه كلّ خميس فقال أبو عبد الله عليه السلام:

ليس هكذا ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرض عليه أعمال أمتّه كلّ صباح أبارها وفجارها فاحذروا وهو قول الله عزوجل: «وَقُلِ اعْمَلُوا

ص: ٢٤٤

١- (١). البصائر ١ / ٣٨٧ / ح ٧٣٠، بحار الأنوار ٢٣ / ١٩٥ / ح ٢٢ .

فَسَيَّرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ » وسكت، قال أبو بصير: إنّما عنى الأئمة عليهم السلام (١).

ورواه فى بصائر الدرجات عن أحمد بن محمد عن الأهوازى عن القاسم بن محمد عن البطائنى عن أبى بصير (٢).

و هذا الحديث أيضاً يشير مضافاً إلى الأحاديث السابقة إلى موقعه أبى الخطاب بالإضافه إلى كل من بريد ومحمد بن مسلم وأبى بصير، و أنهم كانوا يتلقون منه أهمّات مسائل المعارف عن الإمام عليه السلام كما حكى الشيخ الطوسى فى العده أن الطائفة كانت تعمل بما يرويه أبو الخطاب أيام استقامته. و هذا ليس روايه فحسب بل هو مقام تعليم وتلمذ كما لا يخفى.

ص: ٢٤٥

١- (١). الوسائل ١٦ / ١٠٩ / أبواب جهاد النفس / ب ١٠١ / ح ٩ .

٢- (٢). بحار الأنوار ١٧ / ١٥٠ .

روى الكشي قال: حدثني محمد بن قولويه والحسين بن الحسن بن بندار القمي قالوا: حدثنا سعد بن عبد الله قال حدثني محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن أن بعض أصحابنا سأله وأنا حاضر فقال له: يا أبا محمد ما أشدك في الحديث وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا فما الذي يحملك على رد الأحاديث؟ فقال: حدثني هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول:

لا تقولوا علينا حديثاً إلّأما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فإننا إذا حدثنا قلنا قال الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال يونس: وافيت العراق فوجدت بها قطعه من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ووجدت أصحاب أبي عبد الله عليه السلام متوافرين فسمعت منهم وأخذت كتبهم، فعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن يكون من أحاديث أبي عبد الله عليه السلام وقال لي:

إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله عليه السلام لعن الله أبا الخطاب وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله عليه السلام فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فإننا إن تحدثنا حدثنا بموافقه القرآن وموافقه السنة إننا عن الله وعن رسوله نحدث ولا نقول قال فلان وفلان فيتناقض كلامنا إن كلام آخرنا مثل كلام أولنا وكلام أولنا مصادق لكلام آخرنا، فإذا أتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردوه عليه وقولوا أنت أعلم وما جئت به. فإن مع كل قول منا حقيقه وعليه

نوراً، فما لا حقيقه معه ولا نور عليه فذلك من قول الشيطان(١).

وقال أيضاً: حدثني محمد بن مسعود قال حدثنا ابن المغيرة، قال حدثنا الفضل بن شاذان عن ابن أبي عمير عن حمّاد عن حريز عن زراره قال: - يعني أبا عبد الله -

إنّ أهل الكوفة قد نزل فيهم كذاب. أما المغيرة فإنّه يكذب على أبي - يعني أبا جعفر عليه السلام - قال: حدّثه أنّ نساء آل محمد إذا حضن قضين الصلاة وكذب و الله عليه لعنه الله ما كان من ذلك شيء ولا حدّثه وأمّا أبو الخطاب فكذب على وقال: إنّي أمرته أن لا يصلّي هو وأصحابه المغرب حتّى يروا كوكب كذا يقال له القندانى و الله إنّ ذلك لكوكب ما أعرفه(٢).

وروى الكشى أيضاً عن هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول:

كان المغيرة بن سعيد يتعمّد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحابه وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدسّ فيها الكفر والزندقه ويسنّدها إلى أبي ثمّ يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يشبّوها]

[يشبّوها]

فى الشيعة، فكلّما كان فى كتب أصحاب أبى من الغلو فذاك ما دسّه المغيرة بن سعيد فى كتبهم(٣).

وروى عن أبى يحيى الواسطى قال أبو الحسن الرضا عليه السلام :

كان المغيرة بن سعيد يكذب على أبى جعفر عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد(٤).

هذا، ويحتمل تفسير الكذب الوارد فى هذه الأخبار ودسّ الحديث بجمله من المحتملات:

الأول: ما مرّ كراراً من معنى إفشاء الحديث المتضمّن لغوامض المعارف

ص: ٢٤٧

١- (١). الكشى / ٢٩٨ / ح ٤٠١ .

٢- (٢). الكشى / ٣٠٠ / ح ٤٠٧ .

٣- (٣). رجال الكشى / رقم ٤٠٢ .

٤- (٤). رجال الكشى / رقم ٣٩٩ .

وإذاعته حيث إن إخبار الآخرين بالحديث وإسناده إلى الإمام يتضمّن أنه عليه السلام يلتزم حكاية ذلك المضمون للسامعين ويتعهّد لهم بالإخبار بذلك المضمون وهذا كذب على الإمام عليه السلام لأنه لم يلتزم الحكاياه لعامة الناس.

أو أنّ المراد بالكذب الحاصل بالإذاعه والنشر تسيب الإفشاء لعامة من لا يتحمّل تصوّر المعنى الصحيح لمضمون الخبر، فينطبع في ذهنه المعنى المقلوب الخاطيء فيكون الإفشاء سبباً لحصول تلك المعانى الفاسده في أذهان عامّة الناس وهى معان كاذبه فيكون الإفشاء كذباً عليهم.

أو أنّ الإفشاء يتلقّاه السفله وهم طلبّاء الرئاسات والزعامات وطلّاب السمع والجاه من ذوى النفوس الخسيسه التى لا يعينها طلب الحقيقه والهدايه وإنّما تحرص على التّراس كمقام فى المقامات المعنويه وجمع الأتباع والمريدين.

فالكذب هى إذاعه هذه الأحاديث، ودسّها هو القيام بنشرها فى الأصول الحديثيه وكتب الأصحاب.

ومّا يؤيد إرادته هذا المعنى ما رواه الكشى فى الصحيح عن زياد بن أبى الحلال قال: اختلف أصحابنا فى أحاديث جابر الجعفى فقلت لهم: أسأل أبا عبد الله عليه السلام فما دخلت ابتدأنى فقال:

رحم الله جابر الجعفى كان يصدق علينا لعن الله المغيره بن سعيد كان يكذب علينا(1).

حيث إنّ المقابله بين جابر والمغيره فى الوجه المشترك بينهما من حيث تصدّى كلّ منهما لروايه المعارف، إلّا أنّ أحد الفروق بينهما أنّ جابر كان كتوماً لما استودع من أحاديث لم يؤذن بنشرها وإنما كان ينشر ما أذن له بذلك، بخلاف المغيره حيث قام بنشرها وإذاعتها.

ص: ٢٤٨

فقد روى الكشى عن جابر بن يزيد الجعفى قال: حدّثنى أبو جعفر عليه السلام بسبعين ألف حديث لم أحدّث بها أحداً قط ولا أحدّث بها أحداً أبداً. قال جابر:

فقلت لأبى جعفر:

جعلت فداك إنك قد حملتني وقرأ عظيمًا بما حدّثتني به من سرّكم الذى لا أحدّث به أحداً فربّما جاش فى صدرى حتى يأخذنى منه شبه الجنون قال: يا جابر، فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجبان فاحفر حفيره ودل رأسك فيها ثم قل حدّثنى محمد بن على بكذا وكذا(١).

وروى أيضاً عن جابر أنّه قال: دخلت على أبى جعفر عليه السلام و أنا شاب ... ودفع إليّ كتاباً وقال لى:

إن أنت حدّثت به حتى تهلك بنو أمية فعليك لعنتى ولعنه آبائى وإذا أنت كتمت منه شيئاً بعد هلاك بنى أمية فعليك لعنتى ولعنه آبائى. ثم دفع إليّ كتاباً آخر ثم قال:

وهاك هذا فإن حدّث بشيء منه أبداً فعليك لعنتى ولعنه آبائى(٢).

ومعنى الحديث أنّه من غوامض المعرفة ما لا يصلح نشره أبداً لعامة الناس فلو قام جابر بمعصية الإمام ونشره بين الناس لصدر اللعن من الإمام عليه السلام فى حقّه والبراءة منه لما يوجب ذلك من انطباع معانٍ مقلوبه معكوسه عن حقيقته المعنى الأصلى الغامض مما يوجب إضلال الناس وحدوث الفرق الضالّة.

وهذا معنى المحتمل للكفر والزندقه التى يسندها المغيره إلى الباقر عليه السلام كما فى الحديث المتقدّم. وهو المحتمل أيضاً فى معنى قوله عليه السلام:

فكلّمنا كان فى كتب أصحاب أبى من الغلو فذاك ما دسه المغيره بن سعيد فى كتبهم.

لا سيما وقد مرّ فى روايه الحضينى فى كتاب الهدايه عن المفضّل بن عمر عن الصادق عليه السلام أنّه ما قال أحد فيهم بأنهم أرباب من دون الله بل جعلوهم عبيداً مربوبين مرزوقين وقالوا فى فضلهم ما شأوا ولم يدركوه(٣).

ص: ٢٤٩

١- (١). رجال الكشى / ح ٣٤٣ .

٢- (٢). رجال الكشى / ح ٣٣٩ .

٣- (٣). الهدايه الكبرى / ٤٣٢ .

فالغلو في تلك الأحاديث التي ينشرها المغيرة بمعنى الشطط في نشر أمور من المعرفة تنطبع بنحو خاطئ فاسد لدى عامّة الناس بطراز وثوب من المعاني المقلوبة التي فيها الكفر والزندقه.

وقد مرّت شواهد عديده على أنّ المغيرة وأبا الخطاب أذاعا سرّهم فأذاقهم الله حرّ الحديد نظير ما ورد في شأن المعلى بن خنيس أنه أذاع سرّهم فأذاقه الله حرّ الحديد(١). بل قد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في شأن المعلى قوله:

رحم الله المعلى

قد كنت أتوقّع ذلك لأنه أذاع سرّنا وليس الناصب لنا حرباً بأعظم مؤونه علينا من المذيع علينا سرّنا فمن أذاع سرّنا إلى غير أهله لم يفارق الدنيا حتى يعضّه السلاح أو يموت بخبل(٢).

وهذا الحديث يدلّ على أنّ المذيع عليهم سرّهم يؤذيه ويدخل الضرر عليهم والإضرار في شيعتهم نظير الناصب لهم حرباً وأنّ إذاقه حرّ الحديد هي من الحوب الذي يصيب من يذيع سرّهم وهو معنى الكذب.

وقد ورد في معنى كذب المغيرة وأبي الخطاب عليهم أنّهم يصيبهم حرّ الحديد فيكون الدعاء عليهم بإذاقه حرّ الحديد إشارة إلى أنّ معنى الكذب عليهم الإذاعه لسرّهم وقد مرّ لذلك شواهد عديده فلاحظ.

المحتمل الثاني: الخطأ في التأويل، فيسند التأويل الخاطيء إليهم عليهم السلام مع أنّ أصل المضمون هو شيء قد سمعه ورواه وتعلّمه من الإمام عليه السلام ، إلما أنّه فهمه بنحو خاطئ مقلوب فأل المعنى في ذهنه إلى إطار معكوس. ولربّما شاع وكثر هذا النمط من الكذب لدى الكثير نظير المغيرة بن سعيد وأبو الخطاب وبنان [بيان] وبزيع وأمثالهم.

وسياتى شواهد كثيره في أبي الخطاب دالّه على خطائه في فهم أسس وأصول قواعد كثيره في المعارف وسيأتى بعض نماذجها في المغيرة أيضاً.

ص: ٢٥٠

١- (١). الكشي / ح ٧٠٩.

٢- (٢). الكشي / ح ٧١٢.

وقد مرّ في مكاتبه الصادق عليه السلام للمفضّل من طعنه عليه السلام على الخطايه بهذا النمط من الكذب حيث قال:

إنّ هذا القول كان من قوم سمعوا ما لم يعقلوه عن أهله ...

فوضعوا حدود تلك الأشياء مقايسه برأيهم ومنتهى عقولهم ولم يضعوها على حدود ما أمروا كذباً وافتراءً على الله ورسوله(١).

ثم إنّ الخطأ في التأويل قد ينشأ من التقصير و ذلك بسبب خوض المغيره وأبى الخطاب وأمثالهم في تعاطى العلوم والفنون الغريبه، كما يشير إليه ما رواه الكشي عن عبد الرحمن بن كثير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لأصحابه:

لعن الله المغيره بن سعيد ولعن يهوديّه يختلف إليها يتعلّم منها السحر والشعبذه والمخاريق(٢).

الحديث.

حيث إنّ التعاطى مع هذه الأمور يسبّب انطباع معانٍ قاصره وفاسده وباطله عما يتلقونه من معارف حقيقه، و ذلك لقصور إدراك قوه الخيال عن المعانى العقلية والمعانى المجرّده فيصعب التجريد في الإسناد والتدقيق في الحقائق.

المحتمل الثالث: هو كذبهم في الأحكام الفقهيّه وقد وقع ذلك أيضاً منهم كثيراً، وفي البدء كان ذلك منهم بسبب قصور الفهم أو اعوجاج السليقه إلّا أنّهم بعد انفكاكهم عن تيار اتباع أهل البيت عليهم السلام بعد ظهور انحرافهم واشتداد المواجهه السياسيّه بينهم وبين السلطه الأمويّه والعباسيه ازداد شذوذهم الفقهي.

ومرّ قبل قليل ما رواه الكشي عن زراره في أنّ المغيره كان يقول إن نساء آل محمد إذا حضن قضين الصلاه وإن أبا الخطاب كان يقول إنّ الإمام أمره أن يؤخّر المغرب حتى يروا كوكب القنداني.

ص: ٢٥١

١- (١). بحار الأنوار ٢٤ / ٢٨٨ .

٢- (٢). رجال الكشي / ح ٤٠٣ .

قال الأعمش: «كان المغيرة يخرج إلى المقبره فيتكلم فيرى مثل الجراء على القبور»(١).

وعن الطبري: «ذكر أبو نعيم عن النضر بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قدم علينا رجل من أهل البصره يطلب العلم فكان عندنا فأمرت جاريتي يوماً أن تشتري لي سمكاً بدرهمين، ثم انطلقت أنا والبصرى إلى المغيرة بن سعيد فقال لي: يا محمد أتحب أن أخبرك لم افترق صاحبك؟ قلت: لا قال: أفتحب أن أخبرك لم سماك أهلك محمداً؟ قلت: لا، قال: أما إنك قد بعثت خادمك يشتري لك سمكاً بدرهمين قال: فنهضنا عنه. قال أبو نعيم وكان المغيرة قد نظر في السحر»(٢).

في الطبري في ذكر خبر مقتل المغيرة بن سعيد ونفر معه: «أما المغيرة بن سعيد فإنه كان - فيما ذكر - ساحراً. حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن الأعمش قال: سمعت المغيرة بن سعيد يقول: لو أردت أن أحيى عاداً أو ثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً لأحييتهم».

ويحتمل أن تكون هذه الأمور كرامات صدرت منهم أيام استقامتهم إلا أن العامه تقلب تلك الأمور عن وجهها وكأنها أفعال شعبذيه وتراثيات تخيلية في العين من قبيل الأمور السحريه كما طعنوا بذلك على جابر بن يزيد الجعفي، وإن

ص: ٢٥٢

١- (١). تجارب الأمم ٣ / ١٠٣، تاريخ الطبري ٧ / ١٢٨.

٢- (٢). تاريخ الطبري ٧ / ١٢٩.

كان جابر لا يقاس به هؤلاء حتى في ايام استقامتهم. وأما القول الأخير فلعله مفتري من العامه عليه.

ص: ٢٥٣

إشاره

١ - روى الكشى فى صحيحه أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

لعن الله عبد الله بن سبأ أنه ادعى الربوبيه فى أمير المؤمنين عليه السلام كان و الله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً الويل لمن كذب علينا وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله فى أنفسنا(١).

٢ - وروى أيضاً عن محمد بن قولويه القمى قال: حدثنى سعد بن عبد الله بن أبى خلف القمى قال حدثنى محمد بن عثمان العبدى(٢) عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سنان قال: حدثنى أبى عن أبى جعفر عليه السلام :

إنّ عبد الله بن سبأ كان يدعى النبوه ويزعم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالى عن ذلك فيبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله فأقرّ بذلك وقال: نعم أنت هو وقد كان ألقى فى روعى أنّك أنت الله وأنى نبى. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب. فأبى فحبسه واستتابه ثلاثه أيام فلم يتب فأحرقه بالنار وقال: إنّ الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقى فى روعه ذلك(٣).

أقول: الظاهر إنّ نسبه ادعاء التألّيه فى على لعبدالله بن سبأ ناشئه من أسباب ملتبسه عديده:

ص: ٢٥٤

١- (١). الكشى / رقم ١٧٢ .

٢- (٢). والصحيح محمد بن عيسى العبدى والظاهر وقوع التصحيف فى الكشى.

٣- (٣). الكشى / رقم ١٧٠ .

فلعل ما فى هذين الصحيحتين وكذا سائر ما ورد عنهم عليهم السلام من نسبة ادعاء ابن سبأ الربوبية فى أمير المؤمنين عليه السلام والنبوة فى حق نفسه هو ادعاء النيابة الخاصه والباية أى مقام الباب لنفسه لا التأليه حقيقه، وإنما عبروا بذلك مجاراه للعامه فى تسميه ذلك تأليهاً. إذ مقام النيابة الخاصه ينطوى على ادعاء أنه ملهم ومحدث - بالفتح - من قبل أمير المؤمنين عليه السلام فالمحدث والملهم - بالكسر - هو أمير المؤمنين عليه السلام .

وقد ورد نظير ذلك فى تعريف مقام سلمان كما رواه الكشى عن الصادق عليه السلام أنه فى الحديث الذى روى أن سلمان كان محدثاً قال:

إنه كان محدثاً عن إمامه لا يجوز به لأنه لا يحدث عن الله عزوجل إلا الحجة (١). وقد ورد أيضاً فى وصف سلمان أنه باب علم الوصى (٢).

و هذا المقام ادعاء عبد الله بن سبأ كذباً على أمير المؤمنين عليه السلام إلا أن حقيقه هذا المقام ليست هو دعوى النبوة من قبل عبد الله بن سبأ ولا ادعاء الألوهية فى على عليه السلام ، لأن هذا الإلهام فى النيابة الخاصه ليس من سنخ النبوة ولا من سنخ العلم اللدنى فى الإمامه بل هو من درجات الإلهام النازله عن ذلك. وعلى أى تقدير فادعاء هذا المقام ليس فى الحقيقه ادعاء للنبوة، ولكن حيث إن مثل هذا المقام ومعناه لم يكن بيتاً واضحاً فى الصدر الأول لا سيما لدى جمهور العامه الذين لا يعرفون من المقامات الغيبية إلا النبوة وأى مقام آخر يحسبون أنه كذلك، فمن ثم أطلقوا على ادعاء عبد الله بن سبأ أنه ادعاء النبوة وأن كون على ملهماً هو ادعاء ألوهيه على عليه السلام فجرى وشاع هذا الطعن على عبد الله بن سبأ.

وهذه الأحاديث صدرت منهم عليهم السلام مجاراه لما عند العامه، وإن كانت دعوى

ص: ٢٥٥

١- (١) . رجال الكشى / رقم ٣٤ .

٢- (٢) . رجال الكشى / رقم ٣٣ .

عبدالله بن سبأ فى الأصل كاذبه أيضاً، وسىأتى توضيح التقيه مجاراه فى نهايه المطاف. ونحن لا ننكر صدور الدم والتبرى منهم عليهم السلام تجاه عبد الله بن سبأ بسبب انحرافه وشططه، إلا أن الكلام هو فى تعيين جهه انحرافه فى الحقيقه لا بسبب ما اشتهر عند جمهور العامه.

قال فى البدء والتاريخ: «أما السبائيه فإنهم يقال لهم الطياره ... ومن الطياره قوم يزعمون أن روح القدس كانت فى النبى كما كانت فى عيسى ثم انتقلت إلى على ثم إلى الحسين ثم كذلك فى الأئمه، وعامه هؤلاء يقولون بالتناسخ والرجعه ومنهم من يزعم أن الأئمه أنوار من نور الله تعالى وأبعاض من أبعاضه وهذا مذهب الحلجيه»^(١).

و هذا النص التاريخى يبين بوضوح أكبر ويشهد على ما ادعينا من أن جملة طعون العامه وحكمهم بالكفر والزندقه على هذه الجماعات ناشى من تقاصر العامه عن فهم أوليات معارف القرآن وعقائد أهل البيت عليهم السلام، ككون الإمامه علماً لديناً وارتباطاً غيبياً وهو يغاير النبوه، وأن مريم تنزل عليها الملائكه وجبرائيل وإن لم تكن نبيه ولكنها حجه مصطفىاه صديقه، فضلاً عن أسرار وغوامض معارف أهل البيت عليهم السلام فروح القدس الذى يصرح القرآن بأنه أيد الله به نبيه عيسى^(٢) ونزله الله على سيد أنبيائه^(٣) يتوهمون منه أنه انتقال روح فى أشخاص متعددين فهو نمط من التناسخ عندهم.

كما أن مفهوم عقيدته الرجعه يظنون منها أنها تعنى عدم الموت والبقاء حياً إلى وقت الرجعه، كما أن القول بإسناد بعض الأفعال لأئمه أهل البيت عليهم السلام التى أسندها القرآن إلى بعض الأنبياء يتوهمون منها أنها تأليه لأئمه أهل البيت عليهم السلام.

ص: ٢٥٦

١- (١). البدء والتاريخ ٥ / ١٣٠.

٢- (٢). البقره ٢٥٣.

٣- (٣). النمل ١٠٢.

فالأزمه ههنا تكمن فى الفهم مضافاً إلى شدّه غضبهم على أمثال عبد الله بن سبأ ومغيره بن سعيد وغيرهما ممن يتشدّد فى الولاء لأهل البيت عليهم السلام والتبزى من الشيخين، فإنّ ذلك يزيد من الدواعى لدى علماء أهل السنه ورواتهم باختلاق الطعون والتكفير لهؤلاء بأدنى ذريعه، كيف وهم لا يتصوّرون حقيقه هذه المعارف ويتعاضمونها أن تكون ثابتة لأئمه أهل البيت عليهم السلام . فهذا الحال يشكّل الفرصه المناسبه لهم لإصدار الطعن والافتراءات والتكفير والزندقه وترويجه ضدّ هؤلاء، لا سيما أنّ مثل عبد الله بن سبأ ومغيره بن سعيد كانوا مفرطين فى إشعال الجدل والمواجهه مع العامه ففى مقابل ذلك يشتدّ تشنيع العامه لديهم إلى درجه عبأوا الرأى العام ضدّهم، حتى وصل الأمر إلى تصديق عامه الشيعة بتلك الطعون حول هؤلاء وكذا تصديق فقهاء رواه الإماميه لتلك الطعون على أمثال عبد الله بن سبأ والمغيره بن سعيد وأبى الخطاب.

بل وصل الأمر إلى تصديق مثل المفضل بن عمر الجعفى وهو من أصحاب المعارف وكان له انفتاح مع أبى الخطاب أيام استقامته.

ومما كترس هذه الطعون وقوع الانحراف لدى أتباع مثل عبد الله بن سبأ والمغيره وأبى الخطاب وكل ذلك كان بسبب تطرف عبد الله بن سبأ والمغيره فى نشر تلك المعارف وإذاعتها والحدّه فى جانب الموقف السياسى.

السبب الثانى: التدايعات الحكوميه لإفشاء غوامض المعارف وإظهار البراءه جهاراً

ويحتمل أن يكون معنى الكذب الذى ارتكبه عبد الله بن سبأ ليس فى ادعاء النيايه فحسب بل هو فى إظهار جملة من الأسرار أو الحقائق التى لا يتحمّلها جمهور العامه نظير الإجهار بعقيده وجود النصّ الإلهى على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام ووصايته أمام الملاء العام من جمهور التابعين حيث قد أخفى عن الكثير منهم ما كان جلياً فى الصدر الأوّل من الصحابه، و ذلك بفعل سياسات الخلفاء بعد النبى حيث منعوا من تدوين الحديث النبوى وأحرقوا مدونات

وكذلك إجهاره بالبراءه من أبى بكر وعمر أو اللعن و هذا لم يتحمّله الجوّ العام آنذاك. كيف؟ وقد ذكر فى بعض الروايات أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام أراد أن يمنع فى المسجد صلاه التراويح فتعالت صيحات: واعمره واعمره(١)، وقال عليه السلام:

قد عملت الولاه قبلى أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمّدين لخلافه ناقضين لعهد مغيرين لسنته لو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتفرق عنى جندى حتى أبقى وحدى أو قليل من شيعتى الذين عرفوا فضلى وفرض إمامتى من كتاب الله عزوجل وسنّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... (٢).

و هذا ممّا يدلّ على استحكام التقيّه وشده قبضه الرأى المخالف بحيث كان إظهار الحقائق بتسرّع وحده يوجب الإرباك الشديد وردّه الفعل المعاكسه بقوّه، وزياده التعصّب والعناد واللجاج بدل استقرار جوّ التحاور والبحث العلمى عن الحقيقه.

ومما يدعم استفاده ذلك من الروايات ما نقله النوبختى فى فرق الشيعه:

«السبائيه أصحاب عبد الله بن سبأ وكان ممن أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابه وتبرأ منهم وقال: إنّ علياً عليه السلام أمره بذلك، فأخذه على فسأله عن قوله هذا فأقرّ به فأمر بقتله فصاح الناس إليه يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءه من أعدائك فضيّره إلى المدائن.

وحكى جماعه من أهل العلم من أصحاب على عليه السلام أنّ عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقاله فقال فى إسلامه بعد وفاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى على بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامه على عليه السلام وأظهر البراءه من أعدائه وكاشف

١- (١). وسائل الشيعه / أبواب نافله شهر رمضان / باب ١٠ / ح ٢ .

٢- (٢). الكافى ٨ / ٥٩ / ح ٢١ .

مخالفه، فمن هناك قال من خالف الشيعة أنّ أصل الرفض مأخوذ من اليهودية»(١).

وقد نقل الكشى عبارته النوبختى مع تغيير فى بعض العبارات.

ويستفاد من كلام النوبختى أنّ منشأ الطعن على عبد الله بن سبأ هو الجهار بالطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والبراءة منهم، وقد مرّ أنّ الأجواء لم تكن تتحمّل مثل هذا الموقف وهذا ممّا يجدد ردّه الفعل بقوّه. كما أنّ هذا النص الذى نقله النوبختى يبيّن أنّ الكذب الذى قام به عبد الله بن سبأ على على هو فى ادّعاءه المأموريّه الخاصّه من قبل على والكذب الآخر على على عليه السلام أنّه أمره بالإجهار بالبراءة من الخلفاء الثلاثة، وهذا يدفع ما نسب إلى ابن سبأ الألوهية فى على، كيف وهو يجاهر بوصايه على لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأين الألوهية من ذلك؟ كما أنّه ليس فى ذلك ادعاء من ابن سبأ للنبوّه فى حقّ نفسه وإنّما ادعاءه بأنّ علياً أمره بأمر خاصّ وأنّه مأمور يشير إلى ادّعاءه النيابة الخاصّه المتضمّنه لدعوى الإلهام من الإمام. وهذا شاهد لحمل الصحيحتين المتقدّمتين وأمثالها من الروايات العديده على مجاراه العامه فى طعنهم على عبد الله بن سبأ تقيه وإن كان الطعن الحقيقى منهم عليهم السلام على عبد الله بن سبأ يغاير ما طعن عامه الجمهور على عبد الله بن سبأ.

وممّا يدعم عدم ادعاء عبد الله بن سبأ الألوهية فى على وعدم ادّعاءه النبوّه فى نفسه، وأنّ منشأ الطعن عليه هو مجاهرته بالبراءة والطعن على الشيخين فيكون تاركاً للتقيه فى تلك الحقبه الشديده ولا دين لمن لا تقيه له هو ما رواه الطبرى فى تاريخه قال:

«كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز، ثم البصره ثم الكوفه ثم

ص: ٢٥٩

الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر وقال لهم فيما يقول لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله عزوجل: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» فمحمد أحق بالرجوع من عيسى فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها.

ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصى وكان على وصى محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء ومن أظلم ممن لم يجز وصيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووثب على وصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتناول أمر الأمة إن عثمان أخذها بغير الحق وهذا وصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «(1)».

وهذا النص من الطبرى هو الآخر اعتراف بأن منشأ الطعن عند العامة على عبد الله بن سبأ هو جهاره وإفشائه بوصيه الرسول لعل بعدة فى الإمامه وهو الأمر الذى أخففته سلطه الخلافه وكثير من الصحابه على جيل التابعين.

فكشف الملقّات السابقه مما يثير حفيظه الجمهور ضده، كما أنّ طعنه على الخلفاء الثلاثة هو الآخر شدّد من طعن العامه على عبد الله بن سبأ. وأين دعوى الوصايه من الألوهيه فى على؟ و أين البراءه من الخلفاء من ادعاء النبوه؟ إذ البراءه منهما علله ابن سبأ بنبذهما وصيه رسول الله لعلى. وقد اعترف الطبرى بأن ابن سبأ لم يؤثّر على أهل الشام، أى أنّه استطاع أن يؤثّر فى البلدان الأخرى كالبصره والكوفه وحجاز ومصر ولا- يعقل أن يكون تأثيره فى تلك البلدان فى ادعاء الألوهيه لعلى والنبوه لنفسه، إذ الأمر الذى لا يقبله أهل الشام ويقبله سائر الأمصار ليس إلاموالاه على والبراءه من أعدائه، فإنّ أهل الشام عرفوا بعداوتهم لعلى وأهل البيت بسبب إضلال معاويه وبنى أميه لهم وتحريفهم عن مودّه أهل البيت عليهم السلام .

ومما يدعم ذلك أيضاً ما رواه ابن عساكر فى تاريخه قال:

ص: ٢٦٠

كان أصله من اليمن وكان يهودياً فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعه الأئمه ويدخل بينهم الشرّ ودخل دمشق لذلك في زمن عثمان ...

وحدّثنا عمرو بن مرزوق قال: حدّثنا شعبه عن سلمه بن كميل عن زيد بن وهب قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: مالي ولهذا الحميت الأسود يعنى عبد الله بن سبأ كان يقع في أبي بكر وعمر ثم روى في ذلك روايات عديده فيها تبرّى عبد الله بن سبأ من أبي بكر وعمر وأنه كان يجاهر بنسبه ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأنّ علياً عليه السلام أنكر عليه ذلك فصيّره إلى المدائن وقال لا تساكنتي في بلده أبداً. ثم قال ابن عساكر: وله أتباع يقال لهم السبائيّه يعتقدون إلهيّة علي بن أبي طالب وقد أحرقتهم علي عليه السلام بالنار في خلافته(١).

و هذا النصّ هو الآخر اعتراف بأنّ عبد الله بن سبأ لم تكن دعواه الألوهيه في علي ولا النبوه في نفسه وإنّما جاهر بالولاية لعلي والتبرّى من أعدائه بدون أن يراعى موازين التقيّه مما أربك تدبير الأمر علي أمير المؤمنين عليه السلام .

السبب الثالث: انحراف أتباع عبد الله بن سبأ

فإنّ نصّ ابن عساكر كالصريح في أنّ أتباع ابن سبأ ادّعوا الإلهيّة في علي و هذا نظير الانحراف الذي فشا في أتباع المغيره من المغيريه وأتباع أبي الخطاب من الخطايه بسبب إذاعه المغيره وابن أبي الخطاب لأسرار المعارف في مقامات أهل البيت عليهم السلام وكرامات الله لهم مما لا يستوعبه ولا يتحمّله عامّه الناس فينعكس لهم المعنى بنحو مقلوب ومعكوس بعيد عن الحقيقه والواقع فيتوهّموا في ذلك الألوهيّة في الأئمه عليهم السلام فتكون عمليه إذاعه وإفشاء ونشر تلك المعارف إضلال للعامّه بدل أن تكون هدايه لهم.

ولأجل ذلك تكون إذاعه تلك الأسرار كذب علي الأئمه لأن معانيها تنطبع

ص: ٢٤١

بصوره مكذوبه فى أذهان العامه و هذا هو المنشأ الثانى لنسبه ادعاء الألوهيه فى على والأئمه لعبد الله بن سبأ والمغيره وأبى الخطاب وأمثالهم.

شواهد أخرى للتقيه فى الروايات الصادره فى عبد الله بن سبأ

و شاهد آخر على لحن التقيه فى الروايات الصادره عنهم عليهم السلام أنه قد ورد عنهم فى روايات عديده إحراق على عليه السلام لعبد الله بن سبأ، مع أن الذى ورد فى نصّ النوبختى فى فرق الشيعه وجمله من مصادر العامه أنه عليه السلام هم بإحراقه ولكن جماعه تشفّعوا فيه فأطلقه ونفاه إلى المدائن وقد ذكر ابن أبى الحديد أن ابن عباس تشفّع فى عبد الله بن سبأ(١).

وقد رويت روايات عديده عنهم عليهم السلام من أن أمير المؤمنين عليه السلام أحرق جماعه ادّعوا فيه الربوبيه كجماعه من الزطّ بعد حرب الجمل إلّا أنه قتلهم بدخان تلك النار(٢). وقد مرّ فى مصادر السنّه روايه أن علياً عليه السلام أحرق جماعه من أتباع عبد الله بن سبأ.

إلّا أنه قد روى الشيخ الجليل حسين بن عبد الوهاب المعاصر للمفيد رحمه الله فى كتاب عيون المعجزات نقلاً من كتاب الأنوار تأليف أبى على الحسن بن همّام حدّث العباس بن الفضل قال حدّثنا موسى بن عطيه الأنصارى قال حدّثنا حسان بن أحمد الأزرق عن أبى الأحوص عن أبيه عن عمّار الساباطى قال: قدم أمير المؤمنين عليه السلام فى المدائن، ثم ذكر فيها معجزه تكلم أمير المؤمنين عليه السلام مع الجمجمه ونطقها جواباً له فانصرف القوم الذين كانوا معه من أهل ساباط إلى أهاليهم وأخبروهم بما كان وبما سمعوا من الجمجمه، فاضطربوا واختلفوا فى معنى أمير المؤمنين عليه السلام وحضروه وقال بعضهم فيه مثل ما قال النصارى فى

ص: ٢٤٢

١- (١). شرح نهج البلاغه ٥ / ٦ .

٢- (٢). رجال الكشى / رقم ١٧٥ .

المسيح و مثل ما قال عبد الله بن سبأ وأصحابه. فقال له أصحابه: فإن تركتهم على هذا كفر الناس.

فلما سمع ذلك منهم قال:

ما تحبون أن أصنع بهم؟ قال: تحرقهم بالنار كما أحرقت عبد الله بن سبأ وأصحابه. فأحضرهم وقال:

ما حملكم على ما قلتم؟ قالوا:

سمعنا كلام الجمجمه النخره ومخاطبتها إياك ولا يجوز ذلك إلا لله تعالى فمن ذلك قلنا ما قلنا. فقال عليه السلام :

ارجعوا إلى كلامكم وتوبوا إلى الله، فقالوا: ما كنا نرجع عن قولنا فاصنع بنا ما أنت صانع. فأمر أن تضرم لهم النار فحرقهم فلما احترقوا قال:

اسحقوهم واذروهم في الريح فسحقوهم وذرؤهم في الريح فلما كان يوم الثالث من إحراقهم دخل إليه أهل ساباط وقالوا: الله الله في دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم إن الذين أحرقتهم بالنار قد رجعوا إلى منازلهم أحسن ما كانوا. فقال عليه السلام :

أليس قد أحرقتموهم بالنار وسحقتموهم وذرئتموهم في الريح؟ قالوا: بلى، قال أحرقتهم والله أحياهم.

فانصرف أهل ساباط متحيرين(١).

ورواه أيضاً ابن جرير الطبري في نوادر المعجزات(٢) وحكاها السيد هاشم البحراني عن السيد المرتضى هذه الرواية(٣).

وروى هذه الرواية شاذان بن جبرئيل في كتابه الفضائل وذكر أنهم قالوا: «لولا أنه الرب وإلا كيف يحيى الموتى» نعم لم يذكر شاذان في ذيل الرواية من عود هؤلاء أحياء.

وعلى تقدير صحه مضمون الذيل يتبين أنه لم يكن دعواهم تأليه أمير المؤمنين وإنما كانت منهم إساءة أدب في كيفية نسبه الفعل وإسناد الصفة من لزوم تقييدها وإنما ياذن الله.

ص: ٢٤٣

١- (١). عيون المعجزات / ١١، عنه مستدرک الوسائل ١٨ / ١٤٨، كتاب الحدود/باب ٥/ ح ١.

٢- (٢). نوادر المعجزات / ٢١.

٣- (٣). مدینه المعاجز ١ / ٢٢٤.

ولربما كان غلوهم في التسميه؛ ومما يشهد لهذا الحمل في الروايات ما رواه الحضيبي في الهدايه الكبرى عن الصادق عليه السلام:

وأما الغالى فليس قد اتخذنا أرباباً من دون الله وإنما اقتدى بقولنا اجعلونا عبداً مربوبين مرزوقين فقولوا فى فضلنا ما شئتم فلن تدرکوا. قال المفضل: يا مولاي إن الغالى من ذکر أنکم أرباباً عند الشيعة من دون الله قال:

ويحك يا مفضل ما قال أحد فينا إلا عبد الله بن سبأ وأصحابه العشره الذين حرقهم أمير المؤمنين عليه السلام فى النار بالكوفه وموضع إحراقهم يعرف بصحراء الاخدود وكذا عذبهم أمير المؤمنين بعذاب الله وهو النار عاجلاً وهى لهم آجلاً. ويحك يا مفضل إن الغالى فى محبتنا نرده إلينا ويثبت ويستجيب والمقصره تدعوه إلى الإلحاق بنا والإقرار بما فضلنا الله به فلا يثبت ولا يستجيب ولا يلحق بنا(١).

و هذا الحديث وإن تضمن مجاراته عليه السلام لما توهمه المفضل بن عمر من أن معنى الغلو ادعاء الربوبيه فيهم وهو الشائع عند العامه إلا أن تخصيصه عليه السلام ذلك لعبد الله بن سبأ ونفيه عن بقيه الغلاه هو الآخر فيه إشاره إلى تخطئه هذا التوهم وهذه النسبه للغلاه وإن منشأ هذا التوهم والطعن على الغلاه بذلك هو إسنادهم هذه الأفعال العظيمه والصفات الكبيره إليهم عليهم السلام مما يوهم لدى الطرف المقابل ادعاء الربوبيه لتعاضم هذه الصفات والأفعال عند عامه الناس.

السبب الرابع: القول بالرجعه

ثم إنه يظهر من نصّ النوبختي والطبري المتقدمين وكذلك نصوص العامه أن أحد مناشئ الطعن بالغلو على عبد الله بن سبأ هو جهاره الشديد بعقيدته الرجعه، وعقيدته الرجعه فى نفسها تمثل إدانه صارخه لمشروع السقيفه والخلفاء الثلاثه وأحقيه أهل البيت عليهم السلام وأن الحق الذى غضب منهم يرجع إليهم وهذا ما لا يتحمّله جمهور العامه.

ص: ٢٤٤

وقد تشدد عبد الله بن سبأ في نشر روايات الرجعه إلى درجة حاول أرباب الجرح والتعديل والتراجم من أهل السنه أن ينسبوا هذه العقيدة القرآنيه إلى عبد الله بن سبأ وأنه هو الذى أسسها.

فقد ذكر ابن عساكر فى تاريخ مدينه دمشق لَمَّا بُويع على خطب الناس فقام إليه عبد الله بن سبأ فقال: أنت دابّه الأرض قال: فقال

اتّق الله فقال: أنت الملك فقال له:

اتق الله فقال له: أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق. فأمر بقتله، فاجتمعت الرافضه وقالت: دعه وأنفه إلى سباط المدائن (١).

ولا يخفى ما فى هذا النقل من التدافع فإن توصيف عبد الله بن سبأ بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو دابّه الأرض لا ينسجم مع دعوى التأليه فى على عليه السلام . وقد ورد فى طرق أهل البيت بل حتى فى طرق العامه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يخبر أصحابه وخواصّه أنه المراد من دابّه الأرض فى قوله تعالى: «وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ» ٢.

وهى من مقامات الإمامه ومن أكبر معالم الرجعه؛ وقد روى الفريقان فى شأن الدابّه أنّ معها عصا موسى وخاتم سليمان وأنها تجلى وجه المؤمن بنور الإيمان وتختم بالخاتم على خرطوم المنافق بالنفاق، ممّا يشير إلى دور دابّه الأرض فى تكامل تخليق طور الإنسان كملاً أو انطباعاً. وأنّ الأرض تفتح بركاتها بمجىء الدابه فينبسط الرزق للعباد. و هذا المعنى رواه الفريقان وليس فيه نحو من تأليه على؛ إلّا أنّ هذه المعانى لما كانت يثقل وعيه عند العامه بشكلها الصحيح تنطبع لديهم أنّها من أفعال الألوهيه. نعم، ظاهر روايه ابن عساكر هو ردّ أمير المؤمنين لعبد الله بن سبأ من إضلال الناس بإفشاء ما لا يحتملوه مما يعكس لديهم معانى باطله بغير ما للمعنى من حقيقه. و هذا هو الشذوذ والشطط الذى وقع فيه عبد الله

ص: ٢٦٥

بن سبأ والمغيره وأبو الخطاب وأمثالهم مما وُلد لدى أتباعهم وأتباع أتباعهم انحراف التأليه فى الأئمه عليهم السلام .

ومما يشهد على إصرار عبد الله بن سبأ لنشر هذه الغوامض من المعارف التى منها الرجعه فى جيل التابعين الأوّل واشتهاره بهذا الأمر ما ذكره ابن حبان فى كتاب المجروحين فى ترجمه جابر بن يزيد الجعفى أنّه كان سبئياً من أصحاب عبد الله بن سبأ وكان يقول إنّ علياً عليه السلام يرجع إلى الدنيا(١).

فترى أنّ جابر بن يزيد الجعفى رغم استقامته وجلالته حتى عند كبار العامه حيث يطرون عليه بالتعظيم والثناء إلّا أنّ ابن حبان طعن عليه بأنّه تابع لابن سبأ فى عقيدته الرجعه.

والملفت للنظر أنّ ابن حبان يعرّف السبائيه بعقيدته الرجوع والرجعه لا بتأليه على عليه السلام . وياترى هل يرى ابن حبان وأمثاله من رواد الجرح والتعديل عند الجمهور رجوع عيسى بن مريم إلى الأرض هو تأليه لعيسى بن مريم، مع أنّ هذه العقيدته نصّ القرآن الكريم.

وأيضاً ذكر فى ترجمه الكلبي قال: «و كان الكلبي سبئياً من أصحاب عبد الله بن سبأ من أولئك الذين يقولون إنّ علياً لم يمت وأنّه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعه فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»(٢).

ونظير ذلك ما ذكره النوبختي حيث قال: «وفرقه منهم قالت إنّ علياً لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ... وهذه الفرقه تسمى السبئيه أصحاب عبد الله بن سبأ»(٣).

ص: ٢٦٦

١- (١) . كتاب المجروحين ١ / ٢٠٨ .

٢- (٢) . كتاب المجروحين ٢ / ٢٥٣ .

٣- (٣) . فرق الشيعة / ٢٢ .

و هذا التفسير الخاطئ للرجعه بعدم الموت إمّا ناشئ من شطط عبد الله بن سبأ فى التأويل وإصابه المعنى الحقيقى للرجعه أو من خطأ ارتكبه أتباعه حيث شطّ بهم المقال أو أنه ناشئ من العامه فى معنى الرجعه وظنهم أنّ لازم القول بالرجوع هو عدم الموت.

والظاهر أنّ جمهور أهل السنه يتداعى لديهم وهماً أنّ لازم القول بالرجعه هو التأليه بظنّ أن الرجعه تستلزم عدم الموت والذى لا يموت هو الحى الذى لا يموت وهو البارى تعالى. و هذا الوهم الفاسد فى معنى الرجعه نظير ما توهمه النصارى فى معنى رجوع عيسى بن مريم وعدم موته أنّ لازمه تأليه النبى عيسى.

السبب الخامس: القول بالعلم اللدنى لعلى

حكى فى ميزان الاعتدال عن الجوزجاني قوله فى عبد الله بن سبأ أنه «زعم أنّ القرآن جزء من تسعه أجزاء وعلمه عند على فنهاه على بعد ما هم به»(١). وقال قبل ذلك عنه أنه من غلاه الزنادقه ضال مضلّ.

فيظهر من كلامه أنّ علماء العامه نسبوا التأليه إلى عبد الله بن سبأ لجملة من الأسباب التى تقدّمت والتى مرّ أنّها لا صلّه لها بالتأليه وإنّما عدم إدراكهم لحقيقتها توهموا أنّها قول بالتأليه.

كذلك الحال فى هذا الموضع فظنّوا أنّ القول بالعلم اللدنى لتأويل القرآن والكتاب وباطنه هو تأليه لعلى عليه السلام وزندقه و هذا ما ينبغى للباحث أن يكون على يقظه منه والتثبت من طعونهم، فإنّها مبنيه على رؤى كلاميه ذات بناء سطحى لا تعى ببصيره ثاقبه دقائق الأمور. و هذا ما نبهنا عليه مراراً فى الجزء الثانى من بحوث مبانى علم الرجال.

ص: ٢٤٧

وهى نحو من التقيه يلجأ إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام نتيجة الجور الضاغط عند العامه والجمهور، لا سيما فى ما تسالموا عليه إلى درجه تفشى هذا التسالم إلى قاعده ومشهور المؤمنين من الخاصه. كما فى موارد كثيره من نسبتهم أقوالاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم افتراء عليه وكذا أفعال فى سيرته أو فى أسباب نزول الآيات أو حوادث من سيرته صلى الله عليه وآله وسلم وكذا الحال فى أمير المؤمنين عليه السلام وبقية الأئمة المتقدمين عليهم السلام بل فى أشخاص آخرين كذلك، و ذلك بما تمتلكه سلطه الخلافة من أسباب الإعلام والدعايه وجماعات من أصحاب الأقلام وفنون الأدب من الشعر والقصص، فيتبعون الرأى العام ويصوّرون الأمور والأحداث كما يروق لهم.

وقد ذكر غير واحد من الكتاب والباحثين ومنهم ابن أبى الحديد عمّا تفعله السلطات من قلب الحقائق أو طمسها والتعقيم عليها أو تزييف وقائع لا أصل لها ولا وجود. وأمام هذا التسالم المزيف الذى لا أصل له فى الواقع والحقيقه يضطرّ أهل البيت عليهم السلام لنسبه تلك الأقوال أو الأفعال إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى الآخرين مجاراه لهم فى الأحاديث الصادره عنهم عليهم السلام اضطراراً لإيصال معانى أخرى أرادوا عليهم السلام إيصال فهمها للسامع أو السائل.

نظير ما هو ذائع وشائع لدينا فى هذا اليوم من محاربه ومقاومه صلاح الدين الأيوبي للصليبيين، مع أنّ المستندات التاريخيه التى كشف عنها غير واحد من الباحثين تشير إلى أنّ المحارب الحقيقى للصليبيين كانوا الفاطميين، ومجىء صلاح الدين وتقويضه لدوله الفاطميين إنما ساهم فى تضعيف المقاومه

والمحاربه للصليبيين. بل كانت تربطه بالصليبيين مفاوضات وتوافقات سرّيه وراء ستار. فلا يجرء كاتب أن يكشف الحقيقه وإلّا لشنّع عليه، فقد يضطرّ قائل أو متحدّث وكاتب أن يسلمّ بهذا الادّعاء في صلاح الدين و ذلك توصيلاً إلى تكديس وتأكيد روجيّه المقاومه والدفاع أمام الأعداء.

وقد مرّ في أبي الخطاب أنّ جملة من المعارف التي كان يرويها عنهم عليهم السلام إلى كبار رواه الشيعة كانت صحيحة مستقيمه، إلّا أنّه لما كانت أذهان جملة من كبار الرواه لا تستوعب حقيقه تلك المعارف وكان مرتكزاً لديهم أنّ هذا تأليهاً وانحرافاً كانوا عليهم السلام يتبرّؤون من تلك المعاني والمضامين ويستنكرونها.

ومرادهم عليهم السلام إنّما هو استنكار ونفي المعنى الخاطيء الذي يتداعى في ذهن الرواه من تلك الأحاديث الغامضه المضمون. وكان تفتيد المعنى الخاطيء لديهم عليهم السلام أهمّ من تبرئته الأشخاص من الطعون التي تنسب إلى أولئك الأشخاص.

وقد روى الكشي بسند صحيح عن عمر بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

زراره وبريد بن معاويه ومحمد بن مسلم والأحول أحبّ الناس إلى أحياء وأمواتاً ولكنهم يجيئونني فيقولون فلا أجد بداً من أن أقول(١).

وهذه الصحيحه وإن كانت في الأركان الأربعة ولا يقاس بهم بقيه الرواه الأجلاء فضلاً عن عبد الله بن سبأ والمغيره وأبو الخطاب ممّن قد شدّوا عن وصايا أهل البيت عليهم السلام وتوازن منهاجهم، إلّا أنّه إجمالاً مبين أن الأئمه عليهم السلام كانوا يبتلون بجو ضاغط من السلطه وجمهورها يضطرّهم إلى مجاراتهم في الطعن على أخصّ أصحابهم فكيف بمن هو دونهم، ولكن ذلك لا يعنى تقرير الأئمه عليهم السلام لذلك الطعن. ولربما كان لهم عليهم السلام مؤاخذه وطعن آخر يختلف نوعاً عن طعن العامه على نجوم الرواه لروايات أهل البيت عليهم السلام وفضلائهم الذي هو في

ص: ٢٦٩

الغالب تكفيرهم والحكم عليهم بالبدعه.

فتخطئه عبد الله بن سبأ والمغيره وأبو الخطاب وذمهم ونقدهم أو الطعن عليهم لا- يعنى تصحيحاً وتقريراً جدياً طعن العامه بتكفيرهم بل هو مجاراه صوريه للعامه. بل قد تتوسّع هذه المجاراه إلى مجاراه الأئمه عليهم السلام للمتعصبين فى الطعن حتى فى أتباعهم، كما يلاحظ فى ما روى عن الرضا عليه السلام فى قصه يونس بن عبد الرحمن وتشدّد بعض القميين فى الطعن عليه. وكذلك من بقيه الأئمه فى أشخاص آخرين يلاحظه المتتبع. فاللازم عدم الاعتراض بمجرد تقريرهم عليهم السلام لطفون مشتهره على بعض الرواه. وهناك جمله من كبار وأجله الرواه الفقهاء والمتكلمين من أصحاب الأئمه عليهم السلام ممن صدر فى حقهم اللعن تقيه كزراره وصفوان ومحمد بن سنان.

ص: ٢٧٠

أن الأئمة عليهم السلام قد يبرؤون من شخص ويلعنونه على نحو تقديري تعليقى لا تحقيقى بالفعل، فيظن السامع أنه من السنخ الثانى مع إرادتهم الأول، أى أن البراءة منهم عليهم السلام والطرده على تقدير صحه نسبه مقاله الفاسده لذلك الشخص وإرادته ذلك المعنى المنحرف فإنه يستحق اللعن والطرده عن الانتساب إليهم؛ لا أنهم عليهم السلام يقرون السائل فيما ينسبه إلى ذلك الشخص الذى لعن فى الظاهر وتبراً منه كما يتوهم السائل.

والحكمه فى اتخاذ هذا الأسلوب هو أهميه إبطال مقاله الفاسده المنطبعه فى ذهن السائل على أهميه تبرئه ساحه الشخص المنسوب إليه تلك مقاله؛ هذا من جانب.

ومن جانب آخر أنهم عليهم السلام لو تصدوا لتبرئه ساحه ذلك الشخص لربما زاد ذلك فى تعشعش وتغلغل فساد مقاله المنطبعه لدى السائل عن ذلك الشخص، فيتجذر الزيف أكثر ويتعمق هذا الانحراف، وهذا أصل وباب مهم فى معرفه مواقف الأئمة عليهم السلام تجاه مضامين المعارف التى تنسب إليهم بين موقف النفى والإثبات.

ونظير هذا الإنكار قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ» ١.

فإن البارى تعالى فى المحشر بدل أن يتصدى إلى تبرئه النبى عيسى عمّا

نسب إليه من مقاله فاسده تصدّى إلى إدانته مقاله الفاسده أولاً بغضّ النظر عن النفي والإثبات في نسبتها إلى النبي عيسى، و ذلك لأهمّيه تخطئه الانحراف وإدانته. مع أنّ أصل الحقيقة في تلك المسألة هي في جعل الله النبي عيسى كلمه الله وآيه للبارى تعالى كما بيّن ذلك في آيات أخرى، إلّا أنّ التصدّى إلى بيان المعرفه الغامضه في معنى كلمه الله وآيته قد يزيد الإيهام في المعنى الآخر الفاسد بدل أن يوضح الحقيقة لصعوبه فهم عامّه من في المحشر للطفه المعنى الحقيقي المستقيم.

ونظير ذلك نجده في قول موسى: «قال يا هارون ما مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَا بُنِّ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي» ١.

فإنّ تصدّى موسى لإدانته عباده العجل أهمّ لديه من تبرئه ساحه أخيه هارون من مدهنه المنحرفين من بنى إسرائيل ممّن عبدوا العجل. و هذا لا يعنى أنّ النبي موسى في صدد تقرير نسبه المدهنه للمنحرفين إلى أخيه هارون، إذ لو تصدّى إلى تبرئه أخيه لكان تضييعاً في بيان انحراف بنى إسرائيل.

١١ - الصراط المستقيم بين إفراط من طعن عليهم بالغلو وبين تفريط الاتجاه المعاكس لهم (بين نبذ الهدنة التعايش ونبذ التبري الباطل)

قال الله تعالى حاكياً عن موسى حيث رجع عن ميقات ربه فرأى أن الناس قد عبدوا العجل «قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إنني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي» ١.

و هذا المشهد القرآني ينطبق على موقف أهل البيت عليهم السلام تجاه كل من انحرف المسلمين عن اتباع وإمامه أهل البيت أو زيغ مقاله التي تنسب إلى من رموا بالغلو.

فنى النبي هارون فى حىن أنه أنكر على بنى إسرائيل عبادتهم للعجل واتباعهم للسامرى لم يصعد هذا الإنكار إلى المجابهة المسلحة مما يؤدى إلى تفرق أمه بنى إسرائيل، بينما نلاحظ هذا الخطأ فى تصعيد الإنكار عند المغيرة بن سعيد وأبى الخطاب وأمثالهم ممن كان لديهم غلو سياسى وتطرف فى الموقف الفقهى تجاه المخالفين لأهل البيت عليهم السلام . فإن الإنكار للباطل لا يعنى التفريط بوحده الأمه فى ظل الهدنة فيما بين فرقها، كما أن النبي هارون عصم من أن يقع فى انحراف آخر وهو الذوبان والسكوت عن عبده العجل من بنى إسرائيل تحت ذريعه الحفاظ على الوحده فى أمه بنى إسرائيل بدرجه يؤدى إلى التفريط فى

إنكار المنكر والتفريط في هداية العباد إلى الحق وإرشادهم إلى الصراط المستقيم، كما وقع في هذا الخطأ أصحاب شعار الوحده والتقريب في الأُمَّه الإسلاميه كالبتريه حيث إنهم أسقطوا التبري والبراءه من المنحرفين من صحابه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما جرى بعد وفاته من منهج السقيفه تحت ذريعه الحفاظ على الوحده الإسلاميه والتقريب بين طوائفها - كما سيأتي الحديث عنهم مفصلاً - مع أنّ الحفاظ على الوحده والتقريب بين أبناء الأُمَّه لا يستدعي إسقاط فريضه إنكار المنكر ولا إسقاط فريضه هداية العباد إلى الصراط المستقيم وإرشاد الناس إلى الحق وإلى سبيل النجاه في الآخره ولا إلى إسقاط حرمه إضلال العباد إلى طريق الهاويه.

بل الصحيح ما قام به النبي هارون من الحفاظ على كل من الفريضتين بشكل متوازن ومتعادل بدون إفراط ولا تفريط. فمن ثم أنكر على بنى إسرائيل انحرافهم في عباده العجل، لكنّه لم يصعد هذا الإنكار والإدانه إلى درجه الاشتباك المسلح وهدر دماء الطرف الآخر. و ذلك لأجل عدم التفريط بفريضه الوحده التعايشيه السلميه بين أمه بنى إسرائيل فقام بكلّ من الفريضتين بشكل متوازن ليس فيه إفراط ولا تفريط، وهذا بخلاف تطرف المغيريه والخطايه في الإنكار على المخالفين لمنهاج أهل البيت عليهم السلام إلى درجه المواجهه المسلحه وهدر الدماء الذى قام به المغيره بن سعيد وأبو الخطاب، وبخلاف التفريط الذى قام به البتريه من الاعتقاد بالولاء والتولّى لأهل البيت مع إسقاط التبري والبراءه من أعدائهم حتى بدرجه اللسان والقلب والفكر والتفكر تحت ذريعه الحفاظ على الوحده.

كما أن موقف النبي موسى كان بإدانه أصل الانحراف الكبير وهو عباده العجل بغضّ النظر عن الأطراف في ذلك الحدث وصحّه نسبه الانحراف إليهم نفيًا وإثباتًا.

وهذه الملحمه للنبي موسى وهارون وبنى إسرائيل ممن عبد العجل أشبه للملحمه موقف الأئمه عليهم السلام من أطراف الواقع الساحة الإسلاميه المختلفه.

إشاره

فإن تيار أبي الخطاب وأتباعه قد مهّدوا الأرضية لانحراف الناس بسبب إذاعتهم وإفشائهم جملة من المعارف التي لا يتحملها أوساط الناس مما يتداعى لديهم الانحراف في فهمها.

فقد روى الكليني عن عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن مالك بن عطية عن بعض أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال:

«خرج إلينا أبو عبد الله عليه السلام وهو مغضب فقال:

إنّي خرجت آنفاً في حاجه فتعرض لي بعض سودان المدينة فهتف بي لبيك يا جعفر بن محمد لبيك. فرجعت عودي على بدئي إلى منزلي خائفاً ذعراً ممّا قال حتّى سجدت في مسجدي لرّبي وعفرت له وجهي وذلت له نفسي وبرئت إليه ممّا هتف بي ولو أنّ عيسى بن مريم عدا ما قال الله فيه إذا لصمّ صمّاً لا يسمع بعده أبداً وعمى عمى لا يبصر بعده أبداً وخرس خرساً لا يتكلّم بعده أبداً ثم قال لعن الله أبا الخطاب وقتله بالحديد(١).

ص: ٢٧٥

وفى أصل زيد النرسى قال:

لَمَّا لُبِّي أَبُو الْخَطَّابِ بِالْكَوْفَةِ وَادَّعَى فِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا ادَّعَاهُ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ عَبْدِ بْنِ زُرَّارَةَ فَقُلْتُ لَهُ: جَعَلْتَ فِدَاكَ لِقَدْ ادَّعَى أَبُو الْخَطَّابِ وَأَصْحَابَهُ فِيكَ أَمْرًا عَظِيمًا إِنَّهُ لُبِّي بِلَيْتِكَ جَعْفَرُ لَيْتِكَ مَعْرَاجٌ، وَزَعَمَ أَصْحَابُهُ أَنَّ أَبَا الْخَطَّابِ أُسْرِيَ بِهِ إِلَيْكَ فَلَمَّا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ ذَلِكَ دُعِيَ إِلَيْكَ وَلِذَلِكَ لُبِّي بِكَ.

قال: فرأيت أبا عبد الله عليه السلام قد أرسل دمعته من حماليق عينيه وهو يقول:

يَا رَبِّ بَرِّتْ إِلَيْكَ مِمَّا ادَّعَى فِي الْأَجْدَعِ عَبْدُ بَنِي أَسَدٍ خَشَعُ لَكَ شَعْرِي وَبَشَرِي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ خَاضِعٌ ذَلِيلٌ. ثُمَّ اطَّرَقَ سَاعَهُ فِي الْأَرْضِ كَأَنَّهُ يَنَاجِي شَيْئًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

أَجَلَ أَجَلَ عَبْدٍ خَاضِعٍ خَاشِعٍ ذَلِيلٍ لِرَبِّهِ صَاغِرٍ رَاغِمٍ مِنْ رَبِّهِ خَائِفٍ وَجَلَّ لِي وَاللَّهِ رَبِّ أَعْبُدُهُ لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. مَا لَهُ - خِزَاهُ اللَّهُ وَأَرْعَبُهُ وَلَا - أَمِنْ رُوعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - مَا كَانَتْ تَلْبِيهِ الْأَنْبِيَاءَ هَكَذَا وَلَا تَلْبِيهِ الرَّسُلِ، إِنَّمَا لُبْتُ بِلَيْتِكَ اللَّهُمَّ لَيْتِكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ثُمَّ قَمْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالَ:

يا زيد إنما قلت لك هذا لاستقر في قبري يا زيد استر ذلك عن الأعداء (١).

وهذان الحديثان يبينان شطط أبي الخطاب في بعض سلوكياته وبعض تأولاته مما يوجب زيغ عامته الناس ويوهم لديهم الألوهية في أئمة أهل البيت عليهم السلام، وإن لم تكن التلبية في نفسها منحصرة في رسوم العبودية والتأليه، إذ قد ورد في بعض شعارات المسلمين في غزوهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليبيك داعي الله كما ورد ذلك في بعض الزيارات لسيد الشهداء عليه السلام كما هو الحال في السجود مع وقوعه من الملائكة لآدم بأمر من الله وسجود يعقوب وبنيه ليوسف.

إلا أن الأوساط المسلمة آنذاك لم يكن يتعقلها على وجه صحيح مما أدى إلى توهم الألوهية والربوبية في الأئمة عليهم السلام، وكان السبب لذلك إذاعه أسرار المعارف من قبل هذه الجماعه.

ص: ٢٧٦

١- (١). الأصول الستة عشر / أصل زيد النرسى / ١٩٢ / ح ١٦١، مستدرک الوسائل ٩ / ١٩٧.

وصيه الإمام الصادق عليه السلام لمؤمن الطاق ينهى عن إذاعه الأسرار

وهذه الوصيه تدلّ على بعض معانى الغلو التى مرّ ذكرها، لا سيما المعنى الثانى والثالث وأنّ المغيره وأبا الخطاب قد وقعا فى هذين اللونين من الغلو، وفيه أيضاً بيان لبعض دواعى الغلوّ والنهى عن إفشاء أسرار المعارف وإن كذبهما إنما كان فى إذاعتها للأسرار.

وقد رواه الحرانى فى التحف، وصيه الإمام الصادق عليه السلام لأبى جعفر محمد بن النعمان الأحول المعروف بمؤمن الطاق:

قال أبو جعفر: قال لى الصادق عليه السلام :

إِنَّ اللَّهَ جَلٌّ وَعَزٌّ عَيْرٌ أَقْوَاماً فِى الْقُرْآنِ بِالْإِذَاعَةِ فَقُلْتُ لَهُ: جَعَلْتَ فِدَاكَ أَيْنَ قَالَ؟ قَالَ: قَوْلُهُ: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ»

ثم قال: المذيع علينا سرّنا كالشاهر بسيفه علينا رحم الله عبداً سمع بمكنون علمنا فدفنه تحت قدميه. و الله إننى لأعلم بشراركم من البيطار بالدواب، شراركم الذين لا يقرؤون القرآن إلّا هجرًا، ولا يأتون الصلاة إلّا دبرًا، ولا يحفظون ألسنتهم.

إعلم أنّ الحسن بن على عليهما السلام لَمَّا طعن واختلف الناس عليه سلّم الأمر لمعاويه فسلمت عليه الشيعة: «عليك السلام يا مذلّ المؤمنين» فقال عليه السلام: «ما أنا بمذلّ المؤمنين ولكنى معزّ المؤمنين، إننى لما رأيتكم ليس بكم عليهم قوه سلّمت الأمر لأبقى أنا وأنتم بين أظهرهم، كما عاب العالم السفينه لتبقى لأصحابها وكذلك نفسى وأنتم لنبقى بينهم».

يابن النعمان إننى لأحدّث الرجل منكم بحديث فيتحدّث به عنى فاستحلّ بذلك لعنته والبراءه منه فإنّ أبى كان يقول: «وأى شىء أقرّ للعين من التقيه، إنّ التقيه جنّه المؤمن ولولا التقيه ما عبد الله».

وقال الله عزوجلّ: «لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً».

يابن النعمان إياك والمرء فإنّه يحبط عملك، وإياك والجدال فإنّه يوبقك، وإياك وكثره الخصومات فإنها تبعيدك من الله. ثم قال: إنّ من كان قبلكم كانوا يتعلّمون الصمت وأنتم

تتعلّمون الكلام وكان أحدهم إذا أراد التعبد يتعلّم الصمت قبل ذلك بعشر سنين فإن كان يحسنه ويصبر عليه تعبد وإلا قال: ما أنا لما أروم بأهل. إنما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء وصبر في دوله الباطل على الأذى أولئك النجباء الأصفياء الأولياء حقاً وهم المؤمنون.

إن أبغضكم إلى المترسون (١) المشاؤون بالنمائم، الحسده لإخوانهم، ليسوا مني ولا أنا

منهم، إنما أوليائي الذين سلّموا لأمرنا وأتبعوا آثارنا واقتدوا بنا في كل أمورنا، ثم قال: واللّه لو قدّم أحدكم ملء الأرض ذهباً على الله ثم حسد مؤمناً لكان ذلك الذهب مما يكوى به في النار.

يابن النعمان إن المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً. يابن النعمان إنّه من روى علينا حديثاً (٢) فهو ممن قتلنا عمداً ولم يقتلنا خطأ.

يابن النعمان إذا كانت دوله الظلم فامش واستقبل من تتقيه بالتحية، فإن المتعرض للدوله قاتل نفسه وموبقها إن الله يقول: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»

يابن النعمان إنّنا أهل بيت لا يزال الشيطان يدخل فينا من ليس منا ولا من أهل ديننا، فإذا رفعه ونظر إليه الناس أمره الشيطان فيكذب علينا وكلّمنا ذهب واحد جاء آخر.

يابن النعمان من سئل عن علم فقال: لا أدري فقد ناصف العلم والمؤمن يحقد ما دام في مجلسه، فإذا قام ذهب عنه الحقد.

يابن النعمان إنّ العالم لا يقدر أن يخبرك بكل ما يعلم، لأنّه سرّ الله الذي أسره إلى جبرئيل عليه السلام وأسره جبرئيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأسره محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليّ عليه السلام وأسره عليّ عليه السلام إلى الحسن عليه السلام وأسره الحسن عليه السلام إلى الحسين عليه السلام وأسره الحسين عليه السلام إلى عليّ عليه السلام وأسره عليّ عليه السلام إلى محمد عليه السلام وأسره محمد عليه السلام إلى من أسره، فلا تعجلوا فوالله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرّات فأذعتموه، فأخره الله، والله ما لكم سرّ إلا وعدّوكم أعلم به منكم.

ص: ٢٧٨

١- (١). في بعض النسخ: المترسون.

٢- (٢). في بعض النسخ: روى علينا حديثنا.

يابن النعمان إبق على نفسك فقد عصيتني، لا تدع سرّي، فإنّ المغيره بن سعيد كذب على أبي وأذاع سرّه فأذاقه الله حرّ الحديد. وإنّ أبا الخطاب كذب عليّ وأذاع سرّي فأذاقه الله حرّ الحديد. ومن كتم أمرنا زينه الله به في الدنيا والآخرة وأعطاه حظه ووقاه حرّ الحديد وضيق المحابس.

إنّ بنى إسرائيل قحطوا حتى هلكت المواشى والنسل فدعا الله موسى بن عمران عليه السلام فقال: يا موسى إنهم أظهروا الزنا والربا وعمروا الكنائس وأضاعوا الزكاه، فقال: إلهي تحنن برحمتك عليهم فإنهم لا يعقلون، فأوحى الله إليه: إني مرسل قطر السماء ومختبرهم بعد أربعين يوماً فأذاعوا ذلك وأفشوه، فحبس عنهم القطر أربعين سنة وأنتم قد قرب أمركم فأذعتموه في مجالسكم.

يا أبا جعفر ما لكم وللناس كّفوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى هذا الأمر فو الله لو أنّ أهل السماوات]

والأرض]

اجتمعوا على أن يضلّوا عبداً يريد الله هداه ما استطاعوا أن يضلّوه. كّفوا عن الناس ولا يقل أحدكم: أخى وعمى وجارى، فإنّ الله جلّ وعزّ إذا أراد بعبد خيراً طيب روحه فلا يسمع معروفاً إلّا عرفه ولا منكراً إلّا أنكره، ثم قذف الله في قلبه كلمه يجمع بها أمره.

يابن النعمان إن أردت أن يصفو لك ودّ أخيك فلا تمازحنه ولا تماريته ولا تباهينه ولا تشارنه ولا تطلع صديقك من سرّك إلّا على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرك فإنّ الصديق قد يكون عدوك يوماً.

يابن النعمان لا يكون العبد مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث سنن: سنه من الله وسنه من رسوله وسنه من الإمام. فأما السنّه من الله جلّ وعزّ فهو أن يكون كتوماً للأسرار يقول الله جلّ ذكره: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً»

، وأما التي من رسول الله عليه السلام فهو أن يدارى الناس ويعاملهم بأخلاق الحنيفيه، وأما التي من الإمام فالصبر في البأساء والضراء حتى يأتيه الله بالفرج. يابن النعمان ليست البلاغه بحده اللسان ولا بكثرة الهذيان ولكنّها إصابه المعنى وقصد الحجّه.

ص: ٢٧٩

يابن النعمان من قعد إلى سَابِّ أولياء الله فقد عصى الله، ومن كظم غيظاً فينا لا يقدر على إمضائه كان معنا في السنام الأعلى
ومن استفتح نهاره بإذاعه سرِّنا سلَّط الله عليه حرَّ الحديد وضيق المحابس.

يابن النعمان لا تطلب العلم لثلاث: لترائي به ولا لتباهي]

[به]

ولا لتمازى، ولا تدعه لثلاث: رغبه في الجهل، وزهاده في العلم، واستحياء من الناس والعلم]

[ال]

مصون كالسراج المطبق عليه.

يابن النعمان إنّ الله جلّ وعز إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكته بيضاء فجال القلب بطلب الحق، ثم هو إلى أمركم أسرع من
الطير إلى وكره.

يابن النعمان إنّ حبنا أهل البيت ينزله الله من السماء من خزائن تحت العرش كخزائن الذهب والفضة ولا ينزله إلّا بقدر، ولا يعطيه
إلّا خيراً الخلق وإنّ له غمامه كغمامه القطر فإذا أراد الله أن يخصّ به من أحبّ من خلقه أذن لتلك الغمامه فتَهطّلت كما تهطّل
السحاب فتصيب الجنين في بطن أمّه (١).

وفى هذه الوصيه لمؤمن الطاق - المعروف بقوّه مجادلته مع أهل الخلاف حتى أنّهم عجزوا عن منازلته و كانوا يلقّبونه بشيطان
الطاق - يبيّن أنّهم عليهم السلام يتشدّدون في تحريم الإذاعه والإفشاء وكشف أسرار المعارف ومكنون علمهم، وأنّ هناك
جملة من النقاط تشهد في هذه الوصيه لما قدّمناه من معنى الغلوّ والكذب وإنّ شطط المغيره وأبى الخطاب هو إذاعتهم للأسرار:
الأولى: قوله عليه السلام :

يابن النعمان إنّى لأحدث الرجل منكم بحديث فيتحدّث به عنى فاستحلّ بذلك لعنته والبراءه منه.

وهذا يبيّن أنّ من صدر في حقّه اللعن منهم أو أمروا شيعتهم بالبراءه منه لا يستلزم أن يكون ما حدّث عنهم مخالفاً للواقع، وأنّ
لعنه بسبب مخالفته للتقيه

ص: ٢٨٠

وإضراره بهم كالشاهر بسيفه عليهم كما أشير إلى ذلك في صدر الوصيه، وأنّ الأمر بالبراءه منه لأجل التقيه وئلا يضرّ بهم وبشيعتهم، ولأجل أن لا يفشوا وتنتشر الحديث الذي أفشاه وأذاعه.

الثانيه: قوله عليه السلام :

يابن النعمان إياك والمراء ... وإياك والجدال ... وإياك وكثره الخصومات يشير إلى أنّ جملة ممن يفرط في إذاعه مكتوم علمهم إنما وقع لأجل حبّ الغلبه وقد استثاره جوّ الخصام، كما أنّ قوله عليه السلام :

إنّ أبغضكم إليّ المتراسون (المترئسون) يبيّن أنّ الداعى لإفشاء الحديث هو حبّ الظهور وحبّ الرئاسة نظير قوله عليه السلام :

يابن النعمان إنّنا أهل بيت لا- يزال الشيطان يدخل فينا من ليس منّا ولا من أهل ديننا فإذا رفعه ونظر إليه الناس أمره الشيطان فيكذب علينا وكلّما ذهب واحد جاء آخر.

الثالثه: قوله عليه السلام :

يابن النعمان إنّ العالم لا يقدر أن يخبرك بكلّ ما يعلم لأنّه سرّ اللّهاليّ قوله عليه السلام :

و الله ما لكم سرّ إلا وعدوكم أعلم به منكم.

يدلّ على أنّ هناك شطر كبير من الحقيقه لا يمكن إفشائه وإذاعته لأنّ الناس لا يتحمّلون وعيه وفهمه، من دون أن يكون ذلك العلم المكنون بالحقيقه فيه شيء من الزيف أو الباطل لكنّ الناس حيث لا قابليه لهم في إدراكه على الوجه الصحيح يتأولونه على الوجه الباطل.

الرابعه: قوله عليه السلام :

يابن النعمان ابق على نفسك فقد عصيتني لا تدع سرّي، فإنّ المغيره بن سعيد كذب على أبي وأذاع سرّه فأذاقه الله حرّ الحديد، وإنّ أبا الخطّاب كذب علىّ وأذاع سرّي فأذاقه الله حرّ الحديد، ومن كتم أمرنا زينه الله به في الدنيا والآخره وأعطاه حظه ووقاه حرّ الحديد وضيق المحابس.

صريح في أنّ الكذب هو في إفشاء ما ينبغي كتمانها، وأنّ استعمال الكذب في هذا المعنى نظير ما في قوله تعالى: «اللّه أذن لكم أم علىّ اللّه تفترون» حيث تبيّن أنّ ما لم يؤذن بإعلانه والتصريح به يكون فريه، لأنّه تقمّص صلاحيه خاصّه في النطق الرسمي وهو ليس بأهل لها، وإنّما تقمّصها وادّعاها فيكون كاذباً بذلك. كما

أنه صريح في أن رؤوس الغلامه غلّوهم هو إفراطهم في الإفشاء والإعلان لما ينبغي كتمانها وإن تأوله المخالفون بالباطل وبادعاء الألوهيه والنبوه.

ونظير ذلك ورد في المعلى بن خنيس أنه قتل وذاق حرّ الحديد لأنه أذاع سرّهم مع صلاح حاله.

وتحذيره عليه السلام مؤمن الطاق عن أن يكون مثل المغيره وأبى الخطّاب إنّما هو فيما يجره عليه السلام مراراً عن إذاعه السرّ وإعلان وإفشاء مكتوم علمهم.

الخامسه: قوله عليه السلام :

إنّ بنى إسرائيل قحطوا حتى هلكت المواشى والنسل فدعا الله موسى بن عمران عليه السلام فقال: يا موسى ... وأنتم قد قرب أمركم فأذعتموه في مجالسكم.

وهذه فقره من كلامه عليه السلام تؤكّد الجبهه الأصليه التي صيغت لها الوصيه وهي ما تسببه الإذاعه والإفشاء وكشف الأسرار من مخاطر وآثار سلبيه تؤدّي إلى النقمه الإلهيه والمعالجه بالحوبه، كما تشير إليه الآيه الكريمه التي أشار عليه السلام إليها في صدر كلامه: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهِ» حيث تدل على أنّ هناك من الأمور إذاعتها مما يمسّ بالأمن عموماً ويسبّب وقوع ما يحذر منه.

ومثّل عليه السلام لذلك بما وقع في بنى إسرائيل عندما أصابهم القحط بسبب المعاصى فدعا نبى الله موسى بن عمران ربّه ليعفو عنهم ذلك فواعده الله تعالى بالإجابه بعد أربعين يوماً، فقام بنو إسرائيل بإذاعه هذا الوعد الإلهى وهو مما يسبّب الإغراء بأهل المعاصى ويمدّهم في غيهم، لأن من يأمن العقوبه يسىء الأدب، فإذا عه هذا الوعد الإلهى سبب مثل هذه التدايعات السلبيه فسبّب ذلك أن حبس الله عنهم القطر أربعين سنه و هذا من تدايعات الإذاعه والإفشاء للأسرار الإلهيه التي يسوس الله عزوجل بها عباده.

ثمّ ذكر عليه السلام أنّ قيام دولتهم عليهم السلام وهو مما يعبر عنه بالظهور أو دوله الرجعه قد قدر الله عزوجل قرب وقوع قيامها وفي بعض الروايات عدّه مرات إلّا أنّ الشيعة أفشت وأذاعت ذلك مما سبّب إفشال ذلك التوقيت.

ويؤكد ذلك في قوله عليه السلام :

ما لكم وللناس كفوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى هذا الأمر وقوله عليه السلام :

ولا تطلع صديقك من سرّك إلّاعلى ما لو اطلع عليها عدوك لم يضرك قوله عليه السلام :

لا يكون العبد مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث سنن: سنه من الله وسنه من رسوله وسنه من الإمام فأما السنه من الله جلّ وعز فهو أن يكون كتوماً للأسرار يقول الله جل ذكره: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا» .

السادسه: بيانه عليه السلام لدواعى الغلو بالمعنى الثانى والثالث وهو ما مرّ من قوله عليه السلام :

كفوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى هذا الأمر فو الله لو أنّ أهل السماوات والأرض اجتمعوا على أن يضلّوا عبداً يريد الله هداه ما استطاعوا أن يضلّوه ... وهذا بيان لأحد أسباب الإذاعه والإفشاء وهو الحرص على هدايه الناس ودعوتهم إلى الحق، فأراد عليه السلام أن يبيّن أنّ الشدّه فى الحرص على أداء هذه المسؤوليه يؤدّى إلى الإفراط بوظائف ومسؤوليات أخرى والتي منها التقية والحذر من كيد الأعداء وإطلاعهم على جملة من الأمور يوطّد لهم الكيد والإضرار بمدرسه أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم.

و مثل ذلك قوله عليه السلام فى السنن التى ينبغى أن تكون فى المؤمن:

وأما التى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو أن يدارى الناس ويعاملهم بالأخلاق الحنيفيه وأما التى من الإمام فالصبر فى البأساء والضراء حتى يأتيه الله بالفرج وقوله عليه السلام :

يا بن النعمان ليست البلاغه بحدّه اللسان ولا بكثره الهذيان ولكنها إصابه المعنى وقصد الحجّه وفى كلامه عليه السلام هذا تأكيد على لزوم مراعاة المداراه مع أهل الخلاف والتعامل معهم بالأخلاق ولزوم اعتماد رباطه الجأش واعتماد الحكمة فى التدبير وعدم الاستشاطه بإغاطه وإثاره من قبل الطرف الآخر.

وقوله عليه السلام أيضاً:

من كظم غيظاً فينا لا يقدر على إمضائه كان معنا فى السنام الأعلى ومن استفتح نهاره بإذاعه سرّنا سلّط الله عليه حرّ الحديد وضيق المحابس.

وكذا ما فى ذيل وصيته عليه السلام من قوله:

إنّ الله جلّ وعزّ إذا أراد بعبد خيراً نكث فى

قلبه نكته بيضاء فجال القلب بطلب الحق ثم هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره يابن النعمان إنَّ حيناً أهل البيت ينزله الله من السماء ... ولا يعطيه إلّا خير الخلق.

وهذه التوصيات المتعدده كلها لتهدئه أسباب الإفراط والغلو في كيفية الدعوه إلى الحق وهدايه الناس وإفشاء المكنون من علومهم وحقائق معارفهم.

نماذج من سلبات الإذاعه

ولنذكر هنا بعض النماذج من سلبات الإذاعه التي قام بها أولئك الفرق ممّا أثر في انحراف الناس وزيفهم عن الصراط المستقيم:

اتهام العامه المختار وجملة بأنهم يدعون النبوه بسبب إذاعتهم للأسرار وادعائهم النيابة الخاصه والإلهام فيهاقال في البدء والتاريخ: «وادعى النبوه من أهل الكوفه جماعه منهم المختار بن عبيد كتب إلى الأحنف بن قيس: بلغنى أنكم تكذبوننى ولئن كذبتمونى فقد كذبت الأنبياء قبلى ولست خيراً من كثير منهم. قيل لابن عمر: إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه فقال: صدق وحي الشيطان.

وكان منهم أبو منصور الخناق وكان يتولى سبعة أنبياء من بنى قريش وسبعة من بنى عجل.

وكان منهم المغيره بن سعيد وسأله رجل عن أمير المؤمنين على فقال: لا تحتمله قال: بل أحتمله قال: فذكر آدم ومن دونه من الأنبياء فلم يذكر أحداً منهم إلّا فضل علياً رضى الله عنه حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: فقلت: كذبت، قال: قد أخبرتك أنك لا تحتمل(1).

قد أشرنا في غير موضع أن حجم الطعون التي ذكرها العامه على المختار والمغيره وأمثالهما كانت بسبب عدّه عوامل أبرزها قصور العامه عن فهم معارف

ص: ٢٨٤

أهل البيت، وثانيها تطرّف هؤلاء فى إذاعه الأسرار والجهار بالبراءه من الشيخين وثالثها ادعاء الكاذب لهؤلاء بالنيابه الخاصه وهى عباره عن ارتباط الهامى مع المعصوم مضافاً إلى تفشى بعض الانحرافات لدى أتباع هؤلاء مما كرس طعن العامه عليهم.

ومما يشير إلى ذلك ما رواه الكشى عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام :

إننا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصدق البريه لهجه وكان مسيلمه يكذب عليه وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان الذى يكذب عليه ويعمل فى تكذيب صدقه بما يفترى عليه من الكذب عبد الله بن سبأ لعنه الله وكان أبو عبد الله الحسين بن

على عليه السلام قد ابتلى بالمختار - ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامى وبيان فقال: كانا يكذبان على بن الحسين عليه السلام ثم ذكر المغيره بن سعيد وبزيعاً والسرى وأبا الخطاب ومعمرأً وبشاراً الأشعري وحمزه البربرى وصائد النهدي فقال: لعنهم الله إننا لا نخلو من كذاب أو عاجز الرأى كفانا الله مؤونه كل كذاب وأذاقهم حرّ الحديد(1).

والجامع بين هؤلاء هو إذاعتهم لأسرار أهل البيت وكذبهم فى ادعاء النيابة الخاصه وخطأهم فى التأويل بقصورهم عن درك كنه المعارف كما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

عاجز الرأى. وقد مرّ أنّ ذوق حرّ الحديد عقوبه تكويته لإفشاء أسرار المعارف.

كما يظهر من هذا الحديث وجمله من الروايات أن مسيلمه الكذاب لم يكن يدعى النبوه كما اشتهر فى مصادر السنه وإنما كان يدعى مقاماً آخر كالنيابه الخاصه ونحوها؛ ومن ثم عبّر عنه فى تلك الروايات بأنه يكذب على النبى و لو كان يدعى النبوه لكان مكذباً للنبى مما يدل على أنه كان يسند أقوالاً إلى سيد الأنبياء ويدعى

ص: ٢٨٥

نحو ارتباط معه صلى الله عليه وآله وسلم ، بل السنه أيضاً قد رووا أنه كان قد التقى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فتره استقامته وكان قد مدحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

التفاف السفله حول أبى الخطاب

فقد روى الكشى عن حمدويه قال: حدّثنا يعقوب بن يزيد عن العباس القصبانى ابن عامر الكوفى عن المفضّل، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

أتق السفله واحذر السفله، فإننى نهيت أبا الخطاب فلم يقبل متى (١).

وقال الصدوق: السفله: من ادعى الإمامه وليس بأهل (٢) وفى بعض الروايات:

متهتك جرىء ليس ذا أخلاق جميله. أى ذا أخلاق رذيله.

وبعبارة أخرى: إن طلاب الرئاسة الدنيويه عن طريق الزعامه المعنويه أكثرهم يلتصقون بأصحاب المقامات العلميه المعرفيه المعنويه كى يتسلقوا من خلالهم إلى الوجاهه بين الناس ثم يتفشى نشر جهالاتهم وأهوائهم بلباس مفاهيم ومعانى معرفيه فيجرّ من التفوا حوله إلى المتاهات والورطات الانزلاقيه.

وقد مرّ أن إذاعه أسرار المعارف هى التى تولّد للسفله ثروتهم الأعلى فى سبيل طموحاتهم وتسلّطهم على قلوب الناس ورقابهم.

وقوع التحريف فى المقالات المنسوبه لأبى الخطاب لقصور الفهم عنها

فقد روى الكلينى عن على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن عمر بن أذينة عن زراره قال: حدّثنى أبو الخطاب فى أحسن ما يكون حالاً قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: «وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» فقال:

وإذا ذكر الله وحده بطاعه من أمر الله بطاعته من آل محمد اشمازّت قلوب

ص: ٢٨٦

١- (١). الكشى / ٣٦٣ / ح / ٥٢٠ .

٢- (٢). من لا يحضره الفقيه ٣ / ١٦٥ .

الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين لم يأمروا بالله بطاعتهم إذا هم يستبشرون(١).

وطريق هذا الحديث من الصحيح الأعلاني، وهو يبين دقة التأويل الذي فهمه وفطنه أبو الخطاب من الإمام عليه السلام واستقامته بحسب الموازين إلماناً حبيب الأحول بن المعلل الخثعمي - رغم جلالته ووثاقته وكونه صاحب أصل يرويه عنه ابن أبي عمير - قد صعب عليه فهم ذلك التأويل كما يشير إليه ما رواه الصفار.

فقد روى الصفار عن أحمد بن محمد بن العباس بن معروف عن الحجال عن حبيب الخثعمي قال: ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام ما يقول أبو الخطاب فقال:

اذكر لي بعض ما يقول. قلت في قول الله عز وجل: «وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ» إلى آخر الآية يقول: «إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ» أمير المؤمنين عليه السلام، «وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» فلان وفلان فقال أبو عبد الله عليه السلام:

من قال هذا فهو مشرك - ثلاثاً - أنا إلى الله منه برىء - ثلاثاً - بل عنى الله بذلك نفسه.

وأخبرته بالآية التي في حم «ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ» ثم قال:

قلت: يعنى بذلك أمير المؤمنين عليه السلام. قال أبو عبد الله عليه السلام:

من قال هذا فهو مشرك - ثلاثاً - أنا إلى الله منه برىء - ثلاثاً - بل عنى بذلك نفسه بل عنى بذلك نفسه(٢).

ويستفاد من هذه الأحاديث جملة من النقاط:

الأولى: أن زواره بن أعين مع جلالته وعظم فقاوته كان يأخذ المعارف من أبي الخطاب أيام استقامته ما كان يرويه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. وهذا يشير إلى تقدم أبي الخطاب في درجه المعرفه والحظوه أيام استقامته عند أبي عبد الله عليه السلام.

مع أن زواره لم يرو عن أبي بصير ولا أبان بن تغلب ولا بريد ولا عمار بن موسى الساباطي ولا أمثالهم من كبار أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام.

الثانية: أن هذه الصحيحه الأعلاني تثبت ما ذكره الشيخ الطوسي في العده

ص: ٢٨٧

١- (١). الكافي ٨ / ٣٠٤ / ح ٤٧١، بحار الأنوار ٢٣ / ٣٦٨ / ح ٣٩.

٢- (٢). بحار الأنوار ٢٤ / ٣٠٢ / ح ١٠.

من أن الطائفة عملت بروايات أبي الخطاب أيام استقامته، رغم أن ما رواه أيام استقامته مما يصعب هضمه ويشد إنكاره من قبل كثير من أجلة وفضلاء فقهاء الرواه كما نلاحظ من يحيى الخثعمي نموذجاً.

الثالثة: أن الكثير مما نسب إلى أبي الخطاب وأقواله في الروايه عنهم عليهم السلام من الشطط والزيف في الاعتقاد، إنما هو ناتج عن انطباع خاطيء وعدم الدقه فيما يرويه وغموض مروياته، مع أنها مستقيمه على الموازين الأوليه والثوابت الاعتقاديّه لو تأمل فيها بعمق وأعملت اليقظه في إسناد الألفاظ ولطافه التركيب بقواعد النسبه في الظهور والتجلى. فإنّ توحيد الله في مقام الطاعه يتجلى في طاعه أمير المؤمنين عليه السلام إذ الإمامه توحيد لله في مقام الولاية لأنهم لا يشاؤون إلّما يشاء الله رب العالمين، كما أنّ النبوه مظهر توحيد الله في التشريع.

الرابعه: أنّ أئمه أهل البيت عليهم السلام كانوا يتّقون من إظهار صعاب المعارف أمام من لا يتحمّلها من الرواه وإن كان ذا فضيله وجلاله قدر. ومن ذلك يفتح باباً للتدبر في جمله من الموارد التي أنكروا عليهم السلام فيها بعض الأقوال أمام من لا يتحمّل.

ووجه هذا الإنكار أنّه بالدقه ليس إنكاراً حقيقياً لذلك القول وما ينسب من الروايه إليهم من قبل رواه المعارف، بل هو إنكار لما انطبع بصوره خاطئه ومعكوسه لدى الراوى السائل من الروايات الغامضه في المعارف، كألوهيه الأئمه ونبوتهم وما شابه ذلك. فإن ما انطبع في ذهن السائل لم يقله الأئمه عليهم السلام ولم يقصدوه من الكلام الصادر عنهم.

و هذا ما أكدنا عليه من أنّ جهه انحراف جمله من الرواه الذين طعن عليهم بالغلو ليس هو قولهم وروايتهم للمقالات الفاسده في الاعتقاد، بل منشأ انحرافهم هو إذاعتهم وإفشائهم لمعارف ثقيله لمن لا يتحمّل إدراكها وتصوّرها بصوره صحيحه سليمه بعيده عن الانحراف والزيف، فتنطبع في أذهان آخرين بشكل منحرف فتزيغ بهم إلى الضلال. ومن ثمّ كان التركيز في ذمهم من الأئمه عليهم السلام على

الإذاعة والإفشاء، وإنّ هذا نمط من الكذب على الأئمة عليهم السلام لأنّ إذاعه تلك المطالب العلميّه يسبّب في وصولها إلى أذهان الآخرين بصورة مقلوبه معكوسه في حين أنّها منسوبة لأئمّه أهل البيت عليهم السلام فتكون كذباً عليهم. فالإذاعة تسبب الكذب عليهم. وقد مرّ بيان أنه أحد أقسام الكذب.

الخامسه: ثمّ إن البراءه واللعن منهم عليهم السلام تقديراً لإدانه ذلك قد يصدر الانطباع الخاطئ لدى السامع وأنّ إبطال مقاله الفاسده المزعومه نسبتها إلى ذلك الشخص أهم من تبرئته عنها. وقد مرّ نماذج قرآنيه لهذا الأسلوب من الإدانه والإنكار.

المؤاخذه الثانيه: تركهم التقيه وإفراطهم فى الجهار بالبراءه من الخلفاء

ففى شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد يروى عن كثير النوال (١) قال: قلت لأبى جعفر محمد بن على عليه السلام: جعلنى الله فداك أرايت أبا بكر وعمر هل ظلماكم من حَقَّكم شيئاً - أو قال: ذهباً من حَقَّكم بشيء - ؟ فقال:

لا- والذى أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً ما ظللنا من حقنا مثقال حَبّه من خردل قلت: جعلت فداك أفأتولاهما؟ قال:

نعم ويحك تولهما فى الدنيا والآخرة وما أصابك فى عنقى ثم قال:

فعل الله بالمغيره وبنان فإِنَّهما كذبا علينا أهل البيت (٢).

أقول: فإنَّ الإمام عليه السلام - فى هذه الروايه - ورى فى كلامه بحيث لا يفهمه السائل فنفى عنهم عليهم السلام الظلم بصيغه المجهول، والمراد أنَّ أبا بكر وعمر وغيرهما لا- يستطيعون أن يفهم عن مقامهم الملكوتى وإمامتهم الإلهيه مثقال حَبّه من خردل، فكما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نذير للعالمين فكل من العتره إمام وولّى وخليفه على العالمين ولا يضرهم بذلك كيد المشركين والمنافقين.

ثم أجاب الإمام عليه السلام ثانياً بقوله:

تولهما والمراد منه التولّى والإدبار عنهما فى الدنيا والآخرة.

ثم عقب عليه السلام كلامه بما يوهم اللعن على المغيره وبنان و هذا يدل على أنَّ انطباع أوساط العامه بل الزيديه - حيث إنَّ السائل بترى - حول موقف أئمه أهل البيت عليهم السلام أنهم كانوا يتبرؤون من غاصبى الخلافه، وذلك بسبب إفشاء المغيره

ص: ٢٩٠

١- (١). هكذا فى شرح ابن أبى الحديد لكن الصحيح النّوّاء.

٢- (٢). شرح نهج البلاغه ١٦ / ٢٢٠ .

وبنان البراءة من الخلفاء جهاراً. فإنهما أشاعا في تلك الأوساط مخالفة العتره الطاهره لخلافه السقيفه ومن أجل هذا عقب عليه السلام كلامه بدمهما من دون أن يسبق ذكر لهما في كلام السائل حيث كان ذلك معروفاً ومرتكزاً لديهم من أن المغيره وبنان هما اللذان نشرا على أهل البيت تبريهم من الخلفاء ومخالفتهم لهم.

ومن هنا يعلم أن تكذيب الإمام عليه السلام إياهما هنا وفي سائر الموارد ليس بمعناه الذى قد ينسب إلى الذهن من أنهما نسبا إلى الإمام ما لم يقله، بل يحمل على المعانى الأخر للكذب الذى أوضحناه والتي منها إذاعه الأسرار بملاحظه أن هذه الإذاعه فعل باطل وغير صائب؛ أو بمعنى أنهم عليهم السلام لم يلتزموا بنشر هذه المعارف، وهم بإذاعتهم عنهم للأسرار ينسبون لهم التزاماً بالتزام الأئمه عليهم السلام بنشرها وتأييدهم لذلك فيكذبون على الأئمه عليهم السلام فى هذا المدلول الاتزامى.

بل يمكن حملها على وجوه آخر كالتقيته وغيرها، كما فعلوا ذلك فى أمثال زواره صوتاً لهم عن الأعداء، و ذلك بملاحظه أن تبين موقف الأئمه عليهم السلام تجاه غاصبى الخلافه أمر هام لا بد منه لدى شيعتهم ولا بد من معرفتهم هذه الحقائق وتوعيتهم بأن أهل البيت مخالفون لمسار الخلافه.

وكان لمثل المغيره وبنان نصيباً كبيراً فى القيام بهذا الدور المهم.

ثم إن كثير النّوَال المذكور فى شرح نهج البلاغه هو كثير النّوَاء وهو زيدي بترى كوفى عامى كما ذكره الشيخ فى رجاله(1)، والرجل كان ينهج منهج البترية، وهى ظاهره ومنهجيه تكررت فى التاريخ وتكرر، وهى تعتمد على التلفيق والمزيج من المشارب المختلفه، وكان منحرفاً عن أهل البيت عليهم السلام، وكان يتحامل عليهم عليهم السلام ويصادمهم، كما روى الكشى عن أبى بكر الحضرمى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

اللهم إنى إليك من كثير النوا أبرأ فى الدنيا والآخرة.

ص: ٢٩١

١- (١). وقد روى فى المستطرفات لابن إدريس عن أبان أنه سأل عنه فى الكوفه فوجد أنه ولد لغيه.

وروى محمد بن يحيى قال: قلت لكثير النوا: ما أشد استخفافك بأبي جعفر عليه السلام؟ قال: لأننى سمعت منه شيئاً لا أحبه أبداً سمعته يقول:

إنَّ الأرض السبع تفتح لمحمد وعترته.

وروى أيضاً عن أبي بصير قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ جاءت أم خالد التى كان قطعها يوسف تستأذن عليه قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام:

أيسرك أن تشهد كلامها؟ قال: فقلت: نعم، جعلت فداك فقال:

أما الآن فادن قال: فأجلسنى على عقبه الطنفسه ثم دخلت فتكلمت فإذا هى امرأه بليغه فسألته عن فلان وفلان فقال لها: توليهما فقالت: فأقول لربى إذا لقيته إنك أمرتنى بولايتهما؟ قال:

نعمقلت: فإن الذى معك على الطنفسه يأمرنى بالبراءه منهما وكثير النوا يأمرنى بولايتهما فأيهما أحب إليك قال:

هذا والله وأصحابه أحب إلى من كثير النوا وأصحابه إن هذا يخاصم فيقول: «مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» ، «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» . فلما خرجت قال:

إنما خشيت أن تذهب فتخبر كثير النوا فتشهرنى بالكوفه اللهم إنى إليك من كثير النوا برىء فى الدنيا والآخرة(١).

وروى فى الخرائج والجرائح عن داود بن كثير الرقى قال: كنت عند الصادق عليه السلام أنا وأبو الخطاب والمفضل وأبو عبد الله البلخى إذ دخل علينا كثير النوا فقال: إنَّ أبا الخطاب هذا يشتم أبا بكر وعمر ويظهر البراءه منهما، فالتفت الصادق عليه السلام إلى أبى الخطاب وقال:

يا محمد ما تقول؟ قال: كذب والله ما سمع منى قط شتمهما.

فقال الصادق عليه السلام:

قد حلف ولا يحلف كاذباً فقال: صدق لم أسمع أنا منه ولكن حدثنى الثقة به عنه.

ص: ٢٩٢

قال الصادق عليه السلام :

وإنَّ الثقة لا يبلغ ذلك.

فلما خرج كثير قال الصادق عليه السلام :

أما والله لئن كان أبو الخطاب ذكر ما قال كثير لقد علم من أمرهما ما لم يعلمه كثير والله لقد جلسا مجلس أمير المؤمنين عليه السلام غضباً فلا غفر الله لهما ولا عفا عنهما... (١).

وفي البحار عن كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة عن أبي الخطاب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

والله ما كنّى الله في كتابه حتى قال: «يا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا»

وإنما هي في مصحف علي عليه السلام يا ويلتي لم أتخذ الثاني خليلاً وسيظهر يوماً (٢).

والرواية تبين استقرار ديدن أبي الخطاب في أيام استقامته على التبرّي وتربيته النخبة على ذلك.

وفي ميزان الاعتدال عن أبي معاوية، عن الأعمش، قال: أول من سمعته يتنقّص أبا بكر وعمر المغيرة المصلوب (٣).

وروى عن شبابه حدّثنا عبد الأعلى بن أبي المساور سمعت المغيرة بن سعيد الكذاب يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» على «وَالْإِحْسَانِ» فاطمه «وَوَيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى» الحسن والحسين «وَوَيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى» قال: فلان أفحش الناس والمنكر فلان (٤).

وفي الكامل عن عبد الأعلى بن أبي المساور قال: سمعت المغيرة بن سعيد الكذاب يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» على بن أبي طالب «وَوَيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى» الحسن والحسين، «وَوَيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى» قال أبو بكر من

ص: ٢٩٣

١- (١) . الخرائج والجرائح ١ / ٢٩٧ .

٢- (٢) . بحار الأنوار ٢٤ / ١٨ / ح ٣١ .

٣- (٣) . ميزان الاعتدال ٤ / ١٦١ .

٤- (٤) . ميزان الاعتدال ٤ / ١٦٠ .

أفحش الناس، والمنكر عمر بن الخطاب كذب عليه لعنه الله (١).

كان يقول: كيف الطريق إلى بنو حرام (٢).

وقال البلاذري: «حدثني الحسين بن علي بن الأسود عن يحيى بن آدم عن عبد الله بن إدريس عن جاره له قال: سمعت مغیره بن سعيد يقول: مات عثمان بن عفان وهو يعبد سبعة آلهه، فأخبر خالد بن عبد الله بذلك فأرسل إليه فأخذه فاعترضته فقلت: فى أى شىء أخذت؟ قال: لا أدرى إلا أن يكون حميمات لابنى» (٣).

وهذه الروايات تبين بوضوح أنّ طعن العامه على بنان والمغيره بن سعيد وأبى الخطاب هو لإفراط مجاهرتهم بتخطئه الشيخين ونقدهما، وأنّ تبرّى الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام من بنان والمغيره وأبى الخطاب كان من أسبابه معالجه الموقف الحرج والإرباك الأمنى الذى أحدثه تيار الثلاثه للأئمه أمام السلطه وعلماء العامه، وأنّ نهج هؤلاء الثلاثه المتسرّع فى إظهار النقد والتخطئه بمنهج السقيفه هو على حذو التأكيد على عقيدته النصّ الإلهى.

والإجهار بذلك وبمقام الخلافه والإمامه الإلهيه لأهل البيت عليهم السلام من دون مراعاة التأهيل والأرضيه والتدرّيج والإعداد يشابه الاندفاع والتسرّع الذى كان عند عبد الله بن سبأ ممّا فتح عليهم كيل الطعون والافتراءات، لا سيما وأنّ ما يستدل به وبيّث هؤلاء من بيانات فى المعارف تنطبع فى ذهنيته أوساط العامه بنحو إيهامى ملتبس إذ لم يعهدوا تفسير هذه المعانى على الوجه الصحيح.

وعلى أىّ تقدير فهذا التيار كان فى تجاذب شديد مع تيار البتريه التلقيقى المزيجى.

ص: ٢٩٤

١- (١). الكامل فى ضعفاء الرجال ٦ / ٣٥٣.

٢- (٢). الكامل فى ضعفاء الرجال ٦ / ٣٥٣.

٣- (٣). أنساب الأشراف ٩ / ٧٦.

وهو العمده فى زلل جمله من فرق الشيعه وامتيازهم على أهل الخلاف فإنّ الملحوظ فى موقف أئمه أهل البيت عليهم السلام تجاه جمله من الجماعات والفرق الشيعيه التى تزلّ وتترلق فى بعض المسائل الاعتقاديّه:

أولاً: أنهم عليهم السلام لا يحكمون عليهم بحكم أهل الخلاف وفرق العامه بل يفرّقون فى الحكم عليهم ويميّزوهم عنهم.

وبعباره أخرى: إنهم عليهم السلام يعتدّون بالمساحه المشتركه مع تلك الفرق فيما تقرّ به من ثوابت وقواعد مدرسه أهل البيت عليهم السلام وإجمال ولا-يتهم، فلا-يساوون فى كيفيه التعامل ودرجه العلاقه والارتباط بين فرق الشيعه وفرق العامه، بل إنّ الملحوظ منهم عليهم السلام التمييز بين فرق الشيعه فى درجات قربها وبعدها من الاستقامه، وكذلك الحال فيما بين الفرق العامه، فترى أنّ تعاملهم مع البترية - رغم أنهم يعدّونهم من فرق العامه ولا يدرجونهم فى فرق الشيعه - يمتاز فى الدرجه عن تعاملهم عليهم السلام عن بقية فرق العامه.

والحاصل أنّ مجرد تخطئه بعض الفرق فى شيعتهم عليهم السلام فضلاً عن بعض التيارات من أتباعهم، لا يعنى تخطئه كل ما لدى تلك الفرقه أو ذلك التيار وإسقاط اعتبار كل ما لديهم، بل منهاجهم قائم على التمييز بين الصحيح والخطأ فى ما لدى تلك الفرقه أو التيار، وسيأتى لهذه الضابطه شواهد عديده.

ثانياً: أن تخطئتهم عليهم السلام وتكذيبهم لجمله من تلك الفرق والتيارات ليس بالحكم عليهم بالوضع والجعل والاختلاق، بل التخطئه والتكذيب هو بلحاظ الخطأ فى التأويل وقصور وسوء الفهم وقلة العلم والجهاله وهذا معنى من معانى

الكذب والغلو كما بيناه سابقاً.

بينما يتوهم كثير من أرباب الجرح والتعديل أو أصحاب كتب الملل والنحل أنّ تكذيبهم بمعنى نسبه الجعل والوضع إلى تلك الجماعه والفرقه والتيّار، وسيأتى شواهد عديده على كون التكذيب والتخطئه هو فى التأويل والفهم لا- فى روايات تلك الجماعات والفرق والتيارات الشيعيه ونقلهم. ولا يخفى الفرق الكبير بين النمطين من التكذيب فإنّ النمط الأول لا يسقط حجّيه الروايه بخلاف النمط الثانى.

والشواهد على ما تقدّم:

ما ورد فى الواقفيه

ففى قرب الإسناد فى مكاتبه أحمد بن محمد بن أبى نصر البرنظى قال:

كتبت إلى الرضا عليه السلام: إنى رجل من أهل الكوفه وأنا وأهل بيتى ندين الله عزوجل بطاعتكم وقد أحببت لقاءك لأسألك عن دينى وأشياء جاء بها قوم عنك بحجج يحتجون بها علىّ فيك، وهم الذين يزعمون أنّ أباك صلى الله عليه حى فى الدنيا لم يمت يقيناً... فكتب الإمام عليه السلام:

... وقال أبو جعفر عليه السلام: «من سرّه أن لا يكون بينه وبين الله حجاب حتى ينظر إلى الله وينظر الله إليه، فليتولّ آل محمد ويبرأ من عدوّهم ويأتّم بالإمام منهم، فإنه إذا كان كذلك نظر الله إليه ونظر إلى الله»، ولولا ما قال أبو جعفر عليه السلام حين يقول: «لا- تعجلوا على شيعتنا، إن تزل قدم تثبت أخرى» وقال: «من لك بأخيك كلّ»، لكان منى من القول فى ابن أبى حمزه وابن السراج وأصحاب ابن أبى حمزه.

أما ابن السراج فإنما دعاه إلى مخالفتنا والخروج عن أمرنا، أنه عدا على مال لأبى الحسن صلوات الله عليه عظيم فاقتطعه فى حياه أبى الحسن وكابرنى عليه وأبى أن يدفعه، والناس كلّهم مسلمون مجتمعون على تسليمهم الأشياء كلّها إلىّ، فلما حدث ما حدث من هلاك أبى الحسن صلوات الله عليه اغتتم فراق على بن أبى حمزه وأصحابه إيراى وتعلّم، ولعمرى ما به من علّه إلّاقتطاعه المال وذهابه به.

ص: ٢٩٦

وأما ابن أبي حمزه فإنه رجل تأوّل تأويلاً لم يحسنه ولم يؤت علمه فألقاه إلى الناس فلجّ فيه، وكره إكذاب نفسه في إبطال قوله بأحاديث تأوّلها ولم يحسن تأويلها ولم يؤت علمها، ورأى أنه إذا لم يصدق آبائي بذلك لم يدر لعل ما خبر عنه مثل السفيناني وغيره أنه كائن لا يكون منه شيء، وقال لهم ليس يسقط قول آبائه بشيء. ولعمري ما يسقط قول آبائي شيء ولكن قصر علمه عن غايات ذلك وحقائقه، فصار فتنة له وشبه عليه وفرّ من أمر فوقع فيه. وقال أبو جعفر عليه السلام: «من زعم أنه قد فرغ من الأمر فقد كذب لأنّ لله عزّ وجلّ المشيئة في خلقه يحدث ما يشاء ويفعل ما يريد».

وقال: «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ»

فآخرها من أوّلها وأوّلها من آخرها فإذا أخبر عنها بشيء منها بعينه أنه كائن، فكان في غيره منه فقد وقع الخبر على ما أخبر. أليس في أيديهم أنّ أبا عبد الله عليه السلام قال: «إذا قيل في المرء شيء لم يكن فيه ثم كان في ولده من بعده فقد كان فيه» (١).

ويستفاد من هذا الحديث أمور:

الأمر الأول: أنّه عليه السلام رغم ما ورد عنهم أن من أنكر أحدهم كان كمن أنكر جميعهم في الخروج من الإيمان - وهذه القاعده متواتره عنهم عليهم السلام مبرهنه بأحاديث أخرى متواتره

كمن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليه وغيرها من قواعد معرفه الإمامه في القرآن والسنة القطعيه - ورغم اللعن الصادر في رؤساء الواقفيه والواقفه وفي ابن أبي حمزه البطائني، إلّا أنه عليه السلام يدرجهم في عموم فرق الشيعة ويخالف في حكمهم عن فرق المخالفين، ولذا استشهد عليه السلام بقول أبي جعفر:

لا تعجلوا على شيعتنا... وأنه لولا ذلك لحكم عليه السلام فيهم بأشدّ من ذلك.

الأمر الثاني: أنّ منشأ انحراف ابن أبي حمزه البطائني جهالته في تأويل أحاديث سمعها عن الأئمة السابقين ولم يدر حقيقتها ومآل معانيها، فافتتن

ص: ٢٩٧

بمداليها واشتبه عليه واقع الأمر، ولعلّه عليه السلام يشير إلى ما ورد عنهم عليهم السلام أنّه قد قدّر موسى بن جعفر عليهما السلام أن يكون مهدي هذه الأمة كما قد قدّر في الحسين عليه السلام مثل ذلك، إلّا أنه بدا لله تعالى في ذلك لتخاذل الشيعة، ثم قدّر أن يكون جعفر بن محمد الصادق كما في روايه أخرى، لكنّه بدا لله أيضاً ثم قدّر في موسى بن جعفر ولكنه بدا لله أيضاً ذلك، لأنّ هذه التقادير لم يكن تقادير حتم بل تقادير ممّا لله فيها المشيئه. وهذه التقادير لا تنافى النصّ على الاثنى عشر لأنّ المراد من المهديّ في هذه الأحاديث هو من تبدأ على يديه دوله الأئمه التي ليس بعدها دوله ممّا أطلق عليها بدوله الرجعه.

ولا ينافى هذه التقادير أن تقدير الحتم عند الله عزوجل في الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف أنّه الذي يملأ الله على يديه الأرض قسطاً وعدلاً ويكون هو أول من يقيم دوله الرجعه لهم عليهم السلام .

فمراتب القضاء والقدر ومراتب الحتم والإبرام واختلاف المشيئه هي من القواعد المعرفيه الغامضه في معارف الدين، كما أنّ ارتباط المعارف بسلسله ومنظومه من القواعد والسنن الإلهيه التكوينيّه أمر بالغ السعه والانتشار لا يهتدى إليه إلّا بتعليم منهم عليهم السلام كي ينجو الباحث من المتشابه والزلل والزيغ في استنتاج ما تؤول إليه غايات الدلائل.

ثمّ يبيّن عليه السلام أنّ هناك أسباب أخرى دعت ابن أبي حمزه وتدعو أمثاله للانحراف، منها اللجاج والعناد، ومنها العزّه بالإثم أي اختيار النار ولا العار، أي يرى أنّ عزّته تحفظ بالتمادي في الإثم وأنها أفضل من الافتضاح في العاجل مع التوبه، ومنها توهم التنافى بين كلمات وأحاديث الأئمه عليهم السلام وتقديم بعضها والتكذيب بالبعض الآخر لتوهم التنافى بينها والجهل بصيغه التوليف بينها.

الأمر الثالث: أنّ بعض من ينحرف من تيارات الشيعة إنّما هو بسبب الأطماع الدنيويه.

تشويش بعض المعارف في فهم أبي الخطاب وهلاكه في عدم الفرق بين النبي و المحدث

روى الكليني عن محمد بن أحمد بن محمد بن ابن محبوب عن جميل بن صالح عن زياد بن سوفة عن الحكم بن عتيبة قال:

دخلت على علي بن الحسين عليه السلام يوماً فقال:

يا حكم هل تدري الآية التي كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعرف قاتله بها ويعرف بها الأمور العظام التي كان يحدث بها الناس.

قال الحكم: فقلت في نفسي قد وقعت على علم من علم علي بن الحسين أعلم بذلك تلك الأمور العظام. قال: فقلت: لا والله لا أعلم. قال: ثم قلت الآية تخبرني بها يا بن رسول الله؟ قال:

هو والله قول الله عز ذكره: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ

و لا محدث» و كان علي بن أبي طالب عليه السلام محدثاً. فقال له رجل يقال له عبد الله بن زيد كان أخا علي لأمه: سبحان الله محدثاً كأنه ينكر ذلك. فأقبل علينا أبو جعفر عليه السلام فقال:

أما والله إن ابن أمك بعد قد كان يعرف ذلك. قال: فلما قال ذلك سكت الرجل، فقال:

هي التي هلك فيها أبو الخطاب فلم يدر ما تأويل المحدث والنبي (١).

والرواية تشير أيضاً إلى أن سبب انحراف أبي الخطاب والخطأ به هو سوء الفهم والخطأ في التأويل وعدم معرفه حقائق كلامهم عليهم السلام، وهذه الرواية وما تأتي من روايات أخرى تعزز ما مر من أن أحد أسباب الغلو ومعانيه هو الخطأ في التأويل.

وفي بصائر الدرجات عن علي بن حسان عن موسى بن بكر عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

من أهل بيتي اثنا عشر محدثاً فقال له عبد الله بن زيد كان أخا علي لأمه: سبحان الله كان محدثاً؟ كالمنكر لذلك فأقبل عليه أبو جعفر عليه السلام فقال:

أما والله إن ابن أمك بعد قد كان يعرف ذلك قال: فلما قال ذلك سكت

ص: ٢٩٩

١- (١). الكافي ١ / ٢٧٠ / باب أن الأئمة عليهم السلام محدثون مفهمون / ح ٢.

الرجل فقال أبو جعفر عليه السلام :

هى التى هلك فيها أبو الخطاب لم يدر تأويل المحدث والنبي(١).

أقول: وهذا يدل على أنهم حرّفوا جملة من أسرار المعارف عن حقيقتها لقصور فى قابليتهم أو تحريف العامّة لجملة ممّا أذاعوا هؤلاء الأسرار لعدم ميز العامّة بين النبي والمحدث، وبين الإلهام من البارى تعالى والإلهام من غيره تعالى، وإنّ كل ملهم فى زعم العامّة نبى وكل ملهم هو الله تعالى.

وروى الكلينى عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن الحسين بن مختار عن الحارث بن المغيرة عن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر عليه السلام :

إنّ علياً عليه السلام كان محدثاً فخرجت إلى أصحابى فقلت: جئتكم بعجيبه فقالوا: وما هى؟ فقلت: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

كان على عليه السلام محدثاً فقالوا: ما صنعت شيئاً ألا سألته من كان يحدثه فرجعت إليه فقلت: إنى حدثت أصحابى بما حدثتنى فقالوا: ما صنعت شيئاً ألا سألته من كان يحدثه؟ فقال لى:

يحدثه ملك، قلت: تقول: إنّه نبى؟ قال: فحرّك يده - هكذا -

أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذى القرنين أو ما بلغكم أنّه قال: وفيكم مثله(٢).

وفى هذه النماذج عبره خطيره جداً سواء للمقصره أو للباحثين عن غوامض المعرفة ودقائق الأسرار. أما المقصره فلا يتخذون من انحراف ثلّه من رواه المعارف وطلّاب أسرار الحقائق ذريعه للإنكار والجحود والطعن والجرح لكافّه رواه المعارف، بل وجود التيارات المنحرفه خير شاهد ومتبّه على وجود حقائق معرفيه ودقائق عقائديه لم يستطع أولئك المنحرفون أن يتحمّلوا فشطط بهم الإقدام. وأما العبره للباحثين عن غوامض المعرفة فلا يغزّونهم الوقوف على بعض درجات المعرفة ويحسبوا أنّهم قد استقاموا على الجادّه، بل لا بدّ أن يحذروا الزلل

ص: ٣٠٠

١- (١). بحار الأنوار ٢٦ / ٦٧ / ٧.

٢- (٢). أصول الكافى ١ / ٢٧١ / ح ٥.

فى التأويل ولا يظنّ إنّما وصلوا إليه هو نهايه المطاف لأنّ هناك من حقائق ما هو أغور عمقاً. و «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى»، (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً).

انحراف أبى الخطاب فى فهم العلم اللدنى فى الإمامه ومغابرتة عن النبوه

أنّ أبى الخطاب كان قبل انحرافه ذا مكانه فى أوساط الشيعة ومأموناً فى آرائه وإن انحرافه كان فى فهم العلم اللدنى.

ففى بصائر الدرجات عن محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى عن أبى خالد القمّاط عن حمران بن أعين قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: أنبياء أنتم؟ قال:

لا، قلت: فقد حدّثنى من لا أتهم أنك قلت: إنكم أنبياء؟ قال:

من هو أبو الخطاب؟ قال:

قلت: نعم، قال:

كنت إذاً أهجر؟ قال: قلت: فيما تحكمون؟ قال:

نحكم بحكم آل داود (١).

وقد نُقل أيضاً فى الخرائج للراوندى.

وقد أوضحنا فى كتاب الإمامه الإلهيه الفارق بين العلم اللدنى والنبوه من أنّ ذلك ليس شريعته، بل هو عبارته عن معرفه لدنيه بحقائق الشريعة وبطونها وتأويل الكتاب كله وعلم تطبيقها فى نظام البشريه فى الحياه الأرضيه وغيرها من فصول العلم الإلهى فلاحظ (٢).

تحذير الإمام من الإذاعه والتنظى

فقد روى الكشى مسنداً عن قاسم الصيرفى قال: سمعت أبى عبد الله عليه السلام يقول: قوم يزعمون أنّى لهم إمام والله ما أنا لهم بإمام، ما لهم لعنهم الله، كلّما سترت ستراً هتكوه، هتك الله ستورهم. أقول كذا، يقولون إنّما يعنى كذا، إنّما أنا إمام من

ص: ٣٠١

١- (١). بحار الأنوار ٥٢ / ٣٣٠ / ٢٣ .

٢- (٢). الإمامه الإلهيه: الفصل الثالث إلى الفصل الثامن.

و هذا الحديث يشير إلى ضابطه خطيره وتوصيه عظيمه لابد أن يراعيها الباحثون فى بيانات الكتاب والسنة والمتأملون لإشارات الوحي ولطائف الآيات والروايات، وهى ما مرّ بسطه فى أوائل مباحث هذا الكتاب من أنّ دقائق المعرفه لا يستقيم إظهارها لعموم المؤمنين فضلاً عن المخالفين، و ذلك لعدم قدرتهم على تصورها بشكل صحيح وبنحو قويم مستقيم يحفظ فيه التوحيد الخالص وعبوديه المخلوقات بل ينعكس المعنى مقلوباً لديهم بإطار منكوس رأساً على عقب، فيجرّ إلى نقض الغرض من الهدايه إلى الضلاله، نظير ما لو جرّح طفلاً ما لا يتحمّله من الطعام فإنّه بدل أن يساهم فى نموّه ورشده سيقضى عليه ويؤدى إلى مضاعفات تأتى عليه بالهلاك، ومن ثم كانت إذاعه تلك الدقائق والغوامض إضلال لعامه الأذهان وإشاعه للغوايه.

والتوصيه الثانيه فى الحديث أنّ التأويل والاستنتاج لنتائج أعمق لابد أن يراعى فيها الدلائل الموزونه لا-هلوسه التخريصات المظنونه كما يجب التمسك بالمحكمات وعدم الانزلاق وراء كل متشابه مبهم طمعاً فى الوقوف على الحقائق الخفيه بوسيله التشبث بالأمر الواهيه.

ص: ٣٠٢

إشاره

فإنّ الملاحظ في المغيره بن سعيد وأبي الخطاب وبقية رؤاد المطعون عليهم بالغلو وكذلك تيارهم الموسوم بالمغيريه والخطابيه أنّهم لم يكونوا في بدو أمرهم متفسيخين عن الالتزام الفقهي كما يصوره كتب رجال العامه وجمله من كلمات أصحاب الجرح والتعديل لدينا، بل كان طابعهم ضمن تيار بقيه الأصحاب، مع اشتغالهم على جملة من الشذوذات التي هي بين إفراط وتفريط.

نعم بعد قتل المغيره وأبي الخطّاب ورؤاد ذلك التيار، تفسّى الانحراف في ذلك التيار بدرجة مفرطه شيئاً فشيئاً إلى أن وصلت النوبه إلى رؤاد آخرين في زمان الجواد والعسكريين عليهما السلام ، بحيث أخذت الهوة والفجوه بين هذا التيار وتيار بقيه رواه الأصحاب عمقاً وبعداً كبيراً.

فاشتبه الأمر على كثير من الباحثين بتسريه وسحب أوصاف ذلك التيار في فتراته اللاحقه وامتداداته إلى فتره بدايات ذلك التيار ولا سيّما نجوم رواه ورؤاده.

بل إنّ الكثير من الباحثين حيث رأى طابع هذا التيار في القرن الثالث والرابع، وكيفيه نشوء فرق الصوفيه منه وتماديهم في تلك الأمور بنحو مريب، قام بالحكم على رؤاد ذلك التيار بما شاهده في الفترات اللاحقه.

نعم لا يستراب أنّ بدايه هذا التيار كان قد انطوى على شذوذات في المنهج الفقهي و القواعد الشرعيه، وقد سببت التماذي فيها فيما بعد ذلك إلى الانحراف والبون عن المسار الصحيح.

وقد أشار عليه السلام في مكاتبتة للمفضّل بن عمر إلى أساس بزوغ هذا الخطأ المنهجي والشذوذ الذي سبّب التماذى فيه فيما بعد، فجوه عظيمه وكبيره. فإن الانحراف عن الطريق المستقيم يبدأ يسيراً ثم لا يزيده كثرة السير إلاّ بعداً عن الطريق الصحيح كما ورد في الصحيح عن أبى عبد الله عليه السلام يقول:

العامل على غير بصيره كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعه السير إلاّ بعداً^(١).

وقد مرّ بيان ذلك في الفقرات السابقه من المكاتبه وفيها أمور ثبته عليها الإمام عليه السلام .

فهذا التطرّف فى باطن الحقائق والأمر على حساب التفريط فى الظاهر - أى بنحو يؤدى إلى التهاون بحدود ظاهر الشريعة - أدى إلى جملة من الشذوذات فى السلوك الفقهي. وهذا نمط من التطرّف والخروج عن حدّ الاعتدال والتوازن الذى هو من أنماط الغلو، لا أنّ ذات المقاله فى المعارف التى تبوّها هى فى أصلها خروج عن الحدّ، ومن ثمّ أكدت الوصيه النبويه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

إنما العلم ثلاثه: آيه محكمه أو فريضه عادله أو سنّه قائمه^(٢) حيث بين صلى الله عليه وآله وسلم عدم حصر العلم فى أحد الثلاثه بل التوازن والتعادل لا يحصل إلاّ بالتضلع فى الثلاث.

وفى الكافى بسند صحيح عن أبى عبد الله عليه السلام يقول:

لا- يقبل الله عملاً- إلاّ بمعرفه ولا- معرفه إلاّ بعمل، فمن عرف دلّته معرفته على العمل ومن لم يعمل فلا معرفه له، ألا أنّ الإيمان بعضه من بعض^(٣).

وهذه ظاهره تتكرّر فى التيار الذى يقف على أسرار المعارف، وهى وإن لم تكن ظاهره متفشيه فى جميع رموز هذا التيار ونماذجه، إلاّ أنّها ظاهره متفشيه فى الكثير منه، فتراهم بسبب الوقوف على الكثير من المعارف الشامخه وذات الغور

ص: ٣٠٤

١- (١). الكافى ١ / ٤٣ .

٢- (٢). الكافى ١ / ٣٢ .

٣- (٣). الكافى ١ / ٤٤ .

العميق يؤدّي بهم ذلك إلى الاغترار والتفريط في علوم الأحكام وعلم الحلال والحرام.

و هذا ما يجعل قاعده الأتباع لهم فريسه جمله من السلوك الشاذّ والانحرافات العمليّه عن الجادّه.

ولنستعرض جمله من الشواهد والملاحم عن ذلك:

مؤاخذاتهم عليهم السلام على تيار المغيريه والخطايه بعدم تضلّهم في الفقه

١ - روى الكشي بإسناده عن ابن أبي نصر عن علي بن عقبه عن أبيه قال:

دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال: فسلمت وجلست فقال لي:

كان في مجلسك هذا أبو الخطّاب ومعه سبعون رجلاً كلّهم إليه يتألّم (١) منهم شيء رحمتهم، فقلت لهم: ألا أخبركم

بفضائل المسلم؟ فلا- أحسب أصغرهم إلّاقال: بلى جعلت فداك، قلت: من فضائل المسلم أن يقال: فلان قارئ لكتاب الله عزوجل، وفلان ذو حظّ من ورع، وفلان يجتهد في عبادته، لربّه فهذه فضائل المسلم، ما لكم وللرياسات! إنما المسلمون رأس واحد، إيّاكم والرجال فإنّ الرجال للرجال مهلكه فإنّي سمعت أبي يقول: إنّ شيطاناً يقال له المذهب يأتي في كلّ صوره إلّا أنّه لا يأتي في صوره نبيّ ولا وصيّ نبيّ، ولا أحسبه إلّالوقد تراءى لصاحبكم فاحذروه! فبلغني أنّهم قتلوا معه فأبعدهم الله وأسحقهم إنّه لا يهلك على الله إلّالهاالك (٢).

ويظهر من هذا الحديث تأكّيده عليه السلام بشدّه على هذا التيار بلزوم التقيّد بموازين والمصادر الظاهره للشريعه، كالدلاله الظاهره لألفاظ الآيات ولزوم التقيّد في السيره العمليه بحدود ظاهر الشريعه، ولزوم بناء عمل المسلم على طابع وأبواب العباده في الشريعه والاجتهاد فيها. وهذا مما يشير إلى عكوف هذا التيار على المعارف وتسويل ذلك لهم بالتفريط في الشريعه والعمل في الدين فيبين عليه السلام

ص: ٣٠٥

١- (١). قال في البحار وفي بعض النسخ: ينالهم.

٢- (٢). رجال الكشي ح ٥١٦.

أن التوازن والمعرفة إنما يكون مع العمل لا بدونه كما لا يفيد عمل بلا معرفه.

٢ - روى الحلى فى مختصر البصائر عن محمد بن عيسى بن عبيد عن الحسين بن سعيد عن جعفر بن بشير البجلي عن حماد بن عثمان عن أبى أسامه زيد الشحام قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السلام وعنده رجل من المغيريه فسأله عن شىء من السنن فقال:

ما من شىء يحتاج إليه ابن آدم إلا وخرجت فيه السنه من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولولا ذلك ما احتج الله عزوجل علينا بما احتج. فقال المغيرى: وبما احتج؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام:

بقوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» - حتى تَمَّ الآية -

فلو لم يكمل سننه وفرائضه ما احتج به(١).

وفى الروايه دلالة على عدم تضلع المغيريه فى الفقه وعدم تواصلهم مع الإمام لتعلم الأحكام.

٣ - ومن المؤاخذات على تيار أبى الخطاب فى الفقه ما نقل عنه فى وقت صلاه المغرب وأنهم كانوا يؤخرونه حتى تشتبك النجوم:

ففى من لا يحضره الفقيه: قال الصادق عليه السلام:

ملعون ملعون من آخر المغرب طلباً لفضلها، وقيل له إن أهل العراق يؤخرون المغرب حتى تشتبك النجوم فقال: هذا من عمل عدو الله أبى الخطاب(٢).

وفى التهذيب: روى أحمد بن محمد بن عيسى عن سعيد بن جناح عن بعض أصحابنا عن الرضا عليه السلام قال:

إن أبا الخطاب قد كان أفسد عامه أهل الكوفه وكانوا لا يصلون المغرب حتى يغيب الشفق وإنما ذلك للمسافر والخائف ولصاحب الحاجه(٣).

ورواه الكشى عن العياشى عن على بن الحسن عن معمر بن خلاد عن أبى

ص: ٣٠٦

١- (١). مختصر البصائر / ٢٠٨ / ح ١٩٧ .

٢- (٢). من لا يحضره الفقيه ١ / ٢٢٠ / ح ٦٦١ .

٣- (٣). تهذيب الأحكام ٢ / ٣٣ / باب أوقات الصلاه وعلامه كل وقت منها / ح ٥٠ .

وفى التهذيب: روى محمد بن علي بن محبوب عن محمد بن أبي الصُّهبان عن عبد الرحمن بن حماد عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي أسامة زيد الشحام قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: أوخر المغرب حتى تستبين النجوم قال: فقال:

خطأيه؟ إن جبرئيل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين سقط القرص (٢).

وفى التهذيب: روى محمد بن علي بن محبوب عن العباس بن معروف عن عبد الله بن المغيرة عن ذريح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أناساً من أصحاب أبي الخطاب يمسون بالمغرب حتى تشتبك النجوم، قال:

أبرأ إلى الله ممن فعل ذلك متعمداً (٣).

وفى التهذيب: روى الحسن بن محمد عن عبد الله بن جبلة عن ذريح (٤).

وفى التهذيب: عن الحسن بن محمد بن سماعه عن جعفر بن سماعه عن إبراهيم بن عبد الحميد عن الصباح بن سيابة وأبي أسامة قال: سألو الشيخ عن المغرب فقال بعضهم: جعلني الله فداك نتظر حتى يطلع كوكب فقال:

خطأيه؟ إن جبرئيل عليه السلام نزل بها على محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين سقط القرص (٥).

وفى التهذيب: عن الحسن بن محمد بن سماعه عن حسين بن حماد بن عديس عن إسحاق بن عمار عن القاسم بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

ذكر أبو الخطاب فلعه ثم قال: إنه لم يكن يحفظ شيئاً، حدثته أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غابت له الشمس في مكان كذا وكذا وصلّى المغرب بالشجرة وبينهما ستّة أميال فأخبرته بذلك في السفر

١- (١). الكشي ح ٥١٨.

٢- (٢). تهذيب الأحكام ٢ / ٣٢ / نفس الباب / ح ٤٩.

٣- (٣). تهذيب الأحكام ٢ / ٣٣ / نفس الباب / ح ٥٣.

٤- (٤). تهذيب الأحكام ٢ / ٢٥٣ / باب المواقيت / ح ٤١.

٥- (٥). تهذيب الأحكام ٢ / ٢٥٨ / باب المواقيت / ح ٦٤.

وفي التهذيب: محمد بن علي بن محبوب عن أحمد بن الحسن بن علي بن يعقوب عن مروان بن مسلم عن عمّار الساباطي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إنّما أمرت أبا الخطّاب أن يصلّي المغرب حين زالت الحمرة فجعل هو الحمرة التي من قبل المغرب وكان يصلّي حين يغيب الشفق(٢).

وفي التهذيب: أحمد بن محمد بن الحسين بن سعيد عن فضالة عن أبان عن زراره قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن وقت إفطار الصائم قال:

حين يبدو ثلاثه أنجم وقال لرجل: ظنّ أنّ الشمس قد غابت فأفطر ثمّ أبصر الشمس بعد ذلك قال: ليس عليه قضاء.

قال محمّد بن الحسن: ما تضمّنه هذا الخير من ظهور ثلاثه أنجم لا يعتبر به والمراعى ما قدّمناه من سقوط القرص وعلامته زوال الحمرة من ناحيه المشرق وهذا كان يعتبره أصحاب أبي الخطّاب لعنهم الله(٣).

وفي الوسائل: عن جعفر بن علي بن الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة عن أبيه عن جدّه عبد الله بن المغيرة عن عبد الله بن بكير عن عبيد الله بن زراره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:

صحبني رجل كان يمسي بالمغرب ويغلس بالفجر وكنت أنا أصلي المغرب إذا غربت الشمس وأصلّي الفجر إذا استبان لي الفجر، فقال لي الرجل: ما يمنعك أن تصنع مثل ما أصنع فإنّ الشمس تطلع على قوم قبلنا وتغرب عنّا وهي طالعه على مرقد آخرين بعد قال: فقلت: إنّما علينا أن نصلي إذا وجبت الشمس عنّا وإذا طلع الفجر عندنا ليس علينا إلّا ذلك وعلى أولئك أن يصلّوا إذا غربت عنهم.

قال صاحب الوسائل: لعلّ الرجل كان من أصحاب أبي الخطّاب وكان يصلّي

١- (١). نفس المصدر / ح ٦٥ .

٢- (٢). تهذيب الأحكام ٢ / ٢٥٩ / نفس الباب / ح ٧٠ .

٣- (٣). تهذيب الأحكام ٤ / ٣١٨ / باب الزيادات / ح ٣٦ .

المغرب عند ذهاب الحمرة المغربيه وكان الصادق عليه السلام يصلّيها عند ذهاب الحمرة المشرقيه ومعلوم أنّ الشمس في ذلك الوقت تكون طالعه على قوم آخرين إلّا أنّه لا يعتبر أكثر من ذلك القدر(١).

وفي الكشي: حدّثني محمد بن مسعود قال: حدّثنا ابن المغيره قال: حدّثنا الفضل بن شاذان عن ابن أبي عمير عن حمّاد عن حريز عن زراره قال: قال - يعني أبا عبد الله عليه السلام - ...

وأما أبو الخطّاب فكذب عليّ وقال: إني أمرته أن لا يصلّي هو وأصحابه المغرب حتّى يروا كوكب كذا يقال له: القندانى (القيدانى) والله إنّ ذلك لكوكب ما أعرفه(٢).

وفي دعائم الإسلام: وسمع أبو الخطّاب أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول:

إذا سقطت الحمرة من هاهنا وأوماً بيده إلى المشرق فذلك وقت المغرب. فقال أبو الخطّاب لأصحابه لمّا أحدث ما أحدثه وقت صلاه المغرب ذهاب الحمرة من أفق المغرب فلا تصلّوها حتّى تشتبك النجوم وروى ذلك لهم عن أبي عبد الله عليه السلام فبلغه ذلك فلعن أبا الخطّاب وقال:

من ترك صلاه المغرب عامداً إلى اشتباك النجوم فأنا منه برىء(٣).

وفي هذه النصوص على كثرتها يتنوا عليهم السلام شذوذ أبي الخطّاب في الفقه ويستفاد منها جمله من النقاط:

الأولى: أنّ هذا الشذوذ كان منشؤه الخطأ في التأويل حيث بين عليه السلام في روايه قاسم بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه هو الذي حدّثه بذلك الوقت لصلاه المغرب من فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكنّه لم يلتفت إلى أنّ ذلك كان في السفر فأخطأ وظنّ أنّه حكم عامّ في السفر والحضر، وكذا ما في روايه عمار الساباطى عن أبي عبد الله عليه السلام حيث جعل منشأ هذا الانحراف منه الخطأ بين الحمرة المغربيه

ص: ٣٠٩

١- (١). وسائل ٤ / ١٧٩ / أبواب المواقيت / ب ١٦ / ح ٢٢ .

٢- (٢). رجال الكشي ٣٠١ / ح ٤٠٧ .

٣- (٣). مستدرک الوسائل ٣ / ١٣٤ .

والحمره المشرقيه وعليه يمكن حمل روايه زراره عن ابي جعفر عليه السلام الذي قال فيه الشيخ إنه من مذهب ابي الخطاب.

الثانيه: يظهر من هذه الروايات عدم اهتمام ابي الخطاب في الاستماع والتأمل في روايات الفروع وكان يجترىء ويفتى بتسرّع و ذلك لما بينا من أنّهم ما كانوا يقيمون لعلم الفروع والأحكام وزناً لشده انبهارهم بعلوم المعارف.

الثالثه: أنّ نسبة الكذب إلى ابي الخطاب في بعض هذه الأخبار ليس بمعنى أنّه تعمّد الكذب على أهل البيت عليهم السلام ، و ذلك لما ذكرناه في النقطه الأولى من أنّ الإمام عليه السلام يبيّن أنّ هذا الرأي حصل لديه نتيجة عدم وعيه ودقّته، فهو اشتباه وإن كان مقصّياً وغير معذور لتفريطه، إلّا أنّه ليس تكديماً للإمام وافتراء عليه. وقد مرّ أنّ للكذب معانٍ مختلفه في الآيات والروايات يخالف ما قد يتبادر إلى ذهن غير المتمرّس وغير المتتبع.

هذا كلّ مع أنّه يمكن أن يقال: إنّ نسبة الكذب إليه في الروايات تعليقي، أي حيث فشا وانتشر لدى أتباعه هذه الظاهره وصار كمعلم وشعار لهذا التيار فلأجل المقابله معهم وردعهم عن ذلك قالوا: إنه لو كان أبو الخطاب قال كذا فهو قد كذب نظير اللعن الوارد من الأئمه عليهم السلام في حقّ بعض الرواه التي مرّ ذكرها.

٤ - ومن جمله الشذوذات ما نقل عنه في الحضر، فقد روى الكشي بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام قال:

إنّ أهل الكوفه قد نزل فيهم كذاب أمّياً المغيره فإنه يكذب على ابي - يعني ابا جعفر عليه السلام - قال: حدّثه أنّ نساء آل محمد إذا حضن قضين الصلاه، وكذب والله عليه لعنه الله ما كان من ذلك شيء ولا حدّثه (١).

ولعلّ منشأ هذا الشذوذ الفقهي لدى المغيره ما ورد من أنّ نساء آل محمد مطهّرات عن الحيض والطمث، وما درى أنّ المراد من هذه النساء ليس كلّ من

ص: ٣١٠

انتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل خصوص نساء أهل البيت عليهم السلام . فهو حينما رأى أنّ نساء منسوبات إلى رسول الله يحضن فحمل هذه الروايات على أنه يجب عليهن قضاء الصلوات في زمن الحيض أى أنه ظنّ أنّ المراد من نفى الحيض نفى الحكم بلسان نفى موضوعه.

٥- قال الشيخ الطوسى قدس سره : فأما الأخبار التى وردت فى النهى عن صوم شعبان وأنه ما صامه أحد من الأئمة عليهم السلام فالمراد بها أنه لم يصمه أحد من الأئمة عليهم السلام ، على أنّ صومه يجرى مجرى شهر رمضان فى الفرض والوجوب لأنّ قوماً قالوا: إنّ صومه فريضه وكان أبو الخطاب لعنه الله وأصحابه يذهبون إليه ويقولون: إنّ من أفطر يوماً منه لزمه من الكفّاره ما يلزم من أفطر يوماً من شهر رمضان، فورد عنهم عليهم السلام الإنكار لذلك وأنه لم يصمه أحد منهم على هذا الوجه (١).

و هذا - على فرض صحّحه النسبه حيث إنّ الشيخ ينسبه إلى قول جماعه مجهوله - أيضاً يدلّ على عدم تطلّعهم فى الفقه حيث حملهم الروايات فى فضل صوم رجب وشعبان والحثّ البالغ فى الروايات على القول بوجوب صيامهما، نظير بعض المنتسبين إلى جماعه الأخباريين حيث يفترون بظاهر بعض الروايات فيوجبون ما هو من المستحب المؤكّد فى الشريعة نظير غسل الجمعة.

متاركة الفقه يسبّب الشذوذ فى العقائد

٦- وفى معتبره جميل بن درّاج: دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فاستقبلنى رجل خارج من عند أبى عبد الله عليه السلام من أهل الكوفه من أصحابنا فلما دخلت على أبى عبد الله عليه السلام قال:

لقيت الرجل الخارج من عندى؟ فقلت: بلى هو رجل من

ص: ٣١١

١- (١) . تهذيب الأحكام ٤ / ٣٠٩ / باب صيام شعبان، نظير ذلك فى الاستبصار ٢ / ١٣٨ / باب صوم شعبان.

أصحابنا من أهل الكوفة، فقال:

لا قدس الله روحه ولا قدس مثله، إنّه ذكر أقواماً كان أبى عليه السلام ائتمنهم على حلال الله وحرامه و كانوا عيبه علمه فكذلك اليوم هم عندي، هم مستودع سرّي أصحاب أبى عليه السلام حقاً إذا أراد الله لأهل الأرض سوءاً صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتى أحياء ومواتاً يحيون ذكر أبى عليه السلام ، بهم يكشف الله كلّ بدعه، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأول الغالين، ثم بكى فقلت: من هم؟ فقال:

من عليهم صلوات الله ورحمته أحياءً وأمواتاً: بريد العجلي وزراره وأبو بصير ومحمد بن مسلم أما أنّه يا جميل سييّن لك أمر هذا الرجل إلى قريب، قال جميل: فو الله ما كان إلّ قليلاً حتى رأيت ذلك الرجل ينسب إلى أصحاب أبى الخطاب.

قلت: الله يعلم حيث يجعل رسالته قال جميل: كُنّا نعرف أصحاب أبى الخطاب ببغض هؤلاء (ره) (١).

أقول: يظهر من هذا الحديث بوضوح الديدن العامّ لدى أصحاب أبى الخطاب ومجانبتهم لرواه الفروع، وهذا إنّما نشأ من التفريط فى ظاهر الدين والاستهانه به فأصحاب هذا الاتجاه حينما يرون أنّ جماعه من الرواه خاضوا فى علم الفروع والأحكام دون المعارف والعقائد - كما يزعمون - يرمونهم بالقشريه والسطحيه ويبغضونهم لأجل ذلك. وعلى كلّ فهذه مؤاخذه تؤخذ على تيار أبى الخطاب.

ويبين هذا الحديث أيضاً مدى خطوره الابتعاد عن الفقه فى حدوث الانحراف لدى طلاب المعرفة، وأنّ المعرفة والفقه جناحان لا يقوم أحدهما إلّا بالآخر، وهذا ما يستفاد من الحديث النبوى: إنّما العلم ثلاثه: آيه محكمه أو فريضه عادله أو سنّه قائمه (٢) فالآيه يصدق بها وهو إشاره إلى العلوم الاعتقديه المعرفيه والسنه القائمه هى علوم تهذيب النفس والآداب، والفريضه العادله إشاره إلى

ص: ٣١٢

١- (١). الكشى / ح ٢٢٠ .

٢- (٢). الكافى: ١ / ٣٢ .

فرائض أعمال البدن أو أسهم الإرث وهو فقه الفروع، فقرنه صلى الله عليه وآله وسلم بين الأمور الثلاثة إشاره ضروره الاقتران والمعيه فيما بين الأمور الثلاثة كى تتحقق الاستقامه، ويحصل التحصين فى الثغور أمام هجوم الضلال والزيف.

و هذا ما أشار إليه الصادق عليه السلام فى مكاتبتة للمفضل بن عمر من أن انحراف الخطايه من جهه تركهم للظاهر أى الفقه وأخذهم بمجرد الباطن وهى المعرفه وكذلك انحراف من يأخذ بالظاهر ويترك الباطن وهو المعرفه.

شذوذهم الفقهي ليس بدرجة البينونه مع الوسط العام للأصحاب

١ - ففى كتاب عاصم بن حميد الحنّاط روى عن محمد بن مسلم قال:

دخلت على أبى جعفر عليه السلام ... ثم أقبل علىّ بوجهه وقد كان أصحاب المغيره يكتبون إلّى أن أسأله عن الجرّيث والمارماهيك والزّمير وما ليس له قشر من السمك: حرام هو أم لا؟^(١) ويظهر من هذه الروايه:

أولاً: ما أشرنا إليه من أنّ أصحاب المغيره فضلاً عنه وكذلك أبو الخطاب لم تكن بينهم وبين بقيه الشيعة وفقهاء الرواه قطيعه، و أنهم كانوا يعيشون فى الوسط الشيعى، كما تشير إليه روايه عبد الله بن بكير الرجانى من قوله للصادق عليه السلام: إنّنا ذكرنا الألفه التى كُنّا عليها والبلية التى أوقعتهم أى أصحاب أبى الخطاب بعد قتلهم^(٢).

وثانياً: أنه لم يكن تيار المغيريه آنذاك يتبنّى مقالات صريحه فى الكفر كما طعن عليهم أهل السنه وإلّا لتبرئوا منهم الأصحاب.

ثالثاً: أنّ تيار المغيريه كان ذا طابع وسلوك فقهي أيضاً، و كانوا يستفتونه عليه السلام .

ص: ٣١٣

١- (١). الأصول الستة عشر - كتاب عاصم بن حميد / ١٥٥ .

٢- (٢). رجال الكشى رقم ٥١٧ .

ويشير إلى تقييدهم بالسلوك الفقهي جملة من الروايات التي مرّ ذكرها من أنّ أبا الخطاب أفسد أهل الكوفة في تأخير المغرب عن الشفق الغربي(١). ومثله ما روى من قول المغيرة بقضاء الصلاة للحائض كما تقدّم.

٢ - روى الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن زرارة عن أبي الخطاب قال: سألته يعني أبا عبد الله عن رجل يدخل الأجمه فيجد فيها بيضاً مختلفاً لا يدرى بيض ما هو أبيض ما يكره من الطير أو يستحب فقال:

إنّ فيه علماً لا يخفى انظر إلى كلّ بيضه تعرف رأسها من أسفلها فكل وما يستوى في ذلك فدعه(٢).

و هذا الخبر أيضاً يدلّ على الطابع الفقهي لدى أبي الخطاب وأنّه ليس كما يُرمى به الغلاه من أنّهم لا يبالون بالفروع والأحكام، هذا أولاً.

وثانياً: إنّ روايه زراره عنه هذا الخبر يدلّ على عدم حصول القطيعه والسينونه بينه وبين الأصحاب وأنّه كان يُعتنى به في نقله للروايات الفقيهيه، وهذا وإن حمّله بعض على حال استقامته إلّا أنّه يكشف عن الطابع العامّ لديه.

٣ - روى الكليني عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علي عن داود الرقي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إنّ رجلاً من أصحاب أبي الخطاب نهى عن أكل البُخت وعن أكل لحوم الحمام المُسرّوله، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

لا بأس بركوب البخت وشرب ألبانهن وأكل لحوم الحمام المُسرّول(٣).

ورواه في الفقيه عن الوشاء عن داود الرقي(٤).

ص: ٣١٤

١- (١). رجال الكشي ح ٥١٨.

٢- (٢). الكافي ٦ / ٢٤٩ / باب ما يُعرف به البيض / ح ٣.

٣- (٣). الكافي ٦ / ٣١٢ / باب لحوم الجزور والبخت / ح ٢.

٤- (٤). من لا يحضره الفقيه ٣ / ٣٣٧ / ح ٤١٩٩.

ورواه في التهذيب عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي (١).

وفيه أيضاً دلالة على عدم القطيعة بينه وبين الأصحاب حيث لا ينبذ آراءهم وفتاواهم بل يسأل عن الإمام عليه السلام عن صحته ذلك وعدمه، كما أنه يدل على الطابع الفقهي العام لديهم. وغير خفي أنّ داود الرقي إنما نسب هذا الفتوى إلى رجل من أصحاب أبي الخطاب فقد يكون هذه من الشذوذات الفقهية الحاصلة لدى أتباعه وأصحابه بعده.

تشدد أبي الخطاب بالتجاوز عن حدود العبادة

ففي التهذيب: ما رواه الحسين بن سعيد عن صفوان عن ابن بكير عن زراره قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما جرت به السنّة في الصلاة؟ فقال:

ثمان ركعات الزوال وركعتان بعد الظهر وركعتان قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث عشرة ركعة من آخر الليل ومنها الوتر وركعتا الفجر، قلت: فهذا جميع ما جرت به السنّة؟ قال:

نعم.

فقال أبو الخطاب: أفرأيت إن قوى فزاد؟ قال: فجلس وكان متكئاً، فقال:

إن قويت فصلّها كما كانت تصلّي وكما ليست في ساعه من النهار فليست في ساعه من الليل إن الله عزوجل يقول: «وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ» ٢.

وفي كتاب درست بن أبي منصور عن ابن مسكان عن زراره قال: دخلت أنا وأبو الخطاب - قبل أن يبتلى ويفسد - على أبي عبد الله عليه السلام فسأله عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقال: أزيد إن قويت (عليه)، قال: فتغيّر وجه أبي عبد الله عليه السلام، قال: ثم قال:

إنّي لأمقت العبد يأتيني فيسألني عن صنيع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فيقول:

أزيد إن قويت، كأنه يرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قصّر، ثم قال:

إن كنت صادقاً فصلّها في

ص: ٣١٥

١- (١). تهذيب الأحكام ٩ / ٤٩ / باب الصيد والذكاه / ح ٢٠٢.

ساعات بغير أوقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

أقول: إنَّ هذا الإفراط من جانب والتفريط من جانب آخر يحصل نتيجة عدم التطلُّع في الفقه والفروع فإنَّ الجاهل إمَّا مفرط أو مفرّط.

ص: ٣١٦

١- (١). الأصول الستة عشر / كتاب درست بن أبي منصور / ص ٢٨٩ / ح ٤٢٣، مستدرک الوسائل ١ / ١٤٥ .

من هذه الموارد:

١ - تطرف المغيرة في الاندفاع السياسي وفي النشر والإفشاء لغوامض مقاماتهم.

روى الصفار في البصائر بسند صحيح أعلائي عن أبي الصباح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلغنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام:

أنت أخي وصاحبي ووصيبي وخالصي من أهل بيتي وخليفتي في أمّتي وسأبئتك فيما يكون فيها من بعدى، يا علي إنّي أحبّ لك ما أحبّه لنفسى وأكره لك ما أكرهه لها.

فقال لي أبو عبد الله عليه السلام:

هذا مكتوب عندي في كتاب عليّ ولكنني دفعته أمس حين كان هذا الخوف وهو حين صلب المغيرة (١).

وفي هذه الرواية إيماء إلى أنّ مقاله المغيرة بن سعيد حول الأئمة عليهم السلام لا تتضمّن ارتفاع في القول ولا إفراط في نسبه الأوصاف، ولكن كان يستعظمها فقاء الرواه كأبي الصباح الكناني، وإنّ تطرف المغيرة بن سعيد إنما كان على الصعيد السياسي وعلى صعيد النشر والإفشاء للمقامات الغيبية لمنصب الإمامة الإلهية، والتي كان ينطبع بنحو خاطيء مفادها لدى الآخرين.

وبعبارة أخرى: إنّ قتل وصلب المغيرة ذو صلة وطيدة بتخوفه عليه السلام من نشر فضائلهم ومقاماتهم الخاصّة التي لا يتحمّلها عامّة الناس وهذا مؤشّر على طابع ومسار مقاله المغيرة بن سعيد.

وفي هذه الصحيحه شهاده على هذا المعنى من الغلو في هذه الفرق كما يدلّ

ص: ٣١٧

على حرصهم على النشر والإفشاء لغوامض مقامات أهل البيت عليهم السلام وأنهم إنما نشروها في سبيل طموحاتهم السياسيّه.

٢ - نظر فهم السياسي ومحاولة جعل المعارف العاليه قنطره للوصول إليها

قال البلاذري: أتى المغيره جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فقال له: أقر بعلم الغيب حتى أجبى لك العراق، فقال: أعوذ بالله ثم أتى محمد بن علي بن الحسين فقال له مثل ذلك فزجره وشتمه(١).

وفي هذا النقل - مع نسبه التحفظ في نقل البلاذري حول هذه الجماعات والفرق - إلّا أنه يدل بوضوح على أنّ المغيره بن سعيد لم تكن مقالته مقتصره على الطابع العقائدي البحت، بل كانت ذات دعوى سياسيّه ساخنه مما يعطى مؤشراً أن تعاطى السلطات معه ومع تياره لم يكن تعامل من البعد العقائدي البحت، بل كانت مواجهه سياسيّه محتدمه.

٣ - مقتل المغيره بن سعيد في تاريخ الطبري

ظاهر الطبري في حوادث سنه ١١٩ هـ أنّ المغيره بن سعيد وبيان قد خرجا خروجاً كثوره سياسيّه في تلك السنه، علماً بأن خروج زيد كان في سنه ١٢١، وهذا يؤشر إلى تقدّم تلك التيار في القيام بالثوره السياسيّه والكفاح المسلّح أمام الظالمين.

وقد نقل أنّ الدوله الأمويه قامت بالقبض على مالك بن أعين أيضاً ولم يفتد الشعار السياسي الذي خرج به المغيره وبيان وجمع من رهطه.

وإليك نصّه:

ذكر الخبر عن مقتل المغيره بن سعيد ونفر معه:

ص: ٣١٨

١- (١). أنساب الأشراف: ٩ / ٧٦.

وفى هذه السنه (سنه ١١٩) خرج المغيره بن سعيد وبيان فى نفر؛ أخذهم خالد فقتلهم ... قال أبو نعيم: وكان المغيره قد نظر فى السحر، فأخذه خالد القسرى فقتله وصلبه ... قال أبو زيد: لما قتل خالد المغيره وبيان أرسل إلى مالك بن أعين الجهنى فسأله فصدقه عن نفسه فأطلقه ...

قال أحمد بن زهير عن على بن محمد، قال: خرج المغيره بن سعيد فى سبعة نفر و كانوا يدعون الوصفاء وكان خروجهم بظهر الكوفة (...)(١).

وفى هذا النقل من الطبرى دلالة على جملة من الأمور:

الأول: الخروج السياسى للمغيره وبيان وأتباعهما.

الثانى: طعن السلطه الأمويه له كذريعه لمحاربتهم، ومواجهتهم بالسحر والغلو كتمهيد ومبرر للقضاء عليهم.

الثالث: وجود العلاقة الوطيدة بين المغيره وبيان مع مالك بن أعين الجهنى.

٤ - علاقات مشتركه بين الزيديه والمغيريه

قال النوبختى: «أما المغيريه أصحاب المغيره بن سعيد فإنهم نزلوا معهم - أى الزيديه - إلى القول بإمامه محمد بن عبد الله بن الحسن وتولّوه وأثبتوا إمامته فلما قتل صاروا لا إمام لهم ولا وصى ولا يثبتون لأحد إمامه بعده»(٢).

أقول: أنّ نقل النوبختى له يدلّ على وجود نقاط مشتركه بين الزيديه والمغيريه وهى التطرف السياسى والاندفاع الثورى الساخن فى كيفية مقاومه النظام الأموى.

٥ - أخصيه الشعار السياسى لخروج المغيره من شعار خروج زيد

ولا يخفى أنّ هناك مفارقة بين الشعار لخروج المغيره وبيان وأبى الخطاب

ص: ٣١٩

١- (١). تاريخ الطبرى ٥ / ٤٥٦ .

٢- (٢). فرق الشيعة: ٧١ و ٧٢ .

السياسى مع الشعار السياسى الذى خرج به زيد والمفارقة كبيره جداً، فإن الشعار المرميين بالغلو «لييك»، أى الطاعه والانقياد للإمام عليه السلام نظير شعار المسلمين فى بعض غزوات النبى صلى الله عليه وآله وسلم «لييك داعى الله».

فقد روى الكشى عن حمدويه: قال: حدثنا يعقوب عن ابن أبى عمير عن عبد الصمد بن بشير عن مصادف قال:

لما لبى القوم الذين لبوا بالكوفه دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فأخبرته بذلك فخرّ ساجداً وألرزق جؤجؤه بالأرض وبكى وأقبل يلوذ بإصبغه ويقول: بل عبد الله قنّ داخر مراراً كثيره... (١).

بينما كان شعار ثوره زيد الدعوه إلى الرضا من آل محمّد، ومقصوده - كما أوضحت الروايات - وإن كان الإمام الصادق عليه السلام باعتبار أنه الشخص المرضى فى الصفات المتميّز بالمناقب والكمالات من أهل البيت عليهم السلام، إلّا أنه لم يكن بيناً عند عامه الناس، فخروجهم كان قبل خروج زيد وشعارهم كان أخصّ بأهل البيت عليهم السلام من شعار زيد.

وتبرّته عليه السلام من هذا الشعار إما بلحاظ ما نشرته السلطات الأمويه من دعايه كون ذلك الشعار تأليهاً لأنمه أهل البيت عليهم السلام، فكان الموقف منه عليه السلام يستدعى التبرّء من هذه الدعايه المضادّه وإحباط تأثيرها سواء فى صفوف أتباع أهل البيت من الشيعة أو عند العامه، فإنّ هذه السياسه الهدامه من الأمويين كانت تغزّر بأتباع أهل البيت وتبعدهم عن الحقيقه الشامخه إلى الانحراف الخاطيء الذى كان يطمع الأمويون رؤيته فى أتباع أهل البيت عليهم السلام .

نظير ما تصنعه الآن القوى الغربيه والاستعماريه من خلط التيارات التى تدعى المهدييه أو النيايه الخاصه كفرق البايه تشويهاً ومحاربه للعقيده الحقه الشامخه بالإمام المهدي لدى المسلمين.

ص: ٣٢٠

أو أنّ سجوده عليه السلام كان إعلاناً لمقاطعته السياسيّه لهذه الحركه السياسيّه لقطع الطريق أمام اتهام السلطات له بالارتباط بهذه الفرق.

شعار المغيره إظهار التشيع لآل على وشده تعصبه لأهل البيت عليهم السلام

قال البلاذرى: «و كان المغيره بن سعيد هذا ظهر أيام خالد وكان يظهر التشيع لآل على.

وقال أيضاً: كان الشعبى يقول للمغيره بن سعيد مولى بجيله: ما فعل الإمام فيقول: لا- تهزأ به فيقول: لست أهزأ به إنما أهزأ بك(١).

ويلاحظ من هذا النص ظاهره شده تصلب المغيره فى ولاء أهل البيت عليهم السلام فى فتره استقامته، بل كان هذا شعاره عند قيامه بالثوره على الأمويين التى قتل فيها.

كما يبين النص الآخر قوه ترويج المغيره لمفهوم الإمامه والنص الإلهى.

ومن ملامح ذلك أيضاً ما ذكره فى البدء والتاريخ عن المغيره بن سعيد أنه سأله رجل عن أمير المؤمنين عليه السلام فقال: لا تحتمله قال: بل أحتمله قال: فذكر آدم فمن دونه من الأنبياء فلم يذكر أحداً منهم إلا فضل علياً. حتى انتهى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: فقلت: كذبت قال: قد أخبرتك أنك لا تحتمل(٢).

والذيل من تفضيل على النبى واضح أنه فريه على المغيره تشنيعاً من العامه على من يتصلب فى ولاء أهل البيت عليهم السلام .

٦ - طمع أبى الخطاب فى الرئاسة وردعه عليه السلام له

عن الكشى: محمد بن مسعود عن على بن محمد بن يزيد عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن أبى نصر عن على بن عقبه عن أبيه قال: دخلت على أبى عبد الله فسلمت وجلست فقال لى:

وكان فى مجلسك هذا أبو الخطاب ومعه سبعون

ص: ٣٢١

١- (١). أنساب الأشراف ٥ / ٧٥ .

٢- (٢). البدء والتاريخ ٥ / ١٣١ .

رجلاً كلهم ينالهم منهم شىء فرحمتهم فقلت لهم: ألا أخبركم بفضائل المسلم فلا أحسب أصغرهم إلّا قال: بلى جعلت فداك، قلت: من فضائل المسلم أن يقال له فلان قارىء لكتاب الله عزوجل وفلان ذو حظ من ورع وفلان يجتهد في عبادته لربه، فهذه فضائل المسلم وما لكم وللرئاسات إنما المسلمون رأس واحد إياكم والرجال فإنّ الرجال للرجال مهلكه فإنى سمعت أبى عليه السلام يقول: إنّ شيطاناً يقال له المذهب يأتى في كل صورته إلّا أنه لا يأتى في صورته نبى ولا وصى نبى ولا أحسبه إلّا وقد تراءى لصاحبكم فاحذروه فبلغنى أنهم قتلوا معه فأبعدهم الله وأسحقهم إنّه لا يهلك على الله إلّا هالك (١).

ويظهر من هذا الحديث:

أولاً: أنّ أبا الخطاب كان ذو حركة اجتماعيه وسياسيه وأنه كان صاحب تيار ونفوذ ويسعى للنهوض السياسى أمام السلطه.

وثانياً: يظهر من هذا الحديث أنّ صلته بالإمام عليه السلام فضلاً عن الوسط الشيعى بقى مستمراً طيله حياته حتى قتل، وتدلّ على ذلك جملة من الروايات الأخرى، وأنّه لم تقطع قطيعه بينه وبين كبار الرواه. وهذا مما يؤشّر على أنّ المؤاخذات المأخوذه عليه لم تكن من المقالات التى يحكم عليها بالكفر الصريح وإلّا لقاطعه عليه السلام وشدّد على أصحابه بمقاطعته.

كما أنّ ما صدر منه عليه السلام فى أيام حياه أبى الخطاب كان بلسان التحذير من شدوذات أبى الخطاب إما فى التأويل أو فى التطرّف السياسى أو غيرها من المعانى التى مرّت بالإشاره إليهما.

ثالثاً: إنّ ردعه عليه السلام لأبى الخطاب وتحذير الشيعه كان جهاراً وأنّ من مناشىء انحرافه هى تضليل الشيطان له عبر سلسله من المكاشفات الشيطانيه، وأنّ هذا الخطر والانزلاق مما يمتحن ويفتنن به ذوى المتضلع فى المعارف ويكونون فى

ص: ٣٢٢

عرضه الانحراف بسببه.

رابعاً: أنه يظهر من هذه الروايه معنى آخر للغلو وهو معنى الأول الذى مر ذكره من عدم تقييد أصحاب أبي الخطاب بظاهر الشريعة وتكاليها لخطأهم فى تأوّل ما ورد من أنه إذا علمت فاعمل ما شئت.

٧ - إغراء أسرار المعارف إلى التطرف السياسى

فإنّ الاطلاع على غوامض الحقائق وتعاضم الحقّ عند أهل الحق وأتباعه مما يدعو رواه أسرار المعارف إلى الحدّه والعجله فى تقييم الموقف والمسؤوليه تجاه الإصلاح السياسى، فإنّ طابع الثوريّه بدرجات عاليه من الشدّه انزلاق وقع فيه جمله من رواه أسرار المعارف والسّر فى ذلك ما مرّ من أنّ الوقوف على مقامات أهل البيت عليهم السلام ومنازلهم الغيبيه يبده كفاتهم فى تدبير الأمور، فإنّهم ولاه الملكوت فكيف يُقصون عن ولايه الملك؟ وهذا مما يدعى إلى التسرّع والعجله فى إقصاء الظالمين. ومن ثمّ يلاحظ فى الروايات التوصيه الأكيده المتكرّره من الأئمه عليهم السلام لمن يتلقّى منهم ذلك النمط من الروايات أن لا يتسرّعوا فى التطرف السياسى.

فقد روى الكشى بسنده عن المفضل بن عمر الجعفى قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن تفسير جابر فقال:

لا تحدّث به السفله فيذيعوه أما تقرأ فى كتاب الله عزوجل: «فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ»

إِنَّ مَنَا إِمَامًا مُسْتَرًّا فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَ أَمْرِهِ نَكَتَ فِي قَلْبِهِ فَظَهَرَ فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ (١).

وذيل الحديث وإن كان ذا دلالات متعدده إلّا أنّ فيه إشاره إلى لزوم التروى وعدم الاستعجال فى إظهار وإقامه الحق على الصعيد السياسى، فإنّ سنه الله جرت على أن يكون بالتدريج إلى أن يبلغ الغايه ساعه ظهور الإمام المهدي عجل

ص: ٣٢٣

اللّه تعالى فرجه ومن ثمّ حذّروا عليهم السلام من عدم مراعاة ذلك بأنّه موجب للاستئصال لكون الاستعداد لم يبلغ حينه أجله، و ذلك في تعبيرهم أذاقه الله حرّ الحديد.

٨ - نبد الهدنه مع أهل الخلاف

ومن معالم الغلو السياسى أنّهم كانوا ينبذون الهدنه بين أهل الإيمان والمخالفين، وهذه الظاهره من معالمهم متولّده من تطرّفهم السياسى فلا يقزّون هدنه مع المعترفين بالإسلام الظاهرى اللسانى، فلا يتصوّرون أنّ للتسليم والتعايش درجات.

فقد روى الكلينى بسند معتبر عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «قالت الأعرابُ آمنا قلّ لم تؤمنوا و لكنّ قولوا أسلمنا»

فمن زعم أنّهم آمنوا فقد كذب ومن زعم أنّهم لم يسلموا فقد كذب (١).

وورد عنهم عليهم السلام :

فلا يقولنّ صاحب الاثنى لصاحب الواحد لست على شىء فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك (٢).

والسبب فى ذلك عدم الاكتراث بالتسليم اللسانى وآثاره الدينويه مع أنّ الإقرار اللسانى وإن كان لسانياً إلّا أنّ له آثاراً فى دار الدنيا، كما أنّ انتحال أهل الكتاب للانتماء إلى النبى موسى وعيسى رغم صورته هذا الانتساب جعلهم من أهل الذمه دون ساير الكفار.

ويشير إلى ذلك ما رواه الكلينى فى شأن أبى الخطاب عن على بن إبراهيم عن أبىه عن ابن أبى عمير عن عبد الرحمن بن الحجاج عن هاشم صاحب البريد قال:

كنت أنا ومحمد بن مسلم وأبو الخطاب مجتعيين، فقال لنا أبو الخطاب: ما

ص: ٣٢٤

١- (١). الكافى ٢ / ٢٥ .

٢- (٢). الكافى ٢ .

تقولون فيمن لم يعرف هذا الأمر، فقلتُ: من لم يعرف هذا الأمر فهو كافر. فقال أبو الخطاب: ليس بكافر حتى تقوم عليه الحجّة، فإذا قامت عليه الحجّة فلم يعرف فهو كافر. فقال له محمد بن مسلم: سبحان الله ما له إذا لم يعرف ولم يجحد يكفر ليس بكافر إذا لم يجحد.

قال: فلما حججت دخلت على أبي عبد الله فأخبرته بذلك، فقال:

إنّك قد حضرت وغابا ولكن موعدكم الليلة الجمرة الوسطى بمنى. فلما كانت الليلة اجتمعنا عنده وأبو الخطاب ومحمد بن مسلم فتناول وساده فوضعها في صدره ثم قال لنا:

ما تقولون في خدمكم ونسائكم وأهلكم أليس يشهدون أن لا إله إلا الله؟ قلت: بلى.

قال:

أليس يشهدون أنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قلت: بلى.

قال:

أليس يصلون ويصومون ويحجّون؟ قلت: بلى.

قال:

فيعرفون ما أنتم عليه؟ قلت: لا، قال:

فما هم عندكم؟ قلت: من لم يعرف هذا الأمر فهو كافر.

قال:

سبحان الله أما رأيت أهل الطريق وأهل المياه؟ قلت: بلى.

قال:

أليس يُصلّون ويصومون ويحجّون. أليس يشهدون أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله؟ قلت: بلى.

قال:

فيعرفون ما أنتم عليه؟ قلت: لا، قال:

فما هم عندكم من لم يعرف هذا الأمر فهو كافر.

قال:

سبحان الله أما رأيت الكعبة والطواف وأهل اليمن وتعلقهم بأستار الكعبة. قلت:

بلى.

قال:

أليس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويصلون ويصومون ويحجون؟ قلت: بلى.

قال:

فيعرفون ما أنتم عليه؟ قلت: لا. قال:

فما تقولون فيهم؟ قلت: من لم يعرف فهو كافر.

ص: ٣٢٥

قال:

سبحان الله هذا قول الخوارج، ثم قال:

إن شئتم أخبرتكم. فقلت: أنا لا. فقال:

أما إنه شرّ عليكم أن تقولوا بشيء ما لم تسمعه منّا. قال: فظننت أنه يديرنا على قول محمد بن مسلم (١).

ص: ٣٢٤

١- (١). الكافي ٢ / ٤٠١ / باب الضلال / ح ١ .

من المؤاخذات على المغيره وأبى الخطاب وأمثالهما هو السداجه والسطحيه وسرعه الاسترسال فى المكاشفات الروحيه والمشاهدات النفسائيه، وعدم الكياسه فى الرياضات الروحيه ومنازل السير النفسانى.

و هذا ما تشير إليه جملة من الروايات.

فقد روى الكشى بسنده عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال:

تراءى و الله إبليس لأبى الخطاب على سور المدينه أو المسجد فكأنتى أنظر إليه وهو يقول له: إيهأ نظفر الآن نظفر الآن(١).

وروى أيضاً بسند صحيح عن زواره قال: قال أبو عبد الله عليه السلام :

أخبرنى عن حمزه أيزعم أن أبى آتیه. قلت: نعم قال:

كذب و الله ما يأتیه إلا المتكؤن، أن إبليس سلط شيطاناً يقال له المتكؤن يأتى الناس فى أى صوره شاء إن شاء فى صوره صغيره وإن شاء فى صوره كبيره لا و الله ما يستطيع أن يجىء فى صوره أبى(٢).

والمراد هو حمزه بن عماره البربرى.

وروى بسند صحيح عن هشام بن الحكم عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

إن بيانا والسرى وبزيعاً لعنهم الله تراءى لهم الشيطان فى أحسن ما يكون صوره آدمى من قرنه إلى سرتة الحديث(٣).

ص: ٣٢٧

١- (١) . رجال الكشى / ح ٥٤٥ .

٢- (٢) . رجال الكشى / ح ٥٣٧ .

٣- (٣) . رجال الكشى / ح ٥٤٧ .

وروى أيضاً بسنده عن عبد الرحمن بن كثير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لأصحابه:

لعنه الله المغيره بن سعيد ولعن يهوديه كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذه والمخاريق الحديث (١).

و مثل هذه الغفلات تكون بمثابة الضربات القاتله لأنه يتلبس عليهم الشياطين فيغونهم عن الطريق السوى، ويساعد على ذلك أن لهم جهات من الضعف فى العلم بالأحكام الفقهيّه.

و هذا يجعلهم يسارعون فى تصديق جملة من الخواطر التى يلقيها الشيطان فى روعهم أو يربك تأويل المعارف التى تعلموها من أهل البيت إلى معانٍ مقلوبه ومفاهيم معكوسه.

ص: ٣٢٨

١- (١). رجال الكشى / ح ٤٠٣ .

إشاره

ومن المؤاخذات على منهجيته الفرق المطعون عليها بالغلو اغترارهم باليسير ممّا عرفوا عن تحصيل ما وراءه.

فقد روى درست بن أبى منصور عن زكّار بن يحيى الواسطى قال: كنت عند الفضيل بن يسار أنا وحرّيز قال: فقال له حرّيز: يا أبا على! إنّ زكّاراً يحبّ أن يسمع الحديث منك فى العلم، قال: فأقبل علىّ فضيلاً، فقال: مالك وللخصومه؟ قال:

قلت: لم أرد بهذا الخصومه، قال: فقال: كنت أنا وحرمان قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام :

يا حرمان كيف تركت المتشيعين خلفك؟ قال: تركت المغيره وبيان البيان، يقول أحدهما: العلم خالق و يقول الآخر: العلم مخلوق. قال: فقال لحرمان:

فأى شيء قلت أنت يا حرمان؟ قال: فقال حرمان: لم أقل شيئاً قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام :

أفلا قلت: ليس بخالق ولا مخلوق؟ قال: ففزع لذلك حرمان، قال: فقال: فأى شيء هو؟ قال: فقال:

هو من كماله كيدك منك(١).

ويشير هذا الحديث الشريف إلى أمرين من أسباب الانحراف لدى طلب المعارف الغامضه ودقائق الحقائق:

أولاً- ابتلاؤهم بالغرور والاعترار بما حصلوا عليه من سطح بعض الغوامض والحقائق فيأخذ بهم الوهم بأنّ ذلك تمام الحقيقه فينجزّ بهم ثانياً إلى أمر آخر أخطر، وهو ظنّهم بأنّهم لا يضعفون ولا يعيون أمام حلّ أى معضله وأنّهم قادرون

ص: ٣٢٩

١- (١). الأصول الستّه عشر - كتاب درست بن أبى منصور / ٢٩٠ / ح ٤٢٧ .

على فكّ كلّ عقده مشكله فيستغنون بأنفسهم وآرائهم ومحدود علمهم عن الرجوع إلى المعصوم والوحي فيما بقى ممّا هو أطول من طريق المعرفة، فكم يقعون المتمرسون في مباحث ومناهج المعرفة من صيرورتهم في المآل إلى انتهاج منهج «حسبنا أنفسنا وعقولنا عن الوحي» أو «حسبنا كتاب الله عن العترة» وإن كانوا في بدايه الطريق يسلمون بالتمسك بالثقلين إلّا أنّهم مآلاً تنفصم عرى اتباعهم للثقلين وملازمتهم لهما في كل صغيره وكبيره قبل الانتهاء والوصول إلى حوض الكوثر.

السقيفه في عالم المعنى

ومن انحرافات الخطايه والإسماعيليه - التي من امتداداتهم والتي نشأت من اغترارهم واستبدادهم بعقولهم وآرائهم - هو تركهم ومثاركتهم لظواهر القرآن ولتراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمه السّته عليهم السلام تحت ذريعه التأويل، مع أنّهم يزعمون الإقرار بإمامه السّته إلّا أنّهم يتمسكون بغيرهم من بعدهم بنحو يعطونهم صلاحيات نسخ ظاهر شريعه الرسول ومنهاج الأئمه السّته عليهم السلام، فمرفقوا عنهما ولم يتقيدوا على تراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام. وكلّ ذلك بسبب القول بإمامه غير المعصومين عليهم السلام حيث يناقض الكلام البشرى كلام الوحي، بينما لا يوجد أى تناقض بين كلام الأئمه السّته عليهم السلام وكلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا بينها وبين كلام الله فى القرآن بل ومع كلام الأئمه السّته عليهم السلام اللاحقين من الاثنى عشر.

و هذا فى الحقيقه طرد ورفض لأهل البيت عليهم السلام فى أخذ المعارف والوصول إلى عالم المعنى، بحذاء طرد ورفض الأئمه عن الساحة السياسيه.

إشاره

فإنّ انزلاقهم فى عدم التحفّظ على الأسرار وما قاموا به من الثورات السياسيه وغيرها أثّرت فى توليد بعض الفرق المنحرفه عن مسير الإمامه الإلهيه فى مرور الأزمان ولنذكر بعض الأمثله منها:

الأولى: فإنّ من تداعيات الخطايه - الناشئه من المؤاخذه السابقه - أنّهم شكّلوا الأرضيه لتأسيس مذهب الإسماعيليه، وهذه الآفه تعتبر من أكبر سموم الخطايه حيث شطّ لهم التأويل إلى متاركه الأئمه المعصومين عليهم السلام وسبب استبدادهم بآرائهم وعقولهم الاغترار بأنفسهم عن الرجوع إلى الأئمه عليهم السلام . وهذا نمط من شعار حسنا كتاب الله فى المسلك المعرفى وقد ابتلى به الصوفيه والفرق الباطنيه وجمله من العرفاء، وقد عبر عنه البعض بالسقيفه فى عالم المعنى والملكوت على قرار السقيفه السياسيه فى عالم الملك.

قال النوبختى فى فرق الشيعه: «فأما الإسماعيليه فهم الخطايه أصحاب أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الأسدى الأجدع، وقد دخلت منهم فرقه فى فرقه محمد بن إسماعيل وأقروا بموت إسماعيل بن جعفر فى حياه أبيه وهم الذين خرجوا فى حياه أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فحاربوا عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله العباسى وكان عاملاً على الكوفه فبلغه عنهم أنّهم أظهروا الإباحات ودعوا إلى نبوه أبى الخطاب».

ثم ذكر قصه محاربتهم وقتل أبى الخطاب وصلبه وإحراق جسده ثم قال: «ثم خرج من قال بمقالته من أهل الكوفه وغيرهم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر

بعد قتل أبي الخطاب فقالوا بإمامته وأقاموا عليها»(١).

وقد روى الكشي عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للمفضل بن عمر الجعفي:

يا كافر يا مشرك مالك ولابني يعني إسماعيل بن جعفر وكان منقطعاً إليه يقول فيه مع الخطائيه ثم رجع بعد(٢).

الثانيه: أن نشأه القرامطه التي هي فرقه منشعبه من المباركيه إنما نشأت من الخطائيه.

قال النوبختي: «وصنوف الغاليه افترقوا بعده (أي بعد قتل أبي الخطاب) على مقالات كثيره ... فقالت فرقه منهم إن روح جعفر بن محمد جعلت في أبي الخطاب ثم تحوّلت بعد غيبه أبي الخطاب في محمد بن إسماعيل بن جعفر ثم ساقوا الإمامه في ولد محمد بن إسماعيل وتشعبت منهم فرقه من المباركيه ممن قال بهذه المقاله تسمّى القرامطه»(٣).

امتدادات الخطائيه والمغيريه وجهود الأئمه عليهم السلام في إقلاعهم عن الجسم الشيعي

ومما يشير إلى تمادى قاعده أبي الخطاب وتياره في الانحراف مما أدى إلى نشوء الفرق:

١ - ما رواه الشيخ الطوسي في الغيبه عن جماعه عن جعفر بن محمد بن قولويه وأبي غالب الزراري وغيرهما عن محمد بن يعقوب الكليني عن إسحاق في التوقيع ورد عليه من صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف على يد محمد بن عثمان:

وأما أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع ملعون وأصحابه ملعونون فلا تجالس

ص: ٣٣٢

١- (١). فرق الشيعة للنوبختي / ٦٩ - ٧١.

٢- (٢). الكشي / رقم ٥٨١.

٣- (٣). فرق الشيعة للنوبختي / ٧١ و ٧٢.

أهل مقاتلهم فإنني منهم برىء وآبائي عليهم السلام منهم براء.

ورواه الصدوق في كمال الدين عن محمد بن محمد بن عصام الكليني عن محمد بن يعقوب مثله (١).

وطريق هذا التوقيع من الصحيح الأعلاني على الأصح في إسحاق بن يعقوب الكليني، والتوقيع يبين انحراف ابن أبي الخطاب وأصحابه بعد تماديهم في فساد المقال، وأن امتدادهم بقي إلى عصر الغيبة الصغرى والخطير أن من امتدادهم نشأت الفرقة الإسماعيلية والمباركية والقرامطة، وهذا النتاج يعتبر من أخطر سموم الخطايه.

٢ - روى الكشي بسنده عن مرزم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

تعرف مشبر وشبر بتوهم الاسم قال:

الشعيرى، فقلت: بشار؟ قال:

بشار، قلت: نعم جار لى قال:

إن اليهود قالوا ووخذوا الله و أن النصرارى قالوا ووخذوا الله، وأن بشاراً قال عظيماً إذا قدمت الكوفه فآته وقل له: يقول لك جعفر: يا كافر يا فاسق يا مشرك أنا برىء منك.

قال مرزم: فلما قدمت الكوفه فوضعت متاعى وجئت إليه فدعوت الجاربه فقلت: قولى لأبى إسماعيل هذا مرزم فخرج إلى فقلت له: يقول لك جعفر بن محمد:

يا كافر يا فاسق يا مشرك أنا برىء منك فقال لى: وقد ذكرنى سيدي قال: قلت:

نعم ذكرك بهذا الذى قلت لك فقال: جزاك الله خيراً وفعل بك وأقبل يدعو لى.

٣ - وروى أيضاً بسنده عن إسحاق بن عمار قال: قال لى أبو عبد الله عليه السلام لبشار الشعيرى:

أخرج عنى لعنك الله لا والله لا يظننى وإياك سقف بيت أبداً. فلما خرج قال:

ويله ألا- قال بما قالت اليهود ألا قال بما قالت النصرارى ألا قال بما قالت المجوس أو بما قالت الصابيه، والله ما صغر الله تصغير هذا الفاجر أحد إنه شيطان بن شياطين خرج من البحر ليغوى أصحابى وشيعتى فاحذروه، وليبلغ الشاهد الغائب أنى عبد بن عبد قن بن أمه

ص: ٣٣٣

ضَمَّتَنِي الْأَصْلَابَ وَالْأَرْحَامَ وَأَنِي لَمَيِّتٌ وَأَنِّي لَمَبْعُوثٌ ثُمَّ مَوْقُوفٌ ثُمَّ مَسْئُولٌ وَاللَّهِ لَأَسْأَلَنَّ عَمَّا قَالَ فِي هَذَا الْكَذَّابِ وَأَدْعَاهُ عَلَيَّ، يَا وَيْلَهُ مَا لَهُ أَرْعَبَهُ اللَّهُ فَلَقَدْ آمَنَ عَلَيَّ فَرَاشَهُ وَأَفْزَعَنِي وَأَقْلَقَنِي عَنِ رِقَادِي. وَتَدْرُونَ لِمَ أَقُولُ ذَلِكَ؟ أَقُولُ ذَلِكَ لِكَيْ أَسْتَقَرَّ فِي قَبْرِي (١).

٤ - وروى أيضاً بسنده عن علي بن مهزيار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول - وقد ذكر عنده أبو الخطاب - :

لعن الله أبا الخطاب ولعن أصحابه ولعن الشاكين في لعنه ولعن من قد وقف في ذلك وشك فيه. ثم قال:

هذا أبو الغمر وجعفر بن واقد وهاشم بن أبي هاشم استأكلوا بنا الناس وصاروا دعاه يدعون الناس إلى ما دعى إليه أبو الخطاب، لعنه الله ولعنهم معه ولعن من قبل ذلك منهم، يا علي لا تتحرّجن من لعنهم لعنهم الله فإن الله قد لعنهم. ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

من تأتم أن يلعن من لعنه الله فعليه لعنة الله (٢).

وهذا الحديث عن الجواد عليه السلام يبيّن بقاء الخطايه إلى زمانه عليه السلام وأن تشبّتهم بالتأويل على غير الموازين كان يموّه الطريق على كبار أهل العلم من الرواه، كما يدلّ الحديث على أنّ الأئمّه عليهم السلام قد كابدوا وعانوا الكثير لإقلاع الخطايه بعد انحرافهم عن الجسم الشيعي وجاهدوا لإنجازه الجهد الكبير.

٥ - ونظيره أيضاً ما رواه الكشي بسنده عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال:

ما فعل أبو السمهرى لعنه الله يكذب علينا ويزعم أنه وابن أبي الزرقاء دعاه إلينا أشهدكم، أنّي أتبرأ إلى الله عزوجل منهما إنّهما فتانان ملعونان يا إسحاق أرحني منهما يرح الله عزوجل بعيشك الجنه الحديث (٣).

٦ - ذكر صاحب تاريخ جرجان في كتابه بسنده عن عيسى الجرجاني قال:

قلت لجعفر بن محمد: إن شئت أخبرتك بما سمعت القوم يقولون قال: فهات قال: فقلت: فإن طائفه منهم عبدوك اتخذوك إلهاً من دون الله وطائفه أخرى

ص: ٣٣٤

١- (١). رجال الكشي / رقم ٧٤٦.

٢- (٢). رجال الكشي / رقم ١٠١٢.

٣- (٣). رجال الكشي / رقم ١٠١٣.

والوالك بالنبوه قال: فبكى حتى ابتلت لحيته ثم قال:

إن أمكنني الله من هؤلاء فلم أسفك دماءهم سفك الله دم ولدى على يدي(١).

والمهم في هذه الأحاديث أن نعرف أن معنى الغلو ليس هو إثبات المقامات والصفات التي تتعاضد عند كثيرين إسنادها إلى الأئمة عليهم السلام ، وإنما الغلو هو دعوى مقام واسم الربوبية والألوهية في الأئمة صلوات الله عليهم وكذا الغناء الذاتى والاستقلال فى الوجود والإرادة والمشية عن الله تعالى. ومن ثم صعب طريق الوسط على كثيرين فأما يفرط فى مقاماتهم عليهم السلام بنحو التقصير خوفاً من الوقوع فى الغلو، وإما يفرط فيثبت الربوبية.

ومن المهم الالتفات إلى أن الغلاة رغم غلوهم فى الإفراط بالقول إلا أنهم أيضاً جهلوا مقامات أهل البيت عليهم السلام ، ومن ثم قال الأئمة عليهم السلام لهم فى روايات عديدة: إننا دون ما تقولون أى لسنا بأرباب بل عبيد مرزوقون مربوبون، ولكننا فوق ما تظنون أى أن حقائق مقاماتهم لم يدركوها هؤلاء الغلاة وإنما أفرطوا بلسانهم من دون علم ومعرفة لهم بكنه مقامات أهل البيت التى هى كرامات من الله عزوجل لهم، إذ هم عباد مكرّمون مقربون عند الله عزوجل.

ومن ثم ورد عنهم عليهم السلام : إن شرّ الغلاة كشرّ النواصب وليس المراد من ذلك أنه يكتفى فى معرفة أهل البيت بالمحبته فقط، بل المراد أن الغلاة يقطعون الطريق أمام معرفة أهل البيت وينفرون الناس عن سلوك طريق معرفتهم والرقى فى درجاتهم مع حفظ الموازين من عبوديتهم لله ومربوبيتهم «لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» ، (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا).

فالتأثير السلبي للغلاة يماثل ما يصنعه النواصب من الصّد عن سبيل معرفتهم حيث إنهم السبيل إلى الله.

ص: ٣٣٥

١- (١) . إحقاق الحق ١٢ / ٢٣٦، عن تاريخ جرجان / ٢٥٣ .

مضافاً إلى تحذير ونهى أهل البيت عن جهات أخرى من انحرافات الغلاة، والملاحظ من أئمة أهل البيت عليهم السلام أنه تشدد نكيرهم على الطبقات المتأخره من الخطّابيه والمغيريه وذيولهم و ذلك لاستفحال الانحراف وتمادى كثره غيّه.

الدور الثالث للغلاة وشده الانحراف فيهم

قد مرّ أن الشذوذ والشطط بحسب طبيعته يستفحل كلما تمادى الزمان وهذا ما نجده في الطبقات اللاحقه لأتباع من رمى بالغلو، فالمعاني الخاطئه التي كانت تنطبع عند الآخرين أصبحت هي المتبنيات الرسميه لدى رموز الطبقات اللاحقه منهم.

فقد روى الكشي بسنده عن سهل بن زياد الآدمي قال: كتب بعض أصحابنا إلى أبي الحسن العسكري عليه السلام: جعلت فداك يا سيدي إنّ علي بن حسكه يدّعي أنّه من أوليائك وأنك أنت الأول القديم وأنّه بابك ونيك أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاه والحج والصوم كلّ ذلك معرفتك ومعرفه من كان في مثل حال ابن حسكه فيما يدّعي من البايته والنبوه [النيابه]، فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاه والصوم والحج، وذكر جميع شرايع الدين إنّ معنى ذلك كلّ ما ثبت لك ومال الناس إليه كثيراً. فإن رأيت أن تمنّ على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكه. قال: فكتب عليه السلام :

كذب ابن حسكه عليه لعنه الله وبحسبك أني لا أعرفه في مواليّ، ما له لعنه الله فو الله ما بعث الله محمداً والأنبياء قبله إلّا بالحنيفيه والصلاه والزكاه والصيام والحج والولاية، وما دعا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلّا إلى الله وحده لا شريك له، وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئاً إن أطعناه رحمنا وإن عصيناه عذبنا ما لنا على الله من حجّه بل الحجّه لله عزوجل علينا وعلى جميع خلقه، أبرأ إلى الله من يقول ذلك وأنتفى إلى الله من هذا القول، فاهجروهم لعنهم الله وألجأوهم إلى ضيق الطريق

فإن وجدت من أحد منهم خلوه فاشدخ رأسه بالصخر(١).

ونحوها من الروايات الأخرى(٢).

قال الطبرسى فى الاحتجاج: وقد روى عن أبى الحسن الرضا عليه السلام من ذم الغلاة والمفوضه وتكفيرهم وتضليلهم والبراءه منهم ومتمين والاهم ... وكذلك روى عن آبائه وأبنائه عليهم السلام فى حقهم والأمر بلعنهم والبراءه منهم وإشاعه حالهم والكشف عن سوء اعتقادهم كى لا يغتر بمقاتلتهم ضعفاء الشيعة ولا يعتقد من خالف هذه الطائفة أن الشيعة الإماميه بأسرهم على ذلك نعوذ بالله منه وممن اعتقده وذهب إليه(٣).

ص: ٣٣٧

١- (١). رجال الكشى / رقم ٩٩٧ .

٢- (٢). رجال الكشى / ح ٩٩٤ - ١٠٠٦ .

٣- (٣). الاحتجاج ٢ / ٤٥٠ .

٧- النواب و الأوباب ، حقيقه حالهم بين الافراط و التفريط (٣٣٩-٣٥٨)

اشاره

ص: ٣٣٩

معرفة النواب والأبواب معتقد إيماني وخطوره مقام النباه الخاصه

إن موقف الطائفه - كما يظهر من الشيخ في كتاب الغيبه والصدوق في إكمال الدين والنوبختي في فرق الشيعه وسعد بن عبد الله في كتاب الفرق أيضاً - هو أن المكذب بالنائب الخاص لا سيما النواب الأربعة يحكم عليه بالضللال وينقص أو يسلب منه الإيمان، وأنه لا تكمل المعرفه والإيمان إلا بمعرفه جملة من أولياء الأئمه عليهم السلام الذين يتلونهم ولهذا شواهد عديده:

منها: فقد روى الكشي عن جبرئيل بن أحمد قال: حدثني أبو سعيد الآدمي سهل بن زياد عن منخل عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: - إلى أن قال - فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

يا أبا ذر إن سلمان لو حدثك بما يعلم لقلت رحم الله قاتل سلمان، يا أبا ذر إن سلمان باب الله في الأرض من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً وإن سلمان من أهل البيت(1).

ومنها: وعن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام في تفسيره عن آباءه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث - إلى أن قال: ثم قال:

أندرون من المتمسك به، الذي يتمسكه ينال هذا الشرف العظيم؟ هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عن أهل البيت وعن وسايطنا

ص: ٣٤١

وبالنظر لخطوره هذا الموقع السامى فقد كانت الطائفة علماؤها ووجهائها يقومون بامتحان من نصّ على نيابتهم الخاصه من قبل الأئمه عليهم السلام وعلى كونهم باباً لهم كما ذكر ذلك الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبه، وذلك لأنّ منهاج أهل البيت عليهم السلام قائم على الدليل والبرهان والبيّنات بدءاً من معرفه الله تعالى ومروراً بضروره المعجزه على نبوّه الأنبياء وإمامه الأئمه عليهم السلام، مضافاً إلى النصّ الإلهى من كل نبى سابق على اللاحق ومن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله و سلام على سيد الأوصياء عليه السلام وولده عليهم السلام ومن الإمام السابق عليه السلام على اللاحق عليه السلام .

ومما يبيّن أيضاً خطوره مقام النيابة الخاصه ومقام الباب للمعصوم عليه السلام ملاحظه الموقف الفقهى لدى علماء الإماميه تجاه المدّعين الكذابين لهذا المقام، وهو موقف اللعن والبراءه والطرده لهم على الطائفه، تبعاً لما صدر من الأئمه عليهم السلام من المواقف الصارمه كما صدر من التوقيعات من الناحيه المقدسه حول أولئك.

وقد عقد الشيخ فى الغيبه باباً لذكر المذمومين الذين ادّعوا البايه والسفاره كذباً وافتراءً.

وهناك موقف فقهى ثالث يتّصل بخطوره مقام النيابة الخاصه أيضاً هى لعن وبراءه الطائفه ممن ينكر النيابة الخاصه والسفاره للنوّاب الأربعة فى الغيبه الصغرى.

ففى أحمد بن هلال الكرخى مثلاً قال الشيخ فى الغيبه قال أبو على بن همام كان أحمد بن هلال من أصحاب أبى محمّد عليه السلام فاجتمعت الشيعة على وكاله أبى جعفر محمد بن عثمان رحمه الله بنصّ الحسن عليه السلام ولما مضى الحسن عليه السلام قالت الشيعة الجماعه له: ألا تقبل أمر أبى جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه وقد نصّ عليه

الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم: لم أسمعه ينصّ عليه بالوكالة وليس أنكر أباه يعنى عثمان بن سعيد فلما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه فقالوا: قد سمعه غيرك فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبي جعفر فلعنوه وتبرأوا منه، ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم ابن روح رحمه الله بلعنه والبراء منه فى جملة من لعن.

ومما يبين أيضاً حساسية هذا الموقع ما روى الشيخ فى التهذيب فى زياره قبور النواب الأربعة:

جتتك مخلصاً بتوحيد الله وموالاه أوليائه والبراءه من أعدائهم ومن الذين خالفوك يا حجة المولى وبك إليهم توجهي وبهم إلى الله توسلي (١) ففيه تولى لأوليائه وتبري من أعدائه، وأنه بالنائب الخاص يتوجه إلى الأئمة فهو بابهم عليهم السلام كما أن الأئمة باب الله.

ومنها: ما روى الشيخ فى زياره الشيخ أبي القاسم العمري:

أشهد أنك باب المولى أدت عنه وأدت إليه، ما خالفته ولا خالفت عليه فقامت خالصاً وانصرفت سابقاً جئت عارفاً بالحق الذى أنت عليه وأنتك ما خنت فى التأديه والسفاره (٢).

ويظهر منها أن السفاره ليست هى الروايه بل هى التأديه عن طريق الإلهام الروحى.

فهذه الحجية تختلف عن حجيه العدالة فى الروايه وتختلف عن حجيه الفقاهاه والاجتهاد، لأن الأخيره هى حاصل استنتاج فكرى عبر فهم المعانى من الآثار اللفظيه ومن ثم أطلق عليه باب، إذ عنوان الباب اصطلاح دارج فى الروايات للتلقى عبر العلم الحضورى لا الكسبى الحضورى مثل قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ» وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أنا مدينه العلم وعلى بابها.

ص: ٣٤٣

١- (١). التهذيب ٦ / ١١٨ .

٢- (٢). التهذيب ٦ / ١١٨ باب زياره الأبواب.

ومن ثم بنى فقهاء الإماميه على كون هذه الحجية تختلف عن حجيه الفقاهه والراوى فتبرأوا من كل من أنكر نيابه النّوّاب الأربعة وحكموا بضلاله وبمقاطعه الطائفه لهم.

ومنها: ما ورد فى الزياره:

والسلام عليك من باب ما أوسعه ومن سفير ما آمنك وثقه ما أمكنك، أشهد أنّ الله اختصك بنوره حتى عاينت الشخص فأدبت عنه وأدبت إليه، والتعبير بأن اختصك الله بنوره دالّ على مقام معنوى واصطفاه بدرجة والاختصاص بعين الاصطفاء بدرجة نازله.

وهكذا التعبير بالأداء المتفرّع على العيان لشخص الصاحب عجل الله فرجه المتفرّع على المقام النورى للنائب الخاص، دالّ على أنّ التلقّى من الناحيه ليس بالسمع الحسى الكسبى، وهذا يعطى أنّ مقام ومنصب النيابه الخاصه وساطه معنويه بين المعصوم أو الناحيه المقدسه عجل الله فرجه وبين الناس وتمثيل رسمى. ومن ثم يشاهد المدّعين الكذابين لهذا المقام أنهم تمخرقوا وتبهرجوا بادعاء مقامات غيبية باطله وشؤون ملكوتيه زائفه.

ومنها: ما ورد فى زياره سلمان:

السلام عليك يا أبا عبد الله سلمان ... يا من لم يتميّز من أهل البيت الإيمان ... يا من قال له سيد الخلق من الإنس والجان: أنت منّا أهل البيت لا يدانيك إنسان ... أتيتك يا أبا عبد الله زائراً قاضياً فيك حق الإمام فاسأل الله ... أن يحينى حياتك و أن يميتنى مماتك ويحشرنى محشرك وعلى إنكار ما أنكرت ومنازله من نابذت والرد على من خالفت(1).

فإن التعبير بكونه من أهل البيت وكذا التولّى له بالمتابعه وعلى نهجه والبراءه ممن عاداه يفيد تولّ خاص له.

ومنها: ما روى الكشى عن أبى جعفر عليه السلام :

كان و الله على محدثاً وكان سلمان محدثاً

ص: ٣٤٤

قلت: اشرح لى! قال:

يبعث الله إليه ملكاً ينقر في أذنه بقول كيت وكيت (١).

وروى الكشى فى ترجمه سلمان من قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام فى الحديث الذى روى أنّ سلمان كان محدثاً، قال:

إنه كان محدثاً عن إمامه لا عن ربّه لأنه لا يحدث عن الله عزوجل إلّا الحجّه (٢).

وهذا الحديث يدلّ على أنّ الباب للمعصوم يلهم من قبل المعصوم، وهذا الذى وقع الغلاه والطياره فى خطأ فى تأويله وتفسيره، كما وقع من العامه كذلك من الخطأ فى تفسيره فتوهّموا أنّ الملهم - بالكسر - لا بدّ أن يكون إلهاً والملهم - بالفتح - لا بدّ أن يكون نبياً، وهذا من قصور باعهم فى المعارف القرآنيه فإنّ الوحي والإلهام الإلهى على أقسام وأنماط كما يشير إليه قوله تعالى: «ما كان لبشرٍ أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجابٍ أو يُرسلَ رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنّه علىّ حكيمٌ» (٣).

فإنّ الملك أيضاً يلهم ويوحى بإذن الله، فالملهم يكون الملك والملهم يكون الإنسان. وكما فى تحديث جبرئيل و الملائكه لمريم.

نعم مقام الباب والنائب الخاص ليس كمقام من يصطفيه الله من الحجج.

ومنها: ما روى الكشى عن أبى جعفر عليه السلام يقول: كان سلمان من المتوسمين (٣).

ومنها: قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بذى لهجه أصدق من

ص: ٣٤٥

١- (١). رجال الكشى / رقم ٣٦ .

٢- (٢). رجال الكشى / رقم ٣٤ .

٣- (٣). رجال الكشى / رقم ٢٥ .

و هذا المفاد يفترق عن مفاد الإخبار عن الوثاقه والشهاده بها، كما أنه يختلف عن حجيه إخبار الفقيه، و ذلك لأنه شهاده من المعصوم ببقاء هذه الصفه طيله حياته، و هذا بخلاف العداله فى الراوى فإنها قد تسلب عنه فى فترات لاحقه كما أنّ حجّيه الفقيه تستند إلى فهم الأدلّه والاستنتاج منها بينما الصدق الذى نعت به أبوذر الغفارى لا يستند إلى الفهم والاستنتاج بل إلى الإخبار المحض.

ومنها: قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم لعمار:

يا عمار تقتلك الفئه الباغيه وقد احتج به الفريقان على بغى معاويه، فإن مقتضى إخباره هذا هو أنّ عمار لا يجاهد إلأفى صفّ الحق ضد الباطل فيكون معلماً لاستعلام الحق والباطل.

ومنها: قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم :

أنّ أم أيمن من أهل الجنه فاحتجّ به على عليه السلام على صدق شهادتها فى فدك وهى شهاده فى حقوق سياسيه وعقائديه دينيه ولم تكن نزاع فردى.

ومنها: قول الله عزوجل فى مؤمن آل فرعون: «وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ» ١ . بضميمه ما ورد:

أنّ الصديقين ثلاثه حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذى يقول: «اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجراً و هم مهتدون»

، و حزقيل مؤمن آل فرعون وعلى بن أبى طالب وهو أفضلهم (١) وقد رواه الفريقان باختلاف يسير فى التعبير.

ومنها: ما ورد فى البحار فى باب تاريخ أعمام النبى صلى الله عليه و آله و سلم من تلقينه صلى الله عليه و آله و سلم لحمزه سيد الشهداء التوحيد والنبوه والإمامه وأنّ الزهراء سيده النساء وأنّ حمزه سيد الشهداء وجعفر الطيار فى الجنان وأنّ ذلك مما يسأل عنه، فكما يسأل عن النبى والإمام كذلك يسأل عن كون حمزه سيد الشهداء وجعفر طيار فى الجنان.

ومنها: ما ورد فى صحيحه سعد عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن

ص: ٣٤٦

١- (٢). أمالى الصدوق / ٥٦٣، والعمده لابن بطريق / ٢٢١، وبحار الأنوار ٣٨ / ٢١٢، وشرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٩ /

١٧٢، وكنز العمال ١١ / ٦٠١ / ح ٣٢٨٩٨.

زياره فاطمه بنت موسى عليها السلام قال:

من زارها فله الجنة (١).

وما ورد في البحار عن الإمام الرضا عليه السلام :

من زارها عارفاً بحقها فله الجنة (٢).

والتعبير ب

«عارفاً بحقها» يدل على أن لمعرفة ومعرفة حقها دخل في إيجاب الجنة، والملفت للنظر أن الموجب للجنة هو المعرفة لا العمل.

ومنها: ما ورد في البحار في معرفتهم بالنورانية؛ والحديث طويل مفصل بين فيه الإمام عليه السلام لجابر الجعفي مقام الإمامه وحدّ التقصير في معرفه الإمام عليه السلام وغير ذلك. فقال جابر: الحمد لله الذي منّ عليّ بمعرفتكم وألهمني فضلكم ووفّقني لطاعتكم موالاه مواليكم ومعاده أعدائكم. قال عليه السلام :

يا جابر أو تدرى ما المعرفة؟ المعرفة إثبات التوحيد أولاً ثم معرفه المعاني ثانياً ثم معرفه الأبواب ثالثاً ثم معرفه الأنام رابعاً ثم معرفه الأركان خامساً ثم معرفه النقباء سادساً ثم معرفه النجباء سابعاً وهو قوله تعالى: «لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا»

... أمّا إثبات التوحيد معرفة الله القديم ... وأما المعاني فنحن معانيه ومظاهره فيكم ... يا جابر من عرف الله تعالى بهذه الصفه فقد أثبت التوحيد... (٣).

ص: ٣٤٧

١- (١) . بحار الأنوار ١٠٢ / ٢٦٥ .

٢- (٢) . بحار الأنوار ١٠٢ / ٢٦٥ .

٣- (٣) . بحار الأنوار ٢٦ / ١٣ .

النيابة الخاصه والمخاطر التي مرّت بها في عهد المعصومين إلى نهايه الغيبه الصغرى

قد أكد الأئمه عليهم السلام وشدّدوا على إخفاء من ينوّبونه نيابه خاصه على نمط سفاره السفراء الأربعة، الذين يدعون بباب الإمام، حذراً من استغلال السفله هذا المقام وهذه المعرفه الخاصه، فيقومون بالمتاجره زيغاً بادعاء هذا المقام وتقمّصاً لهذه المدّعيات. وفي براءه الأئمه عليهم السلام من هؤلاء ولعنهم وطردهم دلالة واضحه على مستند فتوى الطائفه فى الغيبه الصغرى وفى بدايات الغيبه الكبرى، من التبرّى من كلّ من يدعى النيابة الخاصه والسفاره والحكم بمروقه عن الإيمان ولعنه وطرده من الطائفه(١).

فهذه المواقف من أئمه أهل البيت عليهم السلام المستفيضه عنهم تجاه من يدعى البايه دالّه بوضوح على خطوره هذه المقامات فى الشريعه، وأنّه من التكذيب المفترى على الله ورسوله والأئمه الذى لا يدانيه تكذيب بدرجه يكون سالباً للإيمان ومروفاً من الولايه والهدى.

كما أنّ ما اشتهر عن هؤلاء المدّعين من ادّعائهم النبوه عطفاً على ادّعائهم

ص: ٣٤٨

١- (١). الاحتجاج ٢ / ٥٥٢ و ٥٥٣ فى ذكر المذمومين الذين ادّعوا البايه والسفاره كذباً وافتراءً وقد خرج التوقيع بلعنهم.

النيابة خير دليل على أنّ حقيقه مدّعاهم هي السفاره النيابة الخاصه لا سفاره النبوه، ولكن هذه النيابة الخاصه المسماة بالسفاره عن الإمام - كما في النّوّاب الأربعة في الغيبه الصغرى - لما كانت بمنزله من الخطوره فى الملّه والدين، كان ادّعاؤها بغير حق بمنزله ادّعاء النبوه، أى ادّعاء ارتباط بمصدر غيبى لدنّى.

كما أنّ ذلك يشف وينم عن مسأله هامه جدّاً وهى أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّه المعصومين كان لديهم أبواب ونواب خاصين كسفراء فى أزمانهم(1)، إلّا أنّ ذلك المقام والمسؤوليه المعهوده إليهم لم تكن بمستوى السفراء الأربعة فى الإعلان والبروز، بل كانت فى طيّ الكتمان والخفاء وكانت فى الظاهر بعنوان الوكاله المعتاده، إلى أن وصلت النوبه إلى عهد العسكريين عليهما السلام فصار مستوى معرفه والعلم لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام والفقهاء بدرجه مؤهله وقابله لفهم ذلك ووعايتة والأمن من الاغترار بالمدّعين الكذّابين السفله، كما هو الحال فى العمرين الأيب والإبن حيث كانا وكيلى العسكريين عليهما السلام ولهما نيابه خاصه وسفاره شبه معلنه منهما عليهما السلام، فكانت فتره الغيبه الصغرى مرحله بلغت فيها عقول المؤمنين ومعرفتهم وعلمهم وإيمانهم بهذا المقام درجه يؤمن فيها من الانجرار والانزلاق فى حبال ومصيده المدّعين الكذّابين.

بل قد بلغت الشيعة مستوى من معرفه والإيمان إلى درجه التمييز بين أبواب الأبواب الصادقين الذين ذكرهم الشيخ الطوسى فى الغيبه عند ذكره للسفراء المحمودين عن الكذّابين المدّعين إلى أن وصلت النوبه إلى انقطاع النيابة الخاصه بنهايه الغيبه الصغرى.

ص: ٣٤٩

١- (١). لاحظ الفصل الثامن من كتاب الإمامه الإلهيه الجزء الثالث، وكتاب دعوى السفاره فى الغيبه الكبرى.

والظاهر أنّ ادعاء البايه بدأ من عهد الرسول على لسان مسيلمه ثمّ ابن سبأ ثم المختار.

روى الكشى عن سعد بن عبد الله قال حدّثنى محمد بن خالد الطيالسى عن عبد الرحمن بن أبى نجران عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

إنّ أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصدق البريه لهجه وكان مسيلمه يكذب عليه وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان الذى يكذب عليه ويعمل فى تكذيب صدقه بما يفترى عليه من الكذب عبد الله بن سبأ لعنه الله وكان أبو عبد الله الحسين بن على عليه السلام قد ابتلى بالمختار.

ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامى وبيان فقال:

كانا يكذبان على على بن الحسين عليه السلام . ثم ذكر المغيره بن سعيد وبزيعاً والسررى وأبا الخطاب ومعمرأً وبشاراً الأشعري وحمزه البربرى وصايد النهدي. فقال:

لعنهم الله إنّنا لا نخلو من كذاب أو عاجز الرأى كفانا الله مؤنه كلّ كذاب وأذاقهم الله حرّ الحديد(1).

والروايه صحيحه السند والظاهر أن الراوى عبد الله بن سنان، وقد مرّ أنّ كذب هؤلاء كان على شاكله واحده - عدا مسيلمه - وهو إذاعه أسرار المعارف حيث إنّ نشرهم وإذاعتهم لها يوجب انطباع معنى معكوس ومقلوب لدى عامه الناس مما يوهم التأليه للأئمه عليهم السلام وأنّ ذلك مقصود من هذه المقامات، وهو معنى خاطئ فاسد يتوهمه عامه من يسمع تلك الروايات والمضامين فيتسببون لنسبه تلك المعانى الباطله إلى الأئمه عليهم السلام فيكون ذلك كذباً عليهم؛ مضافاً إلى ادعائهم النياه الخاصه عنهم عليهم السلام ممّا يتضمّن دعوى الإلهام منهم وهؤلاء سببوا بذلك

ص: ٣٥٠

نشوء فرق من الغلاة التي تؤلّه الأئمة عليهم السلام وقد أحاط بهم جماعات من طلاب الرئاسة والمال.

وأما مسيلمه فالصوره عنه وإن لم تكن واضحه في المصادر إلّا أنّه قد مرّ في بعض القصاصات من مصادر العامّه يظهر منه ذلك أيضاً. ومرّ أيضاً أنّ قوله عليه السلام كان يكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يظهر منه أنه كان يسند أقوالاً إلى النبي ويُدعى نحو ارتباط معه و لو كان يدعى النبوه لكان مكذباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فإنّ روايات أهل سنه الجماعه على نمطين:

بعضها أنّه صلى الله عليه وآله وسلم ذمّه في أوّل لقاء معه، والأخرى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم مدحه ثم أخذ مسيلمه يدعى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه أشركه في الأمر. كما أنّهم ذكروا أنّ الناس اختلفوا وافتتنوا في كلامه فصدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تكذيبه.

ثم إنّ ما في رواياتنا من أنّه كان يكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس فيها أنّه مدّع للنبوه بل الظاهر منها أنّه كان يدعى أنّه ملهم من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فصوره العامّه أنه دعوى النبوه لنفسه كما صوروا أيضاً في الطعن على ابن سبأ أنّه يدعى النبوه لنفسه والألوهيته لعلّى عليه السلام لما مرّ من خلطهم بين المقامين ؛ مقام الباب والنائب الخاص ومقام النبوه، ولم يميّزوا بين أنماط الوحي والإلهام. والمدعى لهذا المقام وإن كان كاذباً في دعواه، ولكن أصل معنى ذلك المقام يغيّر دعوى النبوه.

وقال الكشي: قال سعد وحدثني ابن العبيدي قال: حدّثني أخى جعفر بن عيسى وعلى بن إسماعيل الميثمي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال:

آذاني محمد بن الفرات آذاه الله وأذاقه الله حرّ الحديد، آذاني لعنه الله أذى ما آذى أبو الخطاب لعنه الله جعفر بن محمد عليه السلام بمثله وما كذب علينا خطّابي مثل ما كذب محمد بن الفرات و الله ما من أحد يكذب علينا إلّا ويذيقه الله حرّ الحديد.

قال محمد بن عيسى فأخبراني وغيرهما ما لبث محمد بن فرات إلّا قليلاً حتى قتله إبراهيم بن شكله أخبث قتله، وكان محمد بن فرات يدعى أنّه باب وأنّه

نبى وكان القاسم اليقطينى وعلى بن حسكه القمى كذلك يدعيان لعنهما الله (١).

أقول: إبراهيم بن شكله هو إبراهيم بن مهدي بن منصور أخو هارون وأمه شكله، ومحمد بن فرات جعفى خطابى بغدادى كوفى.

وعن الكشى أيضاً قال: حدّثنى الحسين بن الحسن بن بندار القمى قال:

حدّثنا سهل بن زياد الآدمى قال: كتب بعض أصحابنا إلى أبى الحسن العسكرى عليه السلام: جعلت فداك يا سيدي إنّ على بن حسكه يدعى أنّه من أوليائك، وأنك أنت الأول القديم، وأنّه بابك ونيّك أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أنّ الصلاه والزكاه والحجّ والصوم كلّ ذلك معرفتك ومعرفه من كان فى مثل حال ابن حسكه فيما يدعى من البايّه والنبوّه فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاه والصوم والحجّ، وذكر جميع شرائع الدين أنّ معنى ذلك كلّ ما ثبت لك ومال الناس إليه كثيراً، فإن رأيت أن تمنّ على مواليك بجواب فى ذلك تنجيهم من الهلكه؟

قال: فكتب عليه السلام:

كذب ابن حسكه عليه لعنه الله، وبحسبك أنّى لا أعرفه فى موالى ما له لعنه الله. فو الله ما بعث الله محمداً والأنبياء قبله إلّالبحنيفيه والصلاه والزكاه والصيام والحجّ والولاية. وما دعى محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلّاللى الله وحده لا شريك له وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئاً، إن أطعناه رحمنا وإن عصيناه عذبنا ما لنا على الله من حجّه، بل الحجّه لله عزّوجلّ علينا وعلى جميع خلقه. أبرأ إلى الله ممّن يقول ذلك وأنتفى إلى الله من هذا القول. فاهجروهم لعنهم الله وألجأوهم إلى ضيق الطريق. فإن وجدت من أحد منهم خلوه فاشدخ رأسه بالصخر (٢).

ويظهر من هذه الأحاديث أنّ تمادى الخطايه فى ادعاء المقامات المعنويه والمعارف أولد أعداداً من المدعين للبايه والنيابه الخاصه ثم الجحود لظواهر

ص: ٣٥٢

١- (١). الكشى / ٥٩٨ / ح ١٠٤٨ .

٢- (٢). الكشى / ٥٦٧ / ح ٩٩٧ .

والغرض من الخوض فى هذا الفصل هو الإشاره إلى جملة من النقاط التالية:

الأولى: أنّ جملة من الرواه الذين طعن عليهم بالغلو قد كانوا فى أيام استقامتهم من رواه المعارف ذوى الحصيله العلميه، إلّا أنّ النزعات النفسائيه دعت عدّه منهم إلى ادّعاء النيباه الخاصّه ومقام الباب للمعصوم عليه السلام فلا بدّ من التفكيك بين ما يروونه من المعارف وبين دعواهم الكاذبه بالبائيه والنيابه الخاصّه.

الثانيه: أنّ عدّه من الرواه الذين طعن عليهم بالغلو ممن كانت له فتره استقامه، كانت له أيام استقامته حظوه خاصّه عند أئمه أهل البيت عليهم السلام نظير حظوه بلعم بن باعورا عند الله، فلربما كانت لهم أهليه النيباه الخاصّه، إلّا أنّ الخلود إلى أرض النفس والشهوات كما أسقط بلعم بن باعورا من مقام القرب عند الله إلى مثل الكلب كذلك أولئك عندما زاغوا وانحرفوا. ولكن ذلك لا يخذش فيما رووه أيام استقامتهم كما لا يخذش بمن تتلمذ على يدهم أيام استقامتهم وكان من حضار مجالسهم والمتلقين لرواياتهم. وقد مرّ أن محمد بن مسلم وزراره وحرمان بن أعين وغيرهم من أتاد وأركان الرواه وفقهائهم قد رووا عن هؤلاء أيام استقامتهم.

الثالثه: يظهر من بعض إشارات الروايات أنّ عدّه من رواه المعارف والأسرار ممن استقام على جاده الوسطى ولم يربكه زيغ الآخرين لم يكن مجرد وكيل للإمام عليه السلام بل كان باباً ونائباً خاصاً مستتراً.

الرابعه: أنّ مفهوم النيباه ومقام الباب للمعصوم حيث أخذت التفشى والانتشار شيئاً فشيئاً فسبب ذلك أن قام بتقمّصه والتدليس بتلبسه جملة كثيره من الكذابين والدجالين، وهذا ممّا أربك المفاهيم ومعانى المعارف لدى الكثيرين وانطبعت صورته مربكه لدى المخالفين من المذاهب الأخرى، فأخذوا بالطعن على كافّه رواه المعارف بتلك المفاهيم الخاطئه. واشتدّ سعي الطعن بتجاوب تيار

رواه الفقهاء والمتكلمين بتأييد هذا الطعن على رواه المعارف، وربما كان المبرر لهم في تشديد هذا الطعن تخوّفهم من عدم استقامه رواه المعارف إلى نهايه المطاف لا سيما و أنهم شاهدوا أنّ عدّه ممن كانوا على استقامه قد زلّت بهم الأقدام إلى إحداث فرق باطنيّه لا تستمسك بفقّه وثوابت الشريعة، ولا تعض على تعلّم الفقه وأحكام الشريعة بحث ولا طلب.

الخامسه: أنّ جملة من رواه التيار الفقهي والكلامى من الخاصّه فضلاً عن جمهور علماء العامه قد طعنوا على من رموهم بالعلو بأنهم ادّعوا النبوه لأنفسهم والألوهيه فى الإمام وأنّ الإمام يوحى إليهم. والظاهر أنّ الطاعنين قد اخلتط لديهم الحال بين ادّعاء النيابة الخاصّه والنبوه، حيث لم يتّضح لديهم حقيقه الفرق بين الإلهام فى النيابة الخاصّه من الإمام للنائب الخاص فى نطاق محدود من المسائل التدبيريه والتنفيذيه وكشف الأحوال فى الموضوعات، وبين الإلهام فى الوحي النبوى من الله للأنبياء فى إبلاغ الشرايع والأحكام الناسخه.

ذكر الثقة العين كثير الحديث الأقدم ابن أبي الثلج البغدادي (١) المتوفى سنة ٣٢٥ هجرية في كتابه تاريخ الأئمة عليهم السلام - الذي ترجم له النجاشي وذكر له سنداً إلى الكتاب كما ترجم له الشيخ في الفهرست والرجال، وطريق الشيخ إلى كتبه صحيح، بل طريق النجاشي إليه صحيح على الأصح لجلاله أبي المفضل الشيباني - باباً تحت عنوان أبواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام وقال فيه:

أما النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابه أمير المؤمنين عليه السلام .

على بن أبي طالب عليه السلام بابه سلمان الفارسي كان الباب سفينه ذو اليمين صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الحسن بن علي عليه السلام بابه سفينه وقيس بن عبد الرحمن.

الحسين بن علي عليه السلام بابه رشيد الهجري.

على بن الحسين عليه السلام أبو خالد الكابلي ويحيى بن أم طويل قتله الحجاج بواسط.

ص: ٣٥٥

١- (١) . قال النجاشي عنه: ثقة عين كثير الحديث (١٠٣٧) وقال الشيخ عنه في الرجال في من لم يرو عنهم: بغدادى خاصى يكنى أبا بكر سمع منه التلعكبرى ... (فهرست / ٦٦٤ والرجال فى من لم يرو عنهم / ٦٤ و ١١٩).

محمد بن علي عليه السلام بابه جابر بن يزيد الجعفي.

جعفر بن محمد عليه السلام بابه المفضل بن عمر.

موسى بن جعفر عليه السلام بابه محمد بن الفضل.

علي بن موسى عليه السلام بابه محمد بن الفرات.

محمد بن علي عليه السلام بابه عمر بن الفرات.

علي بن محمد عليه السلام بابه عثمان بن سعيد العمري.

الحسن بن علي عليه السلام بابه عثمان بن سعيد.

القائم الحجّة المنتظر عليه السلام بابه عثمان بن سعيد، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه أبي جعفر محمد بن عثمان بعهد عهده إليه أبو محمد الحسن بن علي روى عنه ثقات الشيعة أنه قال:

هذا وكيلى وابنه وكيل ابني، يعنى أبا جعفر محمد بن عثمان العمري. ولما حضرته الوفاة أوصى إلى أبي القاسم الحسين بن روح النميري ثم أمر أبو القاسم بن روح أن يعقد لأبي الحسن السمرى ثم بطى الباب و الله أعلم. انتهى كلامه.

أقول: إنّ البعض ممن عدّهم من الأبواب كمحمد بن الفرات قد عدّ من الغلاة الطياره لا من الأبواب فليلاحظ!

وعن ابن طاووس فى ربيع الشيعة: أنّ محمد بن علي بن مهزيار من السفراء والأبواب المعروفين الذين لا تختلف الإمامية القائلون بإمامه الحسن بن علي عليهما السلام (١).

وكذا عدّ محمد بن علي بن بلال من السفراء الموجودين فى الغيبة الصغرى (٢).

بل قد كان لجملة من هؤلاء النّوّاب والسفراء آخرين يتوسّطون بين

ص: ٣٥٦

١- (١). معجم رجال الحديث ١٧ / ٣٠.

٢- (٢). معجم رجال الحديث ١١ / ٣٠٩.

النواب الخاصّ وعموم الشيعة، وقد عدّ الشيخ رحمه الله في الغيبة جملة منهم وهم: أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي وأحمد بن إسحاق وإبراهيم بن محمد الهمداني وأحمد بن حمزه (١).

وقد أوردنا في الفصل الثامن من كتاب الإمامة الإلهية أسماء جملة منهم ممّا جاءت به الروايات، وليس ذلك بنحو الاستقصاء التام.

ص: ٣٥٧

١- (١). الغيبة للشيخ / ٤١٥ - ٤١٧ .

٨ - البتريه الاتجاه المعاكس لرواه المعارف (٣٩٦-٣٥٩)

اشاره

ص: ٣٥٩

ظاهرة النفاق في الإسلام وظاهره النفاق في الإيمان متحاذين

فإنَّ ظاهره النفاق في الإسلام ابتدأت في صدر الإسلام واعتمدت على التحلّي بحليه نسك ونواميس أعمال الإسلام البدنيّه الظاهره، إلّا أنّها تتنكر في قلبها ومعارفها لحقيقه التسليم وواقعته بفرائض الله وأوامره وحاكميته فضلاً عن سنن وأوامر وحاكميه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وليس من الضروري أن يلتفت من يعيش في حاله النفاق إلى الازدواجيه التي يعيشها، والتناقض بين الزى الديني الذي تلبس به في سلوكه الظاهر وبين تمرّده القلبي والمعرفي الذي يتبناه ويسلكه في قناعاته ورؤاه الفكرية، فهو يمزج بين الحالتين الباطنه والظاهره المتدافعتين من دون أن يقمّر بالتناقض والتدافع فيما بينهما. ومن ثمّ يكون نتيجة سلوكه حتى في الظاهر ممزوجاً بأفعال عدائيه مخربه لكيان الدين ومساره ومنهاجه رغم تقمّص هذا الشخص لزي نسك وطقوس الإسلام على صعيد سلوكه الفردي أو في العباده الفرديه أو في بعض الأفعال ذات صبغه المله الحنيفيه.

وقد وقع التركيز وإلقاء الضوء كثيراً على النفاق في الإسلام منذ بدايته وجرت كثير من الدراسات والمتابعات تبعاً لما أشارت إليه الآيات والروايات وتتابع هذه البحوث طيله أربعة عشر قرناً، إلّا أنّ ظاهره النفاق في الإيمان لم

يسلّط الضوء عليها رغم أنّها متقدّمة في التاريخ منذ بدايه وجود الإيمان كمنهاج وطريقه في ملّه الإسلام.

فإنّ منهاج الإيمان أخذ زياً وطقوساً ونواميس خاصّه منضمّه إلى زيّ ونواميس وطقوس الإسلام، فأصبح للإيمان شكلاً في الظاهر ولباساً وقميصاً كما هو الحال للإسلام في الظاهر، وكما أنّ للإسلام سبباً للاعتناق في الظاهر وهو الإقرار بالشهادتين، فإنّ للإيمان سبباً في الظاهر وهو الإقرار بالشهادات الثلاث، وكما أنّ المنافق في الإسلام على أنواع وأقسام ودرجات؛ فقد ينتسب ويوالى بزعمه الله تعالى ورسوله ويعادى علياً والعترة أو قد يوالى بزعمه الله تعالى ويعادى رسول الله، فكذلك الحال في النفاق في الإيمان فإنّه على درجات وأقسام عديده جداً؛ فقد يوالى علياً ويعادى الحسينين أو يوالى أصحاب الكساء ويعادى زين العابدين عليه السلام والباقر عليه السلام والصادق عليه السلام كما حصل ذلك لجمله من أصحاب علي عليه السلام، أو يوالى العترة إلى الصادق عليه السلام ويعادى الكاظم عليه السلام والرضا عليه السلام أو الجواد عليه السلام كما حصل للإسماعيليه والناووسيه والواقفيه والكرخيه وغيرها من فرق الشيعه، أو قد تكون الموالاه للأئمه بزعم الشخص في الظاهر ولكنّه يتمرّد على الانقياد لهم ولا يسلم تلك الحجّيه والولايه لهم بحسب المقامات والأوامر الصادره عنهم.

وقد أشير إلى ظاهره أشكال ونماذج مختلفه من النفاق في الإيمان في الروايات:

١ - الذي يوالى أهل البيت ولكنّه يضعف عن البراءه من أعدائه.

ففي صحيح إسماعيل الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: رجل يحب أمير المؤمنين عليه السلام ولا يتبرأ من عدوّه وهو يقول: هو أحبّ إليّ ممن خالفه، فقال:

هذا

ص: ٣٦٢

مخلط وهو عدو، فلا تصل خلفه ولا كرامه إلا أن تتقيه (١).

وفى مستطرفات السرائر أنه قيل للصادق عليه السلام أن فلاناً يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم قال:

هيهات كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا (٢) وللتولى والتبري مراتب: منها معرفى عقائدى ومنها عملى فى الولاء السياسى أو السلوك الفردى. ومن هنا أفتى الشيخ فى المبسوط والقاضى فى المهذب والعلامه فى التذكرة أنه لا يجوز إمامه من يتظاهر بولايه أمير المؤمنين عليه السلام ولم يتبرأ من أعدائه (٣).

٢ - المنتحل أى الذى يتقمص الولاء لأهل البيت عليهم السلام ولكنه عار عن حقيقته كأن يكون ولاؤه السياسى لغيرهم.

ففى روايه زياد بن أبى سلمه قال: دخلت على أبى الحسن موسى عليه السلام فقال لى:

يا زياد إنك لتعمل عمل السلطان قال: قلت: أجل، قال لى:

ولم، قلت: أنا رجل لى مروه وعلّى عيال وليس وراء ظهرى شىء فقال لى:

يا زياد لئن أسقط من جالقي وأتقطع قطعه قطعه أحبّ إلى من أن أتولى لأحد منهم عملاً أو أطأ بساط أحدهم إلا لماذا؟ قلت: لا أدرى جعلت فداك فقال:

إلالتفريح كربه عن مؤمن أو فك أسره أو قضاء دينه، يا زياد إن أهون ما يصنع الله لمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه سراق من نار إلى أن يفرغ الله من حساب الخلاق، يا زياد فإن توليت شيئاً من أعمالهم فأحسن إلى إخوانك فواحدة بواحدة، والله من وراء ذلك، يا زياد أيما رجل منكم تولى لأحد منهم عملاً ثم ساوى بينكم وبينهم فقولوا له: أنت منتحل كذاب، يا زياد إذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقدره الله عليك غداً ونفاد ما أتيت إليهم عنهم وبقاء ما أتيت إليهم عليك (٤).

ص: ٣٤٣

١- (١). الوسائل / أبواب صلاه الجماعه ب ١٠ / ٣ .

٢- (٢). مستطرفات السرائر: ٤٤٠، بحار الأنوار ٢٧ / ٥٧ .

٣- (٣). المبسوط ١ / ١٥٥، المهذب ١ / ٨٠، تذكرة الفقهاء ٤ / ٣٨٠ .

٤- (٤). الكافي ٥ / ١٠٩ .

فالذى يساوى بين أتباع أهل البيت عليهم السلام وبين المخالفين فى تعامله من موقع منصبه فى حكمه الجور هو مؤشر على كونه حركته فى الحياه السياسيه على خلاف الولاء السياسى لأهل البيت عليهم السلام .

٣ - روى الكشى عن أبى الحسن عليه السلام قال أبو عبد الله عليه السلام :

ما أنزل الله سبحانه وتعالى آيه فى المنافقين إلأوهى فىمن يتحلل الشيع (١).

وفى هذا الحديث دلالة على أن آليات النفاق لتقمص الإيمان تتعدّد وتتوّع بسعه أشكال ونماذج وآليات النفاق فى الإسلام، وأنه كما أنّ للإسلام ظاهر صورى وواقع حقيقى فكذلك للإيمان ظاهر صورى وواقع حقيقى، و أن الظاهر وإن كان لا بد منه وبه يتميّز المؤمن عن غيره كضروره ظاهر الإسلام يتميّز المسلم عن الكافر إلأأنه لا بدّ من الواقع أيضاً وبدونه يكون نفاقاً.

وهذه قاعده فى تعدد أنماط النفاق فى الإيمان وعدم انحصار النفاق فى الإسلام، وإن ما جرى من أدوار وأنماط وحالات ومشاهد فى صدر الإسلام من النفاق فى الإسلام بعينه يتكرّر لمن يتقمص ويتلبس بالإيمان.

٤ - ظاهره العباسيه وهى التى قام بها بنو العباس من رفع شعار «الرضا من آل محمد» أى رفع شعار منهاج أهل البيت عليهم السلام واسترداد حقوقهم وإزالة الظالمين لهم كى يستقطب القاعده الشيعيه والإسلاميه ليتمكن من الوصول إلى سدّه الحكم ومركز القدره، وما أن تستطب خيوط القدره لديهم فيكشف حينئذ قناع عن كذب ادّعائهم وحقيقه نواياهم فتبدأ مسيره العداة مع أهل البيت عليهم السلام ومع معالم منهاجهم. وجرى الاصطلاح والاستعمال فى الروايات عن هذا النموذج من نفاق بوصف واسم العباسيين لكن كوصف لا اسم علم لهم كما هو الحال فى البترية والزيدية كعنوانين وصفيين يمثلان منهجاً مباناً لنهج أهل البيت عليهم السلام لا كظاهرة

ص: ٣٦٤

١- (١) . بحار الأنوار ٦٥ / ١٦٦ .

تاريخيّه وقعت في حقه معينه فقط.

٥ - قد جرى في بعض كتب أهل سنّه الخلافه تقسيم الناصبي ونصب العدااء لأهل البيت إلى ثمانية أقسام وفي بعضها الآخر إلى خمس عشر قسماً وبعض تلك الأقسام جليّه واضحه وبعضها خفيّه مستوره.

ومن الأوّل ما هو معروف ومذكور من الجهر بالعداوه أو النيل والوقيع في أهل البيت، أو إبطان البغض والعداوه في القلب أو تقديم غيرهم عليهم وغيرها من الأنماط.

ومن النمط الثاني التشكيك في فضائلهم أو تفضيل غيرهم عليهم أو تسويتهم مع الآخرين أو نسبه فضائلهم إلى غيرهم أو الطعن في خواصّ اتباعهم وغيرها من الأنحاء.

ولا يخفى أن النمط الأوّل ينطبق على النفاق في الإسلام بخلاف النمط الثاني، فإنّه ينطبق على النفاق في الإيمان. وقد أشير إليه في الروايات في تعداد أنماط النصب لناصر العداوه من قولهم عليهم السلام

إنك لا تجد أحداً يقول إنّي عدو لآل محمد ولكن الناصب من نصب لكم العداوه وهو يعلم أنكم تحبوننا وتتولوننا وقد عدّ في الروايات أن البتريه من النواصب أيضاً كما سيأتي من روايه زراره (١).

٦ - ومن درجات النفاق في الإيمان استنقاصهم في العلم ويظهر هذا الاستنقاص ويتجلّى في طلب العلوم الهاديّه إلى السعاده الأخرويّه من غيرهم.

ويشير إلى ذلك قولهم:

شرقاً وغرباً فلن تجدا علماً صحيحاً إلّاشيئاً يخرج من عندنا أهل البيت (٢).

وقولهم:

من أصغى إلى ناطق فقد عبده (٣).

ص: ٣٦٥

١- (١) . الكافي ٢ / ٢٠٢ .

٢- (٢) . بصائر الدرجات / ٣٠، بحار الأنوار ٢ / ٩٢ .

٣- (٣) . الكافي ٦ / ٤٣٤ .

وقول أبي جعفر عليه السلام :

يَمْصُونُ الثَّمَدَ وَيَتْرَكُونَ النَّهْرَ الْعَظِيمَ. قيل: وما النهر العظيم؟ قال:

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعلم الذي آتاه الله إنَّ الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم سنن النبيين من آدم هلم جراً إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم قيل له: وما تلك السنن؟ قال:

علم النبيين بأسره، إنَّ الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم علم النبيين بأسره وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صير ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام (١).

قال المجلسي رحمه الله : الثمد ويحرك ككتاب: الماء القليل لا مادّه له أو ما يبقى في الجلد أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف ذكره الفيروز آبادي.

وقولهم عليهم السلام :

كذب من زعم أنه من شيعتنا وهو متمسك بعروه غيرنا أو

كذب من زعم أنه يعرفنا وهو متمسك بعروه غيرنا (٢) وقولهم:

كلّ شيء لم يخرج من هذا البيت فهو

باطل (٣).

٧ - ومن أنماط النفاق من يجحد ما أعطاهم الله تعالى من كرامه المقامات والمناصب والشؤون الغيبية ويرد عليهم في أقوالهم ولا يرى لهم سعة في الحجية والصلاحية والولاية في الدين، وهو يزعم أنه شيعه لهم وأنه يقتر بأنَّ الله جعلهم أئمة للخلائق.

ففي خطبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد رجوعه من تبوك:

معاشر المهاجرين والأنصار ما بال أصحابي إذا ذكر لهم إبراهيم وآل إبراهيم تهللت وجوههم وانتشرت قلوبهم، وإذا ذكر لهم محمد وآل محمد تغيرت وجوههم وضاعت صدورهم إنَّ الله لم يعط إبراهيم شيئاً وآل إبراهيم إلا أعطى محمداً وآل محمد مثله ونحن في الحقيقة آل إبراهيم (٤).

وفي حديث الإمامه عن الإمام الرضا عليه السلام المروي في الكافي والعيون:

فمن ذا

ص: ٣٦٦

- ١- (١) . بحار الأنوار ٢٦ / ١٦٦ .
- ٢- (٢) . معانى الأخبار / ٣٩٩ ، وبحار الأنوار ٢ / ٨٣ .
- ٣- (٣) . الاختصاص / ٣١ .
- ٤- (٤) . مدينه المعاجز ٢ / ٢٧٨ ، ونظيره بحار الأنوار ٢٧ / ١٧١ .

الذى يبلغ معرفه الإمام أو يمكنه اختياره؟ هيئات هيئات؛ ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسئت العيون، وتصاغت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيله من فضائله وأقرت بالعجز والتقصير. وكيف يوصف بكله أو ينعت بكنهه أو يفهم شىء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويغنى غناه، لا، كيف وأنى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟! (١).

٨ - وقد صرح فى الروايات بكون ظاهر البتريه من ألوان ونماذج النفاق والازدواجيه فى الإيمان كما يأتى فى روايه الطبرى فى دلائل الإمامه (٢) وفى إرشاد الشيخ المفيد (٣).

ص: ٣٦٧

١- (١). الكافى ١ / ٢٠١.

٢- (٢). دلائل الإمامه للطبرى / ٢٤١ ط ق، وص ٤٥٥ ط ح .

٣- (٣). الإرشاد ٢ / ٣٨٤ .

ظاهرة البترية المخلطة التلقيه المناوئه لظاهرة المشتهرين بالغلو

وبعدما عرفت لمححه مختصره عن ظاهره النفاق فى الإيمان وتعدددها نجد ظاهره من النفاق يمثل فى البترية وهم من ينهج شعار التولى لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من دون التبرى من أعدائهم، والبترية ظاهره تلقيه مزجيه مخلطه، وهم الذين يخلطون ويرومون إلى الوفاق بين ولايه أهل البيت عليهم السلام مع ولايه الشيخين، فأسماهم زيد بن على بالبترية لأنهم بتروا ولايه أهل البيت، وهؤلاء نشأوا فى قبال تيار رواه المعارف وتيار المغيريه والخطايه وأمثالهم.

والبترية هم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حىّ وسالم بن أبى حفصه والحكم بن عتيه وسلمه بن كهيل وأبو المقدام ثابت الحداد، وهم الذين دعوا إلى ولايه على عليه السلام ثم خلطوها بولايه أبى بكر وعمر ويثبتون لهما إمامتهما ويتقصون عثمان وطلحه والزبير، ويرون الخروج مع بطون ولد على بن أبى طالب يذهبون فى ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويثبتون لكل من خرج من ولد على عليه السلام عند خروجه الإمامه.

المعلم الأول: إنّ المنهج التلفيقي التوفيقى المزجى الذى اختاروه أولد لديهم رؤيه سطحيه معينه حول شرائط الإمامه الدينيه والسياسيه ومواصفات الخليفه، فى قبال تيار المغيره وأبى الخطاب الذى كان يجاهر بالتشدد والنكير على تيار البتريه فى هذه الرؤيه وعلى ضروره النص الإلهى فى الإمام.

المعلم الثانى: روى الكشى عن على بن محمد قال: حدثنى محمد بن أحمد عن العباس بن معروف عن أبى القاسم الكوفى عن الحسين بن محمد بن عمران عن زرعه عن سماعه عن أبى بصير قال: ذكر أبو عبد الله عليه السلام كثير النواء وسالم بن أبى حفصه وأبا الجارود فقال:

كذابون مكذبون كفار عليهم لعنه الله، قال: قلت:

جعلت فداك كذابون قد عرفتهم فما معنى مكذبون؟ قال:

كذابون يأتوننا فيخبرونا أنهم يصدقونا وليسوا كذلك ويسمعون حديثنا فيكذبون به.

و هذا الحديث يبين المعلم الثانى للمنهج التلفيقي من أنهم انتقائيين فى اتباع منهج أهل البيت، فينتقون منه ما يتناسب مع المنهج التوفيقى التلفيقي الذى يسلكونه، و هذا يستدعى منهم رفض جملة من قواعد مذهب أهل البيت عليهم السلام وهو مثابه الرد على العتره.

فى فرق الشيعه للنوبختى قال: إنّ البتريه عند العامه أفضل أصناف الزيديه و ذلك أنهم يفضلون علياً ويشتون إمامه أبى بكر (١).

ولا يخفى أن من يرى صلاح خلفه أبى بكر ويزعم القول والتسليم بفضائل ومناقب على عليه السلام هو فى الحقيقه ينهج منهج البتريه.

ومن الأمور التى تلحظ بوضوح فى الزيديه عموماً وفى البتريه خصوصاً قولهم بالقياس فى الدين والاجتهاد بالرأى وزعمهم بروايه نصوص فى ذلك عن

ص: ٣٦٩

وصريح هذا أنّ أسلوب البترية وشعاراتهم هي دعوى التشيع والإيمان بأهل البيت عليهم السلام والاتباع لهم وتأكيدهم بإصرار أنهم من شيعتهم عليهم السلام ، ولكنهم ليسوا على هذه الحقيقة بعد ولائهم لمنهاج السقيفة وأصحابها التي هي على طرف نقيض مع الإمامة الإلهية ومنهاجهم. ومن ثم حبط انتمائهم لأهل البيت عليهم السلام وآلو إلى غير مسارهم عليهم السلام ، ولكنهم بهذه الشعارات يخادعون ويغزون الكثير من البسطاء المحييين لأهل البيت عليهم السلام ويحرفونهم إلى غير الصراط السويّ.

المعلم الثالث: روى الكشي عن سعد بن جناح الكشي قال: حدثني علي بن محمد بن يزيد القمي عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن فضالة بن أيوب عن الحسين بن عثمان الرواسي عن سدير قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعى سلمه بن كهيل وأبو المقدم ثابت الحدّاد وسالم بن أبي حفصه وكثير النواء وجماعه معهم، وعند أبي جعفر عليه السلام أخوه زيد بن علي، فقالوا لأبي جعفر عليه السلام: نتولى عليك وحسناً وحسيناً ونتبرأ من أعدائهم قال:

نعم، قالوا: نتولى أبا بكر وعمر ونتبرأ من أعدائهم قال: فالتفت إليهم زيد بن علي قال لهم: أتتبرأون من فاطمه، بترتم أمرنا بتركم الله فيومئذ سموا البترية(٢).

و هذا الحديث يبين المعلم الثالث للمنهج التوفيقى التلفيقى وهو أنّ أسلوب هذا التيار يسبب بتر منهاج أهل البيت عليهم السلام ، وهذا العنوان الذى أطلقه زيد فى محضر الباقر عليه السلام من المطمئن أنه استقاه من معدن علم أخيه الباقر عليه السلام ، لا سيما وأنّ حديث هذه الجماعة وسؤالهم كان موجّهاً لأبي جعفر الباقر عليه السلام فمبادره زيد أخاه بالجواب مع طلبهم السؤال منه عليه السلام يعدّ اكتفاء منه وتقريراً لما قاله زيد فصار هذا العنوان شعاراً لهذا المنهج وتسميه شرعيه له وهو يفسر على معان:

ص: ٣٧٠

١- (١). شرح نهج البلاغه ١ / ٢٩٠ .

٢- (٢). الكشي ٣١١ / رقم ٤٢٩ .

الأول: البتر بمعنى القطع أى تقويض منهاج أهل البيت عليهم السلام (بترتم أمرنا) لأنّ البترية تعتمد على عدم لزوم النصّ الإلهي على الإمام وعلى التلفيق بين منهاج أهل البيت عليهم السلام ومدرسه السقيفه العامه فى المباني والقواعد. و هذا ممّا يفقد قواعد منهاج أهل البيت لحقيقتها وواقعتها الأصيلة المتميزه عن منهاج البشر.

الثانى: انقطاعهم عن ولاية أهل البيت عليهم السلام وهديتهم ومنهاجهم حيث التزموا بالتلفيق والالتقاط الانتقائى.

الثالث: لكون هذه الفرقة تنسب إلى كثير النواء وكان أبتى اليد أى مقطوع اليد، فلو صحّ هذا - كما ذكره جماعه (1) - فيكون كناية ورمز عن المنهج الذى اختطّه كثير النواء و هذا التفسير.

ولا يخفى خطوره المعنى الأول حيث إنهم بهذا المنهج المزجى التلفيقى الالتقاطى الانتقائى يحون بذلك هويّه مذهب أهل البيت عليهم السلام ومنهاجهم، ويموهون حقيقه ذلك الطابع وبزوال هذا الحدّ الفاصل والخطّ المائز يؤول الأمر إلى انقطاع ذلك المنهاج وعدم بقائه.

فإنّ ممّا يستوجب التسليم بضروره الإمامه الإلهيه والنصّ الإلهي التخطئه والإبطال والتبزي من دعوى الإمامه البشريه، فإنّ دعوى أنها قديره على الإصلاح والهدايه، تتضمّن الاستغناء عن الحبل الممدود من السماء وعن وصايه السماء على الأرض. فالتبزي من هذه الدعاوى ورموزها المتمثّل فى منهج السقيفه وشعاراته ومتبنياته يستلزم المعرفه والإقرار والتسليم بالحاجه إلى هدايه السماء طوال المسير البشرى.

وفى الملل والنحل: الصالحيه والبترية: الصالحيه أصحاب الحسن بن صالح بن حى، والبترية أصحاب كثير النوا الأبتى، وهما متفقان فى المذهب وقولهم فى

ص: ٣٧١

الإمامه كقول السليمانيه إلمأأنهم توقّفوا في أمر عثمان: أهو مؤمن أم كافر؟ قالوا: إذا سمعنا الأخبار الواردة في حقّه وكونه من العشره المبشرين بالجنه، قلنا: يجب أن نحكم بصحّه إسلامه وإيمانه وكونه من أهل الجنه، وإذا رأينا الأحداث التي أحدثها من استهتاره بتريبه بنى أميه وبنى مروان واستبداده بأمر لم توافق سيره الصحابه، قلنا: يجب أن نحكم بكفره، فتحيرنا في أمره وتوقّفنا في حاله ووكلناه إلى أحكم الحاكمين.

وأما على عليه السلام فهو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولاهم بالإمامه، لكنّه سلّم الأمر لهم راضياً وفوض الأمر إليهم طائعاً وترك حقه راغباً، فنحن راضون بما رضى مسلمون لما سلّم لا يحلّ لنا غير ذلك، ولو لم يرض على بذلك لكان أبو بكر هالكاً. وهم الذين جوزوا إمامه المفضول وتأخير الفاضل والأفضل إذا كان الفاضل راضياً بذلك (١).

يزعمون أنّ علياً أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولاهم للإمامه، وأنّ بيعه أبى بكر وعمر ليست بخطأ لأنّ علياً عليه السلام ترك ذلك لهم. وينكرون رجعه الأموات إلى الدنيا ولا يرون الإمامه لعلى عليه السلام إلّاحين ببيع (٢).

المعلم الرابع: روى الكشى عن حمدويه وإبراهيم، قال: حدّثنا أيوب بن نوح عن صفوان قال: حدّثنى فضيل الأعور عن أبى عبيده الحداء قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: إنّ سالم بن أبى حفصه يقول لى: ما بلغك أنه من مات وليس له إمام كانت ميتته ميتة جاهليه؟ فأقول: بلى، فيقول: من إمامك؟ فأقول: أئمتى آل محمد عليه وعليهم السلام، فيقول: والله ما أسمعك عرفت إماماً قال أبو جعفر عليه السلام:

ويح سالم وما يدرى سالم ما منزله الإمام! منزله الإمام يا زياد أعظم وأفضل ممّا يذهب إليه سالم والناس أجمعون.

ص: ٣٧٢

١- (١). الملل و النحل للشهرستانى ١ / ١٦١ .

٢- (٢). الملل و النحل ٧ / ٤٥٤ .

ويظهر من الحديث معلم آخر من معالم البتريه وهو أنهم يفتنون وينكرون أى مقام غيبى لأئمه أهل البيت عليهم السلام فى حين يدعون المرجعيه العلميه لأهل البيت عليهم السلام كفقهاء ورواه، فيكذبون ويجحدون أى حديث يشير إلى علم لدنى لهم عليهم السلام أو موهبه سنّيه إلهيه ويقاومون انتشارها، بل ويكفرون بالطعن بالغلوّ من يعتقد بها ويتبناها.

فعن أبى حمزه الثمالى قال: كنت أنا والمغيره بن سعيد جالسين فى المسجد فأتانا الحكم بن عيينه فقال: لقد سمعت من أبى جعفر عليه السلام حديثاً ما سمعه أحد قطّ، فسألناه فأبى أن يخبرنا به. فدخلنا عليه فقلنا: إنّ الحكم بن عيينه أخبرنا أنّه سمع منك ما لم يسمعه منك أحد قطّ، فأبى أن يخبرنا به، فقال:

نعم وجدنا علم على عليه السلام فى آيه من كتاب الله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدَّثٍ فَقُلْنَا: ليست هكذا هي، فقال: فى كتاب على: و ما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ و لا محدّث إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمّيته، فقلت: وأى شيء المحدّث؟ فقال: ينكت فى أذنه فيسمع طيناً كطين الطست أو يقرع على قلبه فيسمع وقعاً كوقع السلسله على الطست فقلت: إنه نبيّ؟ قال: لا، مثل الخضر و مثل ذى القرنين(١).

وفى هذا الحديث يبيّن عليه السلام لرؤاد البتريه أنّ سبب انحرافهم عن أهل البيت عليهم السلام جهلهم بحقائق القرآن واعتمادهم على منابع أهل السنّه فى المعرفه .

وقال جابر: كنّا عند الباقر عليه السلام نحواً من خمسين رجلاً إذ دخل عليه كثير النواء ... فسلمّ وجلس ثم قال: إنّ المغيره بن عمران عندنا بالكوفه يزعم أنّ معك ملكاً يعرفك الكافر من المؤمن وشيعتك من أعدائك قال: ما حرفتك؟ قال: أبيع الحنطه قال: كذبت، قال: وربّما أبيع الشعير، قال:

ليس كما قلت، بل تبع النوى قال:

ص: ٣٧٣

من أخبرك بهذا؟ قال:

الملك الذى يعرفنى شيعتى من عدوى لست تموت إلّا تائهاً قال جابر الجعفى: فلما انصرفنا إلى الكوفه ذهب فى جماعه نسال عن كثير فدلنا على عجوز فقالت: مات تائهاً منذ ثلاثه أيام(١).

فى البحار عن الخرائج: روى عن سدیر أنّ كثير النواء دخل على أبى جعفر عليه السلام وقال: زعم المغيره بن سعيد أنّ معك ملكاً يعرفك الكافر من المؤمن - فى كلام طويل قد مضى - فلما خرج قال عليه السلام:

ما هو إلّا خبيث الولاده... (٢).

وروى الكلينى بسنده عن عبيد بن زرارہ قال: أرسل أبو جعفر عليه السلام إلى زرارہ أن يعلم الحكم بن عتيبه أن أوصياء محمد عليه وعليهم السلام محدثون(٣).

المعلم الخامس: إنهم يرفعون شعار دعاه الإصلاح ومن ثم يخطئون الفساد المعلن كمنهج عثمان وطلحه والزبير، كما ذكر ذلك الكشى قال: ويغضون عثمان وطلحه والزبير، وقال: يذهبون فى ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فى فرق الشيعه للنوبختى فى ترجمه الحسن بن صالح بن الحى عدّه من رؤساء البتريه وهم ضعفاء الزيديه، انتهى(٤).

والظاهر أنه يريد بذلك أنّ أسلوبهم فى الثوره والنهضه لم يكن حاداً ساخناً كبقية الزيديه مسلحاً.

وحكى الكشى عن سالم أنه كان مختفياً من بنى أميه بالكوفه فلمّا بويع لأبى العباس، خرج من الكوفه محرماً فلم يزل يلثى «لييك قاصم بنى أميه لبيك» حتى

ص: ٣٧٤

١- (١). الخرائج والجرائح / ٢٧٦ .

٢- (٢). بحار الأنوار ٤٦ / ٢٥٣، الخرائج والجرائح ٢ / ٧١٠ .

٣- (٣). الكافي ١ / ٣٧٠ .

٤- (٤). ص ٥٧ .

وعن السمعاني أنه قال: أضللنا هذه الطائفة إذا شكوا في إيمان عثمان (٢).

وقد دخلت البتريه في صفقات مع الأنظمة الوقتيه ضدّ الحركات المعارضه من تيارات الثوّار، فكانوا عناصر اختراق في صفوف الثوّار والنهضات الإصلاحيه لإفشالها.

فقد ذكر أبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبين أنّ إدريس بن عبد الله بن الحسن أفلت من وقعه فخّ وكان الرشيد يتابع خبره، فلما بلغه أنّه توجه إلى إفريقيا توجّس خوفاً شديداً، فشكا ذلك إلى يحيى بن خالد البرمكي فقال: أنا أكفيك أمره. ودعا سليمان بن الجريز الجزري وكان من متكلمي الزيدية البتريه من أولى الرياسه فيهم فأرغبه ووعدّه عن الخليفه بكلّ ما أحبّ على أن يحتال لإدريس حتى يقتله، ودفع إليه غاليه مسمومه - أي قاروره - فيها عطر وطيب مسموم، فاحتال سليمان حتى وصل إلى إدريس وأظهر له أنّه قد هرب من السلطان لما يعلم من مذهبه فأنس بإدريس واجتباه وكان ذا لسان معارضه، وكان يجلس في مجلس البربر فيحتجّ للزيديه ويدعو إلى أهل البيت عليهم السلام .

فحسن موقع ذلك من إدريس إلى أن وجد فرصه فقال لإدريس: جعلت فداك هذه قاروره غاليه حملتها إليك من العراق ليس في هذا البلد من هذا الطيب شيء فقبلها وتطيّب بها وشمّها، وانصرف سليمان وفرّ هارباً من إدريس، وسقط إدريس من شدّه السمّ فلم يعلم من حواليه ما قصّته حتى قضى عشياً وتبيّن بذلك حال أمر سليمان (٣).

المعلم السادس: أنّ البتريه كمنهج توفيقى تلفيقى كان يشتمل على جملة من

ص: ٣٧٥

١- (١) . الكشي ٣١٠ / رقم ٤٢٨ .

٢- (٢) . الأنساب للسمعاني ١ / ٨٠ .

٣- (٣) . مقاتل الطالبين / ٤٨٩ .

الرموز العلميه إما باتتاء شيعى أو سنّى، إلّا أنّهم وجدوا فى هذا المنهج التوفيقى وسطيه حسب زعمهم.

ففى الكشى قال: وقيس بن الربيع بترى كانت له محبّه.

وعدّد من البترية: فأما مسعده بن صدقه فبترى، وثابت أبو المقدام بترى، وكثير النواء بترى، وعمرو بن جميع بترى، وعمرو بن القيس الماصر بترى، ومقاتل بن سليمان البجلي وقيل البلخى بترى، وأبو نصر بن يونس بن الحارث بترى وكذا عمر بن رباح (عمرو بن رباح)(١).

وقد تقدم قول الكشى أنّ البترية هم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن الحى وسالم بن أبى حفصه وحكم بن عتيبه وسلمه بن كهيل وأبو المقدام ثابت الحداد.

المعلم السابع: الخلود إلى الدعه والقعود عن تحمّل المسؤوليه، فإنّ هذه الظاهره النفسانيه الفكرية توجب عدم تحمّل ضريبه وثقل البراءه والتبرّى والتخطئه لمنهج الجمهور ورؤاده من أصحاب السقيه، ويؤدى تلقائياً إلى حاله من التقهقر النفسى والفكرى والانهازم ومحاولة تلوّن الضعيف فى القدره السياسيه بلون صاحب القدره السياسيه والنفوذ كى تستتب له طمأنينه العيش والسمعه واكتساب اعتراف الآخرين بشخصيته ولو على حساب ثوابت القيم والمبادئ؛ وذلك بتسويل أنّ هذه الثوابت قابله للنقاش والتغيير لفتح الباب أمام التخلّى عنها ومسؤوليه تبعاتها. فانطلاقاً من هذه المزعمه كانوا يتخلّون عن منهج التبرّى والنقد والإنكار للمنكر وتخطئه الباطل ويكتفون فى تعذير ذمتهم بالتمسك بولايه أهل البيت عليهم السلام ومحبتهم ومودّتهم إرضاءً لمحاسبه الضمير واكتفاءً بعدم التنكّر لمقامات أهل البيت عليهم السلام فى القرآن والسنة.

ص: ٣٧٦

١- (١). رجال الكشى: ٧٣٣.

وهناك داعٍ آخر تورّط فيه البتريه بل عموم الزيدية وهي أنّ الحكّام على الدوام كانوا يواجهون ثورات العلويين بمكيده وحيله، وهي إخراجهم حول موقفهم من الشيخين كي يربك الوضع عليهم في ساحه المسلمين، لأنهم إما يتبرّؤون علانيه منهما فذلك يوجب اصطفاة جماهير أهل السنه مع السلطه، وإما لا يتبرأ منهما فيضعف موقعيه الثوار العلويين في جماهير أتباع أهل البيت عليهم السلام .

ومن هذا القبيل ما قد احتاله الوالى يوسف بن عمر في مواجهه زيد بن على من قبل هشام بن عبد الملك حيث أنفذ في صفوف أنصار زيد بالكوفه عندما خرج فدخلوا على زيد وقالوا: ما تقول في أبى بكر وعمر؟ فقال زيد - كما يذكر ذلك ابن عساكر - : رحم الله أبا بكر وعمر صاحبى رسول الله ثم قال: أين كنتم قبل اليوم؟(١).

وسؤال زيد إشاره منه إلى استنكار عليهم وأنهم مندسين في صفوفهم من قبل السلطان.

والداعى الثالث أنّ رواد البتريه كانوا حريصين على إنهاض جميع الأمه ضدّ فساد الأنظمه وعلى زعامه تلك النهضه، ولم يكن يتسنّى لهم ذلك إلّا بالمزج بين ولايه أهل البيت عليهم السلام وولايه الشيخين فيتسنّى لهم بذلك الحظوه عند الفريقين.

فأخذوا بترويح مثل هذا المنهاج والمذهب. إلّا أنّهم لم يوفقوا في تشييد مثل هذا المنهاج طيله القرون بل بادوا وانقرضوا.

نعم، يتجدّد كلّ حين من أصحاب هذا الفكر جماعه جديده إلى يومنا هذا تحمل نفس الملامح وتتّصف بها وبنفس النزعات والغايات وتعود الكره لهم بالفشل، و ذلك لما مرّ من التناقض بين منهاج أهل البيت عليهم السلام كمنهاج ربّانى إلهى ومنهاج السقيفه كمنهاج بشرى وضعى ماذى.

ص: ٣٧٧

١- (١) . تهذيب تاريخ دمشق ٦ / ٢٥ .

المعلم الثامن: كانت لهم حساسية وضديه متشدده مع رواه الفضائل والمقامات لأهل البيت عليهم السلام . و كانوا يضعفون في حجاجهم حول الإمامه مع رواه أسرار المعارف، بينما يتنمرون في احتجاجهم حول الإمامه مع فقهاء الرواه.

وبعبارة أخرى: الملاحظ من روايات ووقايح عديده انثيار البتريه واضطرابهم من روايات رواه المعارف وتفسيراتهم، بينما نشاهد عكس ذلك مع فقهاء الرواه حيث يشاهد انثيارهم ووقوعهم في التساؤل والتوقف من كلمات البتريه. وقد مرّ بعض الشواهد على ذلك في فصل طبقات الرواه وتنوعهم في فقه المعارف.

المعلم التاسع: مسارههم الفقهي على الخلط بين مباني فقه الشيعة والسنة.

فقد أخرج أبو الفرج الاصبهاني في ترجمه يحيى بن عبد الله بن الحسن قال:

صحبته جماعه من أهل الكوفه فيهم ابن الحسن بن صالح بن حي كان يذهب مذهب الزيديه البتريه في تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان في ست سنين من إمارته، وإلى القول بكفره في باقي عمره يشرب النبيذ ويمسح على الخفين، وكان يخالف يحيى في أمره ويفسد أصحابه، قال يحيى بن عبد الله: فأذن المؤذن يوماً وتشاغل بطهوري وأقيمت الصلاة فلم ينتظرنى وصلّى بأصحابي، فخرجت فلماً رأيتَه يصلّى قمت أصلى ناحيه ولم أصلّ معه لعلمي أنه يمسخ على الخفين فلما صلّى قال لأصحابه: علام نقتل أنفسنا مع رجل لا يرى الصلاة معنا ونحن عنده في حال من لا يرضى مذهبه(١).

وروى في قرب الإسناد عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال جابر بن عبد الله الأنصاري: إن دباغه الصدف والشعر غسله بالماء وأى شيء يكون أظهر من الماء(٢).

ص: ٣٧٨

١- (١) . مقاتل الطالبين / ٤٦٨ .

٢- (٢) . الوسائل / أبواب لباس المصلي / ب ٥٦ / ٤ .

ويظهر من هذه الروايه التي يرويها مسعده - وهو بترى - حيث إن الإمام عليه السلام يخبره بالحكم روايه عن أبيه عن جابر الأنصاري، أن نظره مسعده له عليه السلام ولأبيه عليه السلام كراويين، مضافاً إلى مضمون الروايه حيث كان يزعم مطهره الدباغه لجلد الميتة.

وقال الشهرستاني في الملل: وأكثرهم (البترية) في زماننا مقلدون لا- يرجعون إلى رأى واجتهاد، أما في الأصول فيرون رأى المعتزله حذو القذه بالقذه ويعظمون أئمه الاعترال أكثر من تعظيمهم أئمه أهل البيت عليهم السلام وأما في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة إلفى مسائل قليلة الشافعى والشيعة(1).

ولا يخفى أن الشهرستاني قد توفى سنة ٥٤٨ هـ . ق أى فى القرن السادس.

المعلم العاشر: أنهم يرون إمامه الشيخين وإنما ينكرون ويذمّون على عثمان وبنى أميه وبنى العباس كما فى قول أبى الفرج فى مقاتل الطالبين.

المعلم الحادى عشر: أنهم فى حين قولهم بإمامه أبى بكر وعمر وصحّتها، إلّا أنهم يسجّلون جملة من النقود والاعتراضات على الأخطاء التى ارتكباها فنرى مثل مسعده بن صدقه البترى يروى الروايه(2) عن الصادق عليه السلام من خطبه على عليه السلام التى يعدّد فيها فرق الضلال وتيه الأئمه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعدم حفظهم سنته صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك نرى أبا المقدام يروى عن الباقر عليه السلام انحراف الأئمه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (3) لا سيما وقد مرّ أنهم لا يرون شرعيه خلافة الشيخين بذاتها وإنما لأجل تسليم أمير المؤمنين على عليه السلام بها - حسب زعمهم - .

المعلم الثانى عشر: ومن خواصّ البترية أنهم يبتغون حسن السمع عند العامّة ويحاولون بكلّ إمكانياتهم أن يكونوا مرضيين عند الطرفين.

ص: ٣٧٩

١- (١) . الملل و النحل للشهرستاني / ١٦٢ .

٢- (٢) . روضه الكافى / ٦٣ / ح ٢ .

٣- (٣) . روضه الكافى / ٢٧٠ / ح ٣٩٨ .

المعلم الثالث عشر: أنهم لا يقتصرون في مرجعيه المصادر الدينيه على أهل البيت عليهم السلام ، بل يخلطون بينهم وبين غيرهم. ومن ثم أنكر أئمه أهل البيت عليهم السلام على هذا المشرب الذى عند البتريه.

فقد روى عذافر الصيرفى قال: كنت مع الحكم بن عتيبه عند أبى جعفر عليه السلام فجعل يسأله وكان أبو جعفر عليه السلام له مكرماً، فاختلف فى شىء فقال أبو جعفر عليه السلام:

يا بنى، فأخرج كتاباً مدرجاً عظيماً ففتحه و جعل ينظر حتى أخرج المسأله وقال أبو جعفر عليه السلام:

هذا خطّ عليّ وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقبل على الحكم وقال:

يا أبا محمّد اذهب أنت وسلمه وأبو المقدام حيث شئتُم يميناً وشمالاً فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل (١).

وعن الكشى بإسناده عن أبى مريم الأنصارى قال: قال لى أبو جعفر عليه السلام:

قل لسلمه بن كهيل والحكم بن عتيبه شرفاً أو غرباً لن تجدا علماً صحيحاً إلأ شيئاً خرج من عندنا أهل البيت (٢).

ويلاحظ أنّ هذه الظاهره قد تكررت فى هذا الزمان، فكما يجعل أهل البيت عليهم السلام مصدراً ومنبعاً لأخذ الأحكام والمعارف منهم عليهم السلام ينضمّ إليهم أيضاً مرجعيه الصحابه كمصدر دينى يعوّل عليه وحجه فى تفسير القرآن وأخذ الأحكام. أو يطلب العلوم الماديه إلى السعاده الأخرويه من غيرهم من الحكماء البشرى ويعكف على كلماتهم التى هى بمنزله الثماد بدل العكوف على النهر الأعظم (٣) وهى علوم أهل البيت عليهم السلام ، وقد مرّ أنّ هذا المنهج نمط من النفاق فى الإيمان حيث يظهر الولاء لأهل البيت عليهم السلام ولكنه ينتقصهم علمياً كما يشير إلى ذلك أخذهم واتباعهم لأقوال وآراء غيرهم.

ص: ٣٨٠

١- (١). النجاشى فى ترجمه محمد بن عذافر ٩٦٦ .

٢- (٢). الكشى ٢٨١ / ح ٣٦٩ .

٣- (٣). وقد مرّ الروايه عن الإمام الباقر عليه السلام: «يمصّون الثماد ويدعون النهر الأعظم...».

المعلم الرابع عشر: تلفيقهم وخطبهم بين ولايه أهل البيت عليهم السلام وولايه أصحاب السقيفه (١).

روى كثير النوا عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن أبي بكر وعمر فقال:

هما أول من انتزى على حقنا وحملا الناس على أعناقنا وأكتافنا وأدخلا الذل بيوتنا.

وعنه، عنه قال:

و الله لو وجد عليهما أعواناً جاهدهما يعني أبا بكر وعمر (٢).

وعن أبي الجارود قال: كنت أنا وكثير النوا عند أبي جعفر عليه السلام فقال كثير: يا أبا جعفر رحمك الله، هذا أبو الجارود يبرأ من أبي بكر وعمر فقلت لأبي جعفر عليه السلام:

كذب و الله الذي لا إله إلا هو ما سمع ذلك مني قط، وعنده عبد الله بن علي أخو أبي جعفر عليه السلام فقال:

هلم إليّ، أقبل إليّ يا كثير، كانا و الله أول من ظلمنا حقنا وأضغنا بأبائنا وحملا الناس على رقابنا فلا غفر الله لهما، ولا غفر لك معهما يا كثير (٣).

وكثير النوا من رؤساء البتريه.

وعن سالم بن أبي حفصه قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت: أئمتنا وسادتنا نوالى من واليتهم، ونعادي من عاديتهم ونبرأ من عدوكم، فقال:

بخ بخ يا شيخ، إن كان لقولك حقيقه، قلت: جعلت فداك إن له حقيقه قال:

ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: إماما عدل رحمهما الله، قال:

يا شيخ، و الله لقد أشركت في هذا الأمر من لم يجعل الله له فيه نصيباً (٤).

وسالم بن أبي حفصه أيضاً من رؤساء البتريه، أى أنهم يقولون بأن أبا بكر

ص: ٣٨١

١- (١). بحار الأنوار ٣٠ / ٣٠٨، أخرجهما عن تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي / ١٦٧.

٢- (٢). بحار الأنوار ٣٠ / ٣٠٨، أخرجهما عن تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي / ١٦٧.

٣- (٣). بحار الأنوار ٣٠ / ٣٨٢ - ٣٨٣ أخرج عن كتاب تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي / ١٦٧.

٤- (٤). بحار الأنوار ٣٠ / ٣٨٢ - ٣٨٣ أخرج عن كتاب تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي / ١٦٧.

وعمر لهما نصيب في إقامه الإسلام ونشره وانتشاره في ربوع الأرض وهذه مقاله تتجدد عند ثله تزعم الانتساب والولاء لأهل البيت عليهم السلام .

المعلم الخامس عشر: إنكار وجود الباطن للشريعة أو التأويل في الآيات والروايات أو وجود جانب غيبي في الكتاب العزيز ومقامات الدين، وإنكار كل ما له صلة بالإمامه الإلهيه في موقعها الغيبي، لأنه لا يتفق ذلك مع منهاجهم في التلفيق والتصفيه بين مقام أهل البيت عليهم السلام وأصحاب السقيفه، ومن ثم وصفهم النوبختي في فرق الشيعة بأصحاب الحديث (1) ومراده ذوى المسلك الحشوى من دون إمعان في فقه الحديث ووعاياه مضمونه ودرايه غوره وأسراره.

فقد روى الكشى بسنده عن أبي بصير قال: قيل لأبي عبد الله عليه السلام وأنا عنده:

أَنْ سَالِمَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ يَرَوِي أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهًا، لَكَ مِنْ كُلِّهَا الْمَخْرَجُ؟ قَالَ: فَقَالَ:

مَا يَرِيدُ سَالِمٌ مَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجِيءَ بِالْمَلَائِكَةِ فَوَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهَا النَّبِيُّونَ وَلَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «إِنِّي سَقِيمٌ»

وَاللَّهُ مَا كَانَ سَقِيمًا وَمَا كَذَبَ، وَلَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا»

وَمَا فَعَلَهُ وَمَا كَذَبَ وَلَقَدْ قَالَ يُوسُفُ: «إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ»

وَاللَّهُ مَا كَانُوا سَارِقِينَ وَمَا كَذَبَ (2).

وروى الكشى بسنده عن أبي عبيده الحذاء قال: أخبرت أبا جعفر عليه السلام بما قال سالم بن أبي حفصه في الإمام؟ قال:

ويل سالم يا ويل سالم ما يدري سالم ما منزله الإمام.

وروى الكشى عن أبي عبيده الحذاء قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنَّ سالم بن أبي حفصه يقول لى: ما بلغك أنه من مات وليس له إمام كانت ميتته ميتة جاهليه؟ فأقول: بلى، فيقول: من إمامك؟ فأقول: أئمتى آل محمد عليه وعليهم السلام، فيقول: والله ما أسمعك عرفت إماماً، قال أبو جعفر عليه السلام:

ويح سالم وما يدري سالم ما

ص: ٣٨٢

١- (١). فرق الشيعة، النوبختي

٢- (٢). الكشى / ح ٤٢٥.

منزله الإمام، منزله الإمام يا زياد أعظم وأفضل ممّا يذهب إليه سالم والناس أجمعون(١).

أقول: وفي هذه الروايه دلالة على مرام البتريه من تسطيح مقام ومنزله الإمام، وأنهم يستنكرون المقام الغيبي له ويقصرون أهّميه مقام الإمامه فى العمل الاجتماعى الظاهر المعلن على السطح وقيامه بالنهضة السياسيه المكشوفه. هذا، مع أنّ للإمام والإمامه أدواراً عديده عظيمه أخرى فى الدين الحنيف، فقد أثبت تعالى للكتاب تأويلاً حيث قال: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» و أثبت للكتاب مقاماً مكنوناً غيبياً لا- يمسه ولا- يناله إلّا المطهرون وهم أهل آيه التطهير «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ».

المعلم السادس عشر: نظرتهم القاصره حول روايات أهل البيت عليهم السلام والعلوم الصادره عنهم، حيث إنهم يرون التعارض فيها دليل عدم الحقيقه وعدم الواقعيه الثابته، وأنّ التأويل تفریط فى دلالات الشريعة. والذى حدا بهم إلى ذلك إنكارهم للتقيه كبرنامج أمنى وجهلهم بنظم ومنظومات العمل السرى الهادىء البعيد المدى بنحو التدرج، بل كانوا يصرون على السرعه والعمل علانيه بشكل سافر واضح، وتغيب جانب الغور العميق فى الشريعة المسمى بالباطن، على عكس مشرب رواه أسرار المعارف.

ويذكر الكشى قصه غير واحد منهم فى هذا المجال كعمر بن رباح(٢) وأبى الجارود وإن تميّز الأخير بالفرقه الجاروديه.

المعلم السابع عشر: أنهم يرتكبون التزوير والكذب على أهل البيت عليهم السلام وذلك لكى يصيغوا التسويه والتوفيق مع ولايه أصحاب السقيفه والتي هى فى الحقيقه تمادى فى ظلامه أهل البيت عليهم السلام وخذلان لحقهم وإطفاء لأنوار الإيمان.

فقد روى الكشى عن يعقوب الأحمر وجماعه من أصحاب الصادق عليه السلام

ص: ٣٨٣

١- (١). الكشى / رقم ٤٢٨ .

٢- (٢). الكشى / رقم ٤٣٠ .

قالوا: كُنَّا جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل زرارہ بن أعين فقال له: إنَّ الحكم بن عتيبه روى عن أبيك أنه قال له: صلَّ المغرب دون المزدلفه، فقال له أبو عبد الله عليه السلام بأيمان ثلاثه:

ما قال أبي هذا قطَّ كذب الحكم بن عتيبه على أبي (١).

وقد مرَّت روايه أنهم كذَّابون مكذَّبون.

ص: ٣٨٤

١- (١). رجال الكشي / رقم ٨٥.

تكرّر ظاهره البتريّه في طول الأزمان

إنّ ظاهره البتريه - التي هي ظاهره تلفيقيه توفيقيه مخلطه التقاطاً وانتقاءً - ظاهره تتكرّر في الأزمنه المختلفه، وهي ذات معالم ومناهج معينه من الخلط بين مدرسه أهل البيت عليهم السلام والمدارس الأخرى، ومن الحيلولة دون التبري والبراءه من تلك المدارس المناوئه لأهل البيت عليهم السلام . وهي ظاهره تتكرر كظاهرة المقصّيره والمارقه. وقد تتجلى في العصر الحاضر تحت بعض أطروحات الوحده الإسلاميه والتقريب بين المذاهب. فيعلم من ذلك أنّ هناك تيّارين: تيار مخلّطه في داخل الصف الشيعي يجهدون في حرف أتباع أهل البيت عليهم السلام إلى تولّي الشيخين ومزجه بتولى أهل البيت عليهم السلام ، بخلاف تيار آخر مصادم لهذا التيار يشدّد على الفصل والتمييز بين مدرسه أهل البيت عليهم السلام والمدارس الأخرى بحصر التبعيه والمرجعيه الشرعيه الإلهيه بأهل البيت عليهم السلام - وهو ما يُعرف بالتولي - وسلبها ونفى الصلاحيه عن بقيه المدارس الأخرى، وتخطئه المسارات المبينه عن العتره - وهو ما يُعرف بالتبري - وقد طعن على هذا التيار الثاني بالتشدّد والحدّه والغلوّ في أهل البيت عليهم السلام .

و هذا التجاذب بين الظاهرتين جدليه تتكرر في الأزمنه المختلفه وهي قائمه في الزمان الحاضر أيضاً، وربما يبرّر التيار الأول بمنهجه المزيجي والتلفيقي بجمله من الذرايع، كما أنه قد تسجّل على التيار الثاني جملة من المؤاخذات

بسبب صراحته الصارخه وعدم مداراته وعدم اعتماده أسلوب الرفق واللين فى تبين الحقائق، ومفاجئه الوسط العام بخطاب لم تتهيأ له الذهنيه العامه فى الوسط الخاصّ فضلاً عن الوسط العام، وهذا ممّا يؤجج النكير وسيل التهمه والطعون عليهم.

ولا يخفى أنّ تيار البترية التلفيقي والمزيجي التوفيقي هو تيار نابع فى الأصل من الأوساط الشيعيه وليس محسوباً فى ابتدائه على فرق السنّه، إلّا أنّ هذا التيار نتيجه النهج التلفيقي الذى لديه على تقارب وطيد مع جمله من متبنيات الفرق الأخرى.

ويمكن إعزاء الأسباب لتولد ظاهره البترية فى كل قرن إلى عده من الأمور:

الأول: الجهل بحقيقه منهاج أهل البيت على ما هو عليه من عمق وغور والاكتفاء بالنظره السطحيه، وقد يكون ذلك الجهل بسبب قصور علمى وقله باع فى الآليات العلميه التى يمكن بتوسطها إدراك حقائق معالم منهاج الأئمه عليهم السلام .

الثانى: الضعف النفسى وروح الانهزاميه أمام تسلط وسيطره جمهور المذاهب الإسلاميه الأخرى، وهذا العامل يؤثر بشكل خفى فى اللاشعور الباطن لدى ضعفه النفوس يحدو بهم إلى عدم الموضوعيه فى التفكير والاستنتاج فيزعمون أن الحق يساوى الغلبه الفعلية الراهنه، وهو نمط من الوهن والنكول والمداهنه رغبه فى الوداعه ورغيد العيش.

الثالث: التأثر أمام السيل الإعلامى السلطوى المتكرس عبر التاريخ فى بطون الكتب وأعماق الأذهان فى الأجيال المزيف للحقائق، من دون تدبر وتأمل واستقصاء لخيوط الحقيقه، كموضوع فتوحات البلدان والظلمات والاضطهاد الذى جرى على أهل البيت عليهم السلام والمنعطفات الهامه فى سيره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتاريخ الصدر الأول للإسلام.

ويظهر من جمله من النصوص أن ظاهره البترية الانحرافيه تستمر حتى

عصر ظهور الإمام المهدي (عج) في الوسط الشيعي كحاله نفاقه في الإيمان.

فقد روى الطبري في دلائل الإمامه في باب وجوب معرفه القائم بإسناده عن الحميري عن محمد بن حمران المدائني عن علي بن أسباط عن الحسن بن بشير عن أبي الجارود عن أبي جعفر قال: سألته متى يقوم قائمكم؟ قال:

يا أبا الجارود لا تدركون - إلى أن قال: -

ويسير إلى الكوفه فيخرج منها سته عشر ألفاً من البتريه شاكين في السلاح، قراء القرآن، فقهاء في الدين، قد قرحوا جباههم وسمروا ساماتهم وعمهم النفاق وكلهم يقولون: يابن فاطمه ارجع لا حاجه لنا فيك، فيضع السيف فيهم على ظهر النجف عشيه الاثنين من العصر إلى العشاء، فيقتلهم أسرع من جزر جزور فلا يفوت منهم رجل ولا يصاب من أصحابه أحد دماؤهم قربان إلى الله (١).

ورواه المفيد في الإرشاد بهذا اللفظ: قال: روى أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل (٢).

أنه إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفه فيخرج منها بضعه

عشر ألف نفس يدعون البتريه عليهم السلاح فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا- حاجه لنا في بني فاطمه فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم ويدخل الكوفه فيقتل بها كل منافق مرتاب (٣).

وهذا الخبر ممياً يشير إلى تكثّر هذه الظاهره واستمرارها في الوسط الشيعي إلى عام الظهور، وأن أصحاب هذا التيار البتري التوفيقي التلفيقي يعتمدون المسحه العلميه ويتدرّعون بالمبررات الفقيهيه لهذا المنهج. ونداءهم وخطابهم القائم (عج) ببني فاطمه إشاره إلى نهج فاطمه عليها السلام في الإنكار على مسار السقيفه والبراءه من الانحراف، فكأن الميز المايز لهم هو رفض التبري من أعداء فاطمه سلام الله عليها، كما أنّهم في بدو أمرهم حيث أنكروا البراءه من الشيخين وأظهروا

ص: ٣٨٧

١- (١). الطبعه الحيدريه ص ٢٤١ / الطبعه الحديثه ص ٤٥٥ مؤسسه البعثه.

٢- (٢). ويظهر من كلام المفيد أنّه اختصر الحديث.

٣- (٣). الإرشاد ٢ / ٣٨٤ وصراط مستقيم بياض؟؟؟؟ وبحار الأنوار ٥ / ٣٣٨.

البراءه من أعدائهما، التفت إليهم زيد بن علي في محضر أخيه الباقر عليه السلام وقال لهم:

أتبرأون من فاطمه! بترتم أمرنا بترككم الله، فيومئذ سموا البتريه(1) فلأجل المعاداه مع أعداء الشيخين يؤول حالهم إلى معاداه فاطمه عليها السلام ، ولذلك يخاطبون الحجة (عج) «ارجع يا بن فاطمه لا حاجه لنا فيك».

ص: ٣٨٨

١- (١) . الكشي: رقم ٤٢٩ .

روى الكشى عن سعد بن صباح الكشى قال: حدثنا على بن محمد قال:

حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن محمد بن فضيل عن أبي عمرو سعد الحلاب عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

لو أنّ البتريه صفّ واحد ما بين المشرق إلى المغرب ما أعزّ الله بهم ديناً (دنياً) (١).

ووجه تركيز هذه الروايه وتأكيدده عليه السلام على نفى أن يعزّ الله عزوجل بالبتريه الدين من جهه تركيزها على الصفّ الواحد، وتركيزها ثالثاً على كون هذا الصفّ الواحد هو ما بين المشرق والمغرب، هو الإشاره بهذه المحاور الثلاث إلى شعار البتريه وزعمهم ودعواهم الصلح بين طوائف الأمم بالمنهج التلفيقي والتوفيقي الذي يقرب بين الفرق ويردم الهوّه التي بينهم، ويصبحوا متحدين في وحده إسلاميه تقوى بها الأمم أمام أعدائها، وأنّ هذا التوفيق والتقريب للوحده هو سبيل الوحده للأمم ونبذ اختلافاتها وتألف بها جميع الأمم ما بين شرقها إلى غربها فى صفّ واحد.

و هذا ما يشير إليه عليه السلام بقوله:

لو أنّ البتريه صفّ واحد ... أى لو أنّ البتريه استطاعوا أن يوحدوا فرق الأمم فى منهاج واحد كلّ فرق الأمم ما بين المشرق

ص: ٣٨٩

والمغرب، لما ترتب على ذلك قوه الأُمّه ومن ثمّ عزّتها وغلبتها على أعدائها كما يزعم البتريه، فليس طريق عزّه الأُمّه وقدرتها واثلافها بما يزعمونه من هذا المنهاج التلفيقي التوفيقى المتناقض، تقريباً بين فرق الأُمّه. إذ المنهج المتناقض لا يلتئم به الوحده فى المسير ولا خطوات المنهاج ولا وحده الطريق، بل هو فى الحقيقه ينطوى على صميم الفرقه والافتراق لجمعه بين المتناقضات.

ومن ثمّ أكّد فى روايتهم عليهم السلام :

أنّ إمامتهم أماناً من الفرقه وطاعتهم نظاماً للملّهتتظم بها الأُمّه فى وحده واقعيه حقيقيه، فلاحظ الخطبه الغزّاء لأمير المؤمنين عليه السلام المسماه بالقاصعه، ولاحظ مستهلّ خطبه الزهراء عليها السلام .

وهذه الروايه قد تناقلتها مصادر حديثيه متعدّده لتركيزها على أهمّ شعار يرفعه البتريه بمنهاجه الإصلاحى المزعوم وبيان وجه الفساد والأكذوبه فيه.

ص: ٣٩٠

ومما يشهد لانخراط المنهج البتري الوجدوى التقريبي في مذاهب العامه توثيق رجال العامه لرؤساء البتريه وعقيدتهم.

وقد مرّ كلام الكشى في رؤساء البتريه ومرّ كلام النوبختى في فرق الشيعه.

وكلام الشهرستانى في الممل و النحل وقد عدّ من البتريه أصحاب كثير النوا وأنه متفق في المذهب مع الحسن بن صالح بن حى .

ومرّ أنّ منهم عمرو بن أبى المقدام العجلى وسلمه بن كهيل.

قال في تهذيب التهذيب في ترجمه كثير النوا: ... ذكره ابن حبان في الثقات، قلت: وقال العجلى لا بأس به وروى عن محمد بن

بشر العبدى أنه قال: لم يمت كثير النوا حتى رجع عن التشيع.

وقال ابن سعد في الطبقات(1) في ترجمه أبى عمرو بن أبى المقدام العجلى قال: هو ثابت بن هرمز ويكنى أبا المقدام العجلى

وهو أبو عمرو بن أبى المقدام وأنه يروى عن ابن المسيب وهو ثقة احتجّ به النسائى.

وفى تهذيب التهذيب: ذكر أنه روى عن عدى بن دينار وسعيد بن المسيب وأبى وائل وسعيد بن جبير وغيرهم وعن الثورى

وشعبه وابنه عمرو بن أبى

ص: ٣٩١

المقدام وشريك وإسرائيل وغيرهم، وروى عنه الحكم بن عتيبه والأعمش ومنصور وهما من أقرانه.

قال أحمد وابن معين: ثقة، وقال أبو داود: ثقة، وقال العضدي: يتكلمون فيه، وقال مسلم بن حجاج في شيوخ الثوري ثابت بن هرمز ويقال هريمز، ونقل عن الآخرين توثيقه أيضاً، وقال زاذان بن صالح: كان شيخاً عالياً صاحب سنّه وقال عقبه: لا أعلم له علّه وثابت ثقة، ولا أعلم أحداً ضَعفه إلّا الدارقطني.

وأما سلمه بن كهيل وثقه أكثر العامه (١) وجعلوه من الحفاظ الأربعة.

وقد عدّ الشيخ الطوسي في الرجال (٢) محمد بن زيد ومنصور بن المعتمر ومقاتل بن سليمان من البتريه، ومقاتل بن سليمان هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو حسن البلخي المفسّر نزيل مرو.

وقال العلامة في الخلاصه (٣) مقاتل بن سليمان من أصحاب الباقر عليه السلام بترى قاله الشيخ الطوسي رحمه الله والكشي وقال البرقي إنه عامي.

ومن البتريه سفيان الثوري والحكم بن عيينه وسفيان بن عيينه، سالم بن أبي حفصه كثير النواء، عمر بن رياح، مسعده بن صدقه (٤).

وقال الشيخ في الرجال في مسعده بن صدقه: إنه عامي (٥) وكذا قيس بن الربيع إنه بترى.

قال الكشي: «البتريه هم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حيّ وسالم بن أبي حفصه والحكم بن عيينه وسلمه بن كهيل وأبو المقدام ثابت

ص: ٣٩٢

١- (١). التاريخ الكبير للبخاري ٤ / ٧٤.

٢- (٢). رجال الطوسي / رقم ١٦١٦ - ١٦١٨.

٣- (٣). الخلاصه / ٤١٠.

٤- (٤). الكشي / رقم ٢٤٨.

٥- (٥). رجال الطوسي / ١٦٠٩.

الحدّاد». وقال أيضاً: أما مسعده بن صدقه بترى، وعباد بن صهيب عامى، وثابت أبى المقدم بترى، وكثير النوا بترى، وعمرو بن جميع بترى، وحفص بن قياس عامى، وعمرو بن قيس الماصر عامى، ومقابل بن سليمان البجلي وقيل البلخى بترى، وأبو نصر بن يوسف بن الحارث بترى»(١) ونقل عن البعض أن قيس بن الربيع بترى كانت له محبه(٢). ولكن نقل عن نصر أن عباد بن صهيب بترى(٣) وذكر الشيخ فى رجاله(٤) أن طلحه بن زيد بترى، وذكر أيضاً أن عمرو بن جميع وعمرو بن قيس الماصر وعمرو بن خالد الواسطى أنهم بتريون(٥) وكذلك غياث بن إبراهيم(٦).

وفى توصيف الأصحاب تاره لهم بالعاميه وأخرى بالبترية دلالة على ما يأتى من موقف علماء الإماميه تجاه النهج البترى.

ص: ٣٩٣

- ١- (١). الكشى / رقم ٧٣٣ .
- ٢- (٢). الكشى / رقم ٧٣٣ .
- ٣- (٣). الكشى / رقم ٧٣٦ .
- ٤- (٤). رجال الطوسى / رقم ١٤٦٤ .
- ٥- (٥). رجال الطوسى / ٥٣٢ / ٥٣٤٠٠ .
- ٦- (٦). رجال الطوسى / ١٥٤٢ .

أفتى الشيخ المفيد والشيخ الطوسي وابن بزّاج وابن حمزه وابن إدريس والعلامة الحلّي على خروج البتريه من طوائف الشيعة(١).

و هذا يدلّ على أنّ هذا التيار بقي إلى زمن القرن الخامس بل السابع من عهد فقهاءنا.

وعلى أنّ ما التزموه من المعتقد يُخرجهم عن القول بإمامه على عليه السلام .

قال المحقق الكركي في جامع المقاصد: «وإنما استثنى الأصحاب البتريه من الزيديه لأنهم يخالفون قول أكثر الباقيين في أنّ الإمامه لعلي عليه السلام بالنص بل قالوا إنها شورى وجوزوا تقديم المفضل(٢) وقريب منهم السليمانه».

يقولون: وإن أخطأت الأمه في البيعه لهما مع وجود علي ولكنّه خطأ لم ينته إلى درجه الفسق.

وفي مقباس الهدايه: البتريه جماعه من الزيديه قالوا بخلافه الشيخين قبل

ص: ٣٩٤

-
- ١- (١) . المقنعه / ٦٥٥، النهايه / ٥٩٨، المهذب لابن بزّاج ٢ / ٩٠، الوسيله لابن حمزه / ٣٧١، السرائر ٣ / ١٦٢، تحرير الأحكام ٣ / ٣٠١، مختلف الشيعة ٦ / ٣١١ .
- ٢- (٢) . جامع المقاصد ٩ / ٤٣ .

على عليه السلام فيمكن اعتبارهم من العامة (١).

وأرباب الجرح والتعديل عندنا جعلوا البتريه من العامه كابن داود والشيخ وسيأتي أقوال علماء الإماميه.

نعم، لم نر من النجاشي تصريحاً ولا تلويحاً بالحكم على البتريه بأنهم من العامه، مع أن مقتضى عدم تصريحه أنهم من الإماميه، وهذه من الملاحظات الهامه على مسلك النجاشي.

روى الكشي في معتبره على بن رئاب قال: دخل زراره على أبي عبد الله فقال:

يا زراره متأهل أنت؟ قال: لا، قال:

وما يمنعك من ذلك؟ قال: لأنني لا أعلم تطيب مناكحه هؤلاء أم لا، قال:

فكيف تصبر وأنت شاب؟ قال: أشتري الإمام، قال:

ومن أين طاب لكم نكاح الإمام؟ قال: ولأن الأمه إن رابني من أمرها شيء بعته، قال:

لم أسألك عن هذا ولكن سألتك من أين طاب لك فرجها؟ قال له: فتأمرني أن أتزوج؟ قال له:

ذلك إليك، فقال له زراره: هذا الكلام ينصرف على ضريين إما أن لا تبالي أن أعصى الله إذ لم تأمرني بذلك والوجه الآخر أن تكون مطلقاً لي قال: فقال:

عليك بالبلهاء قال:

فقلت:

مثل التي تكون على رأى الحكم بن عتيبه وسالم بن أبي حفصه؟ قال: لا، التي لا تعرف ما أنتم عليه ولا تنصب ... الحديث (٢).

وفى الكافي: فقال عليه السلام لي:

إن كنت فاعلاً فعليك بالبلهاء من النساء قلت: وما البلهاء؟ قال:

ذوات الخدور العفائف، فقلت: من هي، على دين سالم بن أبي حفصه؟ قال: لا، فقلت: من هي، على دين ربيعه الرأى؟ فقال:

لا، ولكن العواتق اللواتي لا ينصبن كفوراً ولا يعرفن ما تعرفون ... الحديث (٣).

وفى الحديث إشارة إلى وجود النصب الخفي لدى التيار البتري الذي كان

-
- ١- (١) . مقباس الهدايه: ٢ / ٣٤٩ .
 - ٢- (٢) . رجال الكشى / رقم ٢٢٣ .
 - ٣- (٣) . الكافى ٢ / ٤٠٢ .

الحكم بن عتيبه وسالم بن أبي حفصه من روادها، والحكم بخروجهم عن الإيمان.

ص: ٣٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان

الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

